

مجلة ثقافية شهرية
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 54 OCTOBER 1981.

العدد (٥٤) ـ ذو الحجة ١٤٠١ هـ السنة الخامسة ـ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٨١ م

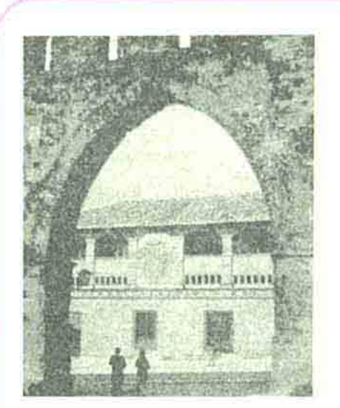


مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

هذا العدد

★ موعود لا مفقود: موعود عند من يعلمون أن الماضي لا يموت إلا بالنسبة إلى الأموات، وموعود عند كل من يدركون أن التاريخ لا يعرف الأمس أو اليوم أو الغد.. إنه الأندلس. طالع ص (٨١) ★



★ هل تصدق أن هناك من يحارب الريح ويعتبره العدو اللدود.. نحن في عالم غريب غريب.. طالع ص (١٠٧) ★



★ وردت قصتهم في القرآن الكريم، وكان سبب نزولها إفحاماً جليلاً لكفار قريش في (مكة)، ولأحبار اليهود في (يثرب)، أولئك الفتية الذين فرّوا من ظلم الحاكم الروماني آنذاك لمدينة (عمان)، أولئك هم أصحاب الكهف. طالع ص (٦٣) ★



من كتاب هذا العدد ❦ من كتاب هذا العدد ❦ من كتاب هذا العدد





أبو تراب الظاهري

★ من مواليد ١٩٢٣ م .

★ تلقى علومه الأولى على يد والده في المسجد الحرام .

★ شهادة مدرسة رياض العلوم ـ دلهي ـ الهند ، عودلت بالأزهر بشهادة الماجستير ، وشهادة بدرجة (عالم) من جامعة (بهاولبور) في باكستان .

★ اتصل بعدد من المشايخ والعلماء ، وحصل منهم على إجازات في الحرمين الشريفين (المكي والمدني) ، واليمن ، ومصر ، الهند .

★ يجيد اللغتين الفارسية والأوردية .

★ عمل مدرساً بالمسجد ، ثم مفهرساً بمكتبة ، ومدرساً للغة العربية بالمدارس الثانوية ، كما عمل رئيساً للمصححين بجريدة « البلاد » اليومية بجدة ، ومديراً للنشرة التي تصدر عن المديرية العامة للصحافة والنشر بالإذاعة ، ومراقباً للمطبوعات بوزارة الإعلام .

★ يعمل حالياً مراقباً لغوياً ودينياً للبرامج الإذاعية .

★ له نحو ٣١ مؤلفاً مخطوطاً .



د . محمد عبد المنعم القيعي

★ من مواليد كفر الزيات ـ مصر عام ١٩٢٧ م .

★ دكتوراه في التفسير .

★ عمل إماماً ، وخطيباً ، ومدرساً ، ومعيداً بكلية أصول الدين ، ومدرساً بها ، وأستاذاً مساعداً ، ثم أستاذاً .

★ له عدد من المؤلفات الدينية ، إلى جانب عدد من البحوث التي نشرت في المجلات .

★ يعمل حالياً أستاذاً بقسم الدراسات العليا الشرعية ـ كلية الشريعة ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ مكة المكرمة .



د . مدحت صابر الشافعي

★ من مواليد عام ١٩٤٤ م ، ـ الشرقية ـ مصر .

★ دكتوراه في الأمراض الباطنية والقلب .

★ عمل طبيب امتياز بمستشفيات جامعة عين شمس ووزارة الصحة ، كما عمل طبيباً مقيماً للأمراض الباطنية ، ومدرساً مساعداً ، ثم أستاذاً مساعداً للأمراض الباطنية .

★ اشترك في عدد من المؤتمرات الطبية .

★ له مجموعة من الأبحاث والمؤلفات .



مبارك المغربي

★ من مواليد أم درمان ـ السودان عام ١٣٤٤ هـ .

★ تلقى جزء من دراساته العلمية في مصر وإنجلترا .

★ عضو اللجنة التنفيذية لاتحاد الأدباء السودانيين ، وعضو لجنة رابطة الأدب الحديث ، ولجنة الدراسات الإسلامية بمصر .

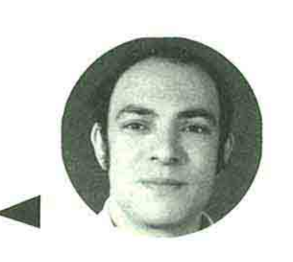
★ نشرت أعماله في الصحافة العربية والسودانية .

★ نال وسام إقبال الذهبي الرفيع في الأدب ، والوسام الذهبي في التربية والآداب والعلوم والفنون .

★ له عدة مؤلفات مطبوعة ومخطوطة في الشعر والأدب والاجتماع .

★ عمل لفترة قاضياً بالهيئة القضائية .

★ يعمل حالياً أميناً عاماً للمجلس القومي للآداب والفنون .



عبد الله السيد شرف

★ من مواليد « صناديد » ـ محافظة الغربية ـ مصر عام ١٩٤٤ م .

★ بكالوريوس تجارة .

★ نشرت أعماله في عدد من الصحف والمجلات العربية .

★ له ديوان شعر بعنوان « العروس الشاردة » .

★ يعمل برعاية الشباب ـ إدارة طنطا .

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا . والله الموفق **



- دليل إعلامي عن الاحساء بالسعودية .
- ندوات عن الرياضيات «بالسعودية» واللسانيات واللغة العربية «بتونس» .
- إقامة معرض دولي للكتاب بالعراق .
- «دنيا الشعر» مجلّة جديدة ستصدر بمصر .
- وفاة الشاعر السوري «بدوي الجبل» والمغربي عبد المجيد بن جلون .
- معجم للمصطلحات الزراعية في السودان .



- إصدار قاموس عربي بولندي وبالعكس .
- إقامة معرض عن «مخطوطات القرآن» في باريس وآخر عن «الحضارة العراقية» في اليونان .
- «الإسلام والنظام الجديد» موضوع ندوة بطوكيو .
- اكتشاف أثري في (نيس) بفرنسا .
- وفاة الناشر البلجيكي لويس كاسترمان ، والكاتب اليوناني ديمتريس هاتزيس .



★ د. غازي القصيبي ★

ندوة عن الرياضيات

ستعقد في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) القادم، **ندوة عن الرياضيات بجامعة البترول والمعادن** بالظهران، وتعد هذه الندوة الأولى، وقد دُعي إليها مندوبون من جامعات الخليج، كما سيحضرها مندوبون من جامعة الملك عبد العزيز بجدة.

مسابقة فنية

أعلنت **الشؤون الثقافية** بالرئاسة العامة لرعاية الشباب عن تنظيم **مسابقة المعرض العام السادس للمقتنيات** (الفنون التشكيلية في مختلف فروع الفنون الجميلة والتطبيقية: رسم وتصوير زيتي، حفر وتصميم، مجسمات، خزف، باتيك، طرق على النحاس، تشكيل معادن). وهي مسابقة عامة لجميع الشباب بالمملكة، وقد وضعت شروطاً معيّنة أهمها:

★ ارتباط الأعمال الوثيق بالبيئة وألا تتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي.

★ لا تقبل إلا الأعمال ذات الإخراج الجيد، ويجب ألا يزيد طول الضلع في اللوحة أو ارتفاع المجسم عن ١٢٠ سم.

وقد رصدت لتلك المسابقة جوائز قيّمة، وحددت آخر موعد لها يوم ٢٥ ذو الحجة (هذا الشهر).

مسابقة أدبية

اهتماماً بالنشاطات الأدبية، وتشجيعاً للشباب، فقد **أعلن المكتب الرئيسي لرعاية الشباب بالرياض** عن **مسابقته الأدبية** وذلك في مجال:

★ **الشعر المنظوم المقفى** وتكون القصيدة فيه بعنوان «المسجد الحرام يخاطب المسجد الأقصى» ولا تقل أبياتها عن (٢٠) بيتاً.

★ **المقال الأدبي** وسيكون تحت عنوان «واجب الشباب المسلم نحو تحديات العصر» ولا يقل عن (٥) صفحات فولسكاب.

★ **القصة القصيرة** وستكون تحت عنوان «شيخ يطل من الماضي على الحاضر».

كلمة

الإنسان الجديد والفراغ الروحي

لقد أجمعت آراء رجالات الفكر والمهتمين بالدراسات والأبحاث الأكاديمية والميدانية الخاصة بأحوال الإنسان وما تعانيه الأسرة الإنسانية في الوقت الحاضر من أنواع القلق والحيرة، أن ذلك جاء نتيجة التمرد على العقائد الأساسية والمبادئ الروحية والقيم المعنوية والأخلاقية، كما أن الذي جعل العالم المعاصر يعيش في تشاؤم ويأس، هو بالذات الشيء الذي أقحم الإنسان في أرجوحة لا يدري من خلالها أهدافه الحقيقية في الحياة، وهكذا أصبح الإنسان يجابه ظروفاً نفسية واجتماعية قاسية، بل مهزوزة ومشوبة بالاضطراب، فسادت نتيجة ذلك عدة مركبات ناقصة منها فقدان الثقة بين الناس والنفاق المكشوف في المعاملة على كل المستويات.. وطرأ فتور وركود محسوسان على الروح الوطنية والتطوعية والإحسانية.

فعلى الرغم مما حققته بعض الشعوب والأمم المتقدمة من مظاهر التطور والتقدم العلمي والتكنولوجي، فقد ازدادت مع ذلك حيرة الإنسان وتجاهله لخصائصه الذاتية وانفعالاته النفسية، فانتابته الشكوك من كل جوانب حياته حتى أصبح الشك لديه هو اليقين، ولعل هذا بالذات هو مصدر الداء الناتج عن ضعف الإيمان، والتخلي عن العقائد والاجترار وراء الإباحية إلى درجة المجون والانحلال، وهذه هي الطريق الانحرافية المؤدية لا محالة إذا لم يعالج إلى الالحاد، وما أكثرها الاشكاليات التي طرحها الالحاد والملاحدة لعالم اليوم.

والذين يحاولون التصدي لمعالجة قضايا الإنسان وإشكالياته، يربطون ذلك بعوامل نفسانية وبيئوية واجتماعية وحضارية، ويلصقون بهذه العوامل سوء

هذا وقد رصدت للفائزين بهذه المسابقة جوائز قيّمة، على أن آخر موعد لتلقي إنتاج المتسابقين هو يوم ٢٩ من شهر محرم القادم ١٤٠٢ هـ.

دليل إعلامي عن الأحساء

تحت إشراف **إمارة الأحساء** وباشتراك عدد من الدوائر الحكومية، **سيصدر دليل إعلامي عن الأحساء**، سوف يتضمن معلومات شاملة عن المدينة كتاريخها القديم والحديث، والتنمية التي تشهدها في مختلف المجالات، إلى جانب إعداد دراسة ميدانية حول مواضيع الدليل التي تتضمن الأسواق الشعبية والفنادق ولوحات تاريخية عن المنطقة ومنشآتها وآثارها، كما ستتضمن الدراسة خرائط وصور فوتوغرافية

العاقبة التي آل إليها البعض من الناس في عصر يسمونه عصر النور والثقافة والعلوم، وقد نشأ صراع بين الإصلاح والانحراف، ولسنا ندري لمن ستكون الغلبة في التالي، فإذا ربطنا الموضوع بحجم القوة المتصارعة نجد بأن حقيقة التوازن غير معروفة، إذن فأساليب الإصلاح متعددة، وأساليب الانحراف قد تعددت بدورها، والمؤسف هو أن هذه الأخيرة قد اكتسحت الأجيال الصاعدة، أي القلوب النابضة للأمم والشعوب، وذلك لأن مستقبل الإنسانية بيد الأجيال الصاعدة، وعلى هذا الأساس تأكد باستنتاج الفكر الجديد وحسب النظريات الفلسفية المعاصرة، بأن كلمة **التخلف** لا تطلق على **الشعوب النامية** أو السائرة في طريق النمو إلا من حيث مفهومها المادي والاقتصادي، أما من حيث مفهومها المعنوي والروحي فهي مشتركة، وبدراسة عميقة لمعنى التخلف يتضح بأن **التخلف الاقتصادي** بالنسبة للإنسان قد يكون أهون من **التخلف المعنوي والروحي** والأشد خطراً هو أن تجتمع في الإنسان صفات التخلف بشطريه المعنوي والمادي، لأن التخلف المادي معناه الفقر وقد جاء في الأثر: «يكاد الفقر أن يكون كفراً» أما التخلف المعنوي بمعناه التجرد من كل الصفات الأخلاقية.

وتتجلى ملامح هذه الظاهرة في إنسان **أوروبا** والعالم المتقدم كيف يعاني تخلفاً معنوياً واضحاً، وإن كان ميسوراً من الناحية المادية، وهذا التخلف المعنوي نتج عنه الفراغ الروحي والأخلاقي، وبالتالي نتج عنه شلل في العقيدة وأزمة في الضمير، وإذا تحرر الإنسان وتحرر العالم من أنواع التخلف **لأمكن** القضاء على مظاهر الاختلاف، والمحت من قواميس التعبير عدة كلمات ومصطلحات غير لائقة بالإنسانية، منها كلمة التخلف والتمييز العنصري والحروب والنزعات الإقليمية، ولكن صدق من قال: «لو أن أحداً يعلم ما يعلم العلماء، ويفهم ما يفهم الفهماء، ويعرف سحر كل ساحر لا يستطع أن يستر عيباً من عيوب نفسه إلا بالصدق بينه وبين الله».

ذلك أن ما تفشى في المجتمعات الحديثة من مظاهر الانحلال والإباحية والغي والضلال والزيغ عن المحجة البيضاء، وما أصبح الإنسان المعاصر يتردى فيه من الانحراف والانسياق وراء الملذات والمغريات والشهوات، كل ذلك عطاء من معطيات التخلف، وأمام هذه الأوضاع أصبح لزاماً على الإنسان المؤمن أن يحتاط ويحذر كل الحذر من التيارات الالحادية، بل عليه أن يزداد وعياً وعمقاً بمعرفة ظروف العصر الحاضر فبذلك يمكنه من إدراك ما تحيكه أدمغة الكفر والالحاد من مؤامرات ضد **الإنسان المسلم** وبغية التسلل لتحطيم الروح المعنوية التي يرتكز عليها **المجتمع الإسلامي**.

إن المفروض في الإنسان المسلم أن يتمسك بالقيم ويلم بأطراف الخير ويبتعد عن الشر، فبذلك سيجعل بينه وبين التخلف سداً منيعاً.

إن ما يجتاح الإنسان والمجتمعات والعالم من أنواع التخلف هو من صنع البشر لأن الله خلقه وضمن له الرزق، ولكن عدالة الإنسان أقرت ما لم يأمر به الله وهو استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، فمن خلال شمولية الإسلام يتضح بأن كل حادث من حوادث الحياة لله فيه حكم.

ومن العناصر المشجعة للتخلف بالنسبة **للإنسان العربي والمسلم** عملية التمزيق والتشتيت الناتجة عن مرحلة التجزئة والضعف وزادها الكافرون في الشعوب التي ابتليت بالاستعمار عمقاً، فتركت بصماتها التي طبعت التخلف المشاهد في مظاهر طاغية على الإنسان والمجتمع.

ويفضي بي هذا الحديث المتواضع إلى مقولة قالها **سالازار** في أحد تصريحاته لبعض رجال الصحافة:

«إن الخطر الحقيقي إنما هو الذي يمكن أن يحدثه المسلمون من تغيير في نظام العالم فقيل له: إنهم في شغل عن أن يفكروا في هذا بخلافاتهم فقال: إني أخشى أن يخرج من بينهم من يوجه خلافهم إلينا».

وإذا كان من تعليق على هذه المقولة التي تجهر بالخوف من صولة ومكانة المسلمين في المجتمع الدولي، فهو أن هذه الأمة التي تعتبر **خير أمة أخرجت للناس**، ينبغي لها أن تظل وتخلد إلى أبد الآبدين في صولتها وعظمتها، وعلى قادتها ورجالاتها أن يزدادوا تمسكاً بالمقومات ومحافظة على المكاسب والأمجاد، ونبذ الخلافات ورتق الفتوق وتحكيم الضمائر.

وبالسلوك القويم والسعي السليم يمكن قطع دابر التخلف بجميع ألوانه، ووقاية الأفراد والأسر والمجتمعات التي تعاني من التخلف أياً كان شكله: مادياً ومعنوياً وروحياً أو أخلاقياً وفكرياً واقتصادياً.

علال البوزيدي
سلا ـ المغرب

لوضعها في الدليل. وسوف تطبع عشرة آلاف نسخة من هذا الدليل كطبعة أولى توزع مجاناً.

المسابقة السنوية في القرآن الكريم

نظم المكتب الرئيسي لرعاية الشباب بالمنطقة الوسطى المسابقة السنوية في (**القرآن الكريم**) لشباب النوادي بالمنطقة، وقد اشترك في المسابقة أحد عشر نادياً، وقد خصصت للمشاركين جوائز نقدية وعينية قيّمة، كما أن الفائزين بالمراكز الأولى في هذه المسابقة سيشتركون في الأسبوع الثقافي الذي سيقام (بالرياض) خلال شهر ربيع الأول من العام القادم بإذن الله.

أمسية شعرية بمكة المكرمة

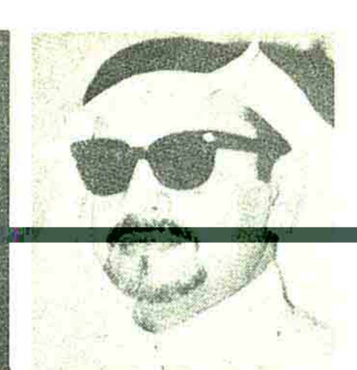
أقام مركز مكة المكرمة الصيفي أمسية شعرية أحياها كل من:

★ الدكتور ناصر سعد الرشيد.
★ الدكتور محمد هاشم عبد الدائم.
★ إبراهيم محمد أبو عبادة.
★ محمد سليمان المهنا.

وقد أقيمت هذه الأمسية ضمن نشاطات المركز الأدبية، حضرها عدد من المهتمين.



★ عزيز ضياء ★



★ د. حسين مؤنس ★



★ أحمد محمد جمال ★

* كتب جديدة *

● «عن هذا وذاك» ، تأليف **الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي** ، صدر عن **إدارة النشر بتهامة** ضمن سلسلة «**الكتاب العربي السعودي**» .

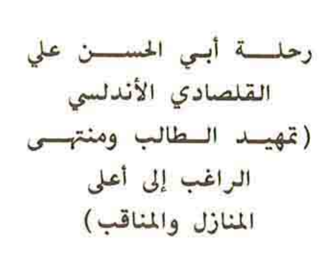
صدرت الكتب التالية عن رابطة العالم الإسلامي ضمن سلسلة «دعوة الحق» :

★ «**الجهاد في الإسلام** ــ مراتبه ، ومطالبه» ، تأليف **أحمد محمد جمال** .

★ «**الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين**» ، تأليف **نذير حمدان** .

★ «**الإسلام الفاتح**» ، تأليف **الدكتور حسين مؤنس** .

● «**قصص من سومرست موم**» ، **مجموعة قصصية** نقلها إلى العربية **عزيز ضياء** ، صدرت في كتاب عن **إدارة النشر بتهامة** ، ضمن سلسلة «**الكتاب العربي السعودي**» .



رحلة أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي (تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب)

صدر أخيراً عن **الشركة التونسية للتوزيع** كتاب «**رحلة القلصادي**» تحقيق الأستاذ **محمد أبو الأجفان المدرس بكلية الشريعة وأصول الدين بالجامعة التونسية** . والأستاذ محمد أبو الأجفان غني عن التعريف ، يعرفه رجال الفكر والأدب بالقطر التونسي وبغيره من الأقطار العربية . فزيادة عن نشاطه بالجامعة التونسية له اهتمام كبير **بالمخطوطات العربية** ، هذا إلى جانب نشاطه في بعض الصحف وفي الإذاعة التونسية . وها هو أخيراً يقدم لنا هذا المخطوط النفيس .

إن رحلة القلصادي هذه من أمتع الرحلات التي لم تلحقها أيدي العابثين ، وبقيت سجلاً حافلاً لتاريخ فترة من فترات التاريخ الإسلامي ، فهي سجل لبعض أعلام الفكر ولنشاط بعض المدن الإسلامية ولحركة التدريس .

وإن فن الرحلة من الفنون التي أغرم بها المؤلفون العرب . . وقد بلغ هذا الفن أوجه على يد الرحالة المغربي الشهير **ابن بطوطة** . وكان الداعي لهذه الرحلات هو زيارة الأماكن المقدسة وأداء فريضة الحج ، وعندما يمر الرحالة بمدينة من المدن يسجل كل ما يشاهده من عادات وتقاليد وأحداث ، وعند رجوعه يبدأ في تدوين رحلته .

أما رحلة القلصادي فهي لا تتقيد بوصف المدن فقط أو بذكر خططها وعادات أهلها فحسب بل لها ميزة أخرى تنفرد بها . وقبل عرض جوانبها وتحليلها فلا بد من معرفة القلصادي .

هو علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي البسطي أبو الحسن الشهير بالقلصادي . ولد **بمدينة بسطة الأندلسية** سنة ٨١٥ هـ ، أو قبلها بقليل . وفي هاته المدينة نشأ علي القلصادي وتلقى دراسته الأولى على أجلة شيوخها **كأبي بكر البياز المقري ، وأبي الحسن علي اللخمي القرباقي** الحاذق لعلوم عصره .

وفي سنة ٨٤٠ هـ ، ابتدأ القلصادي رحلته العلمية فاتصل في مراكز الثقافة الإسلامية بأجلّ علماء ذلك العصر في كل فن من الفنون . ففي **تلمسان** حضر بعض المجالس العلمية واستفاد منها . وفي هذه المدينة ألف القلصادي كتابه «**التبصرة الواضحة في مسائل الأعداد**» . وفي هاته المدينة أخذ عنه الكثير من العلماء **كالإمام محمد بن يوسف السنوسي**[1] **وأبي عبد الله الملالي** . أما المركز العلمي الثاني الذي قصده القلصادي فهو **مدينة تونس** المحروسة حيث سوق العلم نافقة وينابيع العلم مغدقة . وأقام بها مدة ثلاث سنوات . واتصل بشيوخها **كأبي العباس أحمد القلشاني وأحمد المنستيري وابن عقاب** وغيرهم . وحرص القلصادي أيضاً على إفادة بعض طلبة هذه المدينة الآمنة . وفي هاته المدينة ألف القلصادي كتاب «**كشف الجلباب عن علم الحساب**» وغيرها من الكتب الأخرى . أما **بالقاهرة** فقد أخذ عن **تقي الدين الشمني** شارح مغني اللبيب وعن **قاسم النويري** وعن **أبي العباس ابن حجر** . وفي



انتقل إلى رحمة الله تعالى الشاعر السوري محمد سليمان الأحمد المعروف «**ببدوي الجبل**» ، عن عمر يناهز السادسة والسبعين ، فقد ولد رحمه الله عام (١٩٠٥ م) بقرية قرب اللاذقية ، نظم الشعر وهو في الرابعة عشرة من عمره ، وأتم دراسته الثانوية في مدينة (**اللاذقية**) ، ثم **درس الحقوق** في (**جامعة دمشق**) واضطر لترك الدراسة في غمرة النضال ضد الفرنسيين حيث غادر وطنه وعمل في مستهل حياته بالسياسة فطرد من سورية ، وعاد خلسة ليناضل في صفوف «الكتلة الوطنية» ، ثم سجن وأمضى حوالي أربع سنوات في سجون الانتداب . انتخب نائباً قبل الاستقلال وبعده ، كما تولى الوزارة في الأعوام ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ م ، كوزارة الصحة ، الاقتصاد ، الدعاية والأنباء ، وترأس الوفد السوري إلى منظمة الصحة العالمية في جنيف ، وفي عام ١٩٥٦ م ، ترك سورية وأقام في بيروت حتى عام ١٩٥٨ م ، حيث انتقل إلى اسطنبول ومنها إلى عدة بلدان ، وفي عام ١٩٦٣ م ، عاد إلى سورية فكانت إقامته الدائمة فيها .

اشتهر باسم «**بدوي الجبل**» منذ الرابعة عشرة من عمره عندما نظم قصيدة في رثاء المناضل الأيرلندي «مالك سويني» محافظ مدينة «كورك» الذي جعل احتجاجه على وجود الإنجليز في بلاده صياماً حتى الموت ، ونشرها آنذاك الراحل «**يوسف العيسى**» صاحب **جريدة «ألف باء»** مذيلة بتوقيع بدوي الجبل ، وقد أبدى العيسى سبب اختياره لهذا اللقب بقوله [إن الناس يقرؤون للشعراء المعروفين وهذا التوقيع المستعار يحملهم على قراءة – الشعر للشعر –] .

نشر **أول ديوان** له عام ١٩٥٢ م ، بعنوان «**البواكير**» الذي قال (**الأخطل الصغير**) فيه : «ما عرفت شاعراً يدل شعره عليه كبدوي الجبل محمد سليمان الأحمد – إن شعره أرجح من عمره» . ثم صدر له **ديوان أخير** جمع فيه أعماله عن **دار العودة ببيروت** .

كان رحمه الله **عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق وفي القاهرة** أيضاً . تغمد الله الفقيد بواسع رحمته وإنا لله وإنا إليه راجعون .

البقاع المقدسة فقد استفاد القلصادي كثيراً من **الشيخ أبي الفتح المراغي** .

وهكذا فإن هذه الرحلة دامت حوالي خمس عشرة سنة «جنى فيها صاحبها أطيب الثمار العلمية واحتك ببعض أقطاب عصره في المغرب العربي وبلاد المشرق»[٢] . وبعد رحلته انتقل القلصادي إلى **غرناطة** ، ولازم بها الشيخين **إبراهيم بن فتوح** ، **ومحمد السرقسطي** .

ثم رحل القلصادي إلى **مدينة باجة** التونسية حيث واصل نشاطه العلمي ، إذ إن مدينة باجة كانت من أزهر العواصم العلمية بتونس . . وتوفي القلصادي في منتصف ذي الحجة من سنة ٨٩١ هـ ، بمدينة باجة ، وقبره معروف عند أهالي المدينة .

ترك القلصادي كتباً جليلة متنوعة ولكن أغلبها في الحساب والفرائض . . فمن كتب الحساب : غنية ذوي الألباب في شرح كشف الجلباب – كشف الأسرار عن علم الغبار – ، ومن كتب الفرائض : المستوفي لمسائل الحوفي – الضروري في علم المواريث ، ومن مصنفاته الأخرى : أشرف المسالك إلى مذهب الإمام مالك – شرح الخزرجية في العروض – شرح إيساغوجي .

وكانت كتبه كما قال **عبد الهادي التازي** : مرجعاً لطلبة القرويين وعلمائها[٣] .

الرحلة من أشهر كتبه . وقد قلنا إنها تختلف عن الرحلات الأخرى المعروفة . فهو لم يجعلها مقتصرة على الوصف للمعالم والبلدان والخطط وذكر الأحداث ، ولكنه أضاف إلى ذلك كله ذكر مشايخه وأسانيده ، والكتب التي درسها ، وديار العلم التي ارتادها . **فهي رحلة فهرسية تصور أدق تصوير حياة العلم والعلماء والكتب وجامعات العلم** . في هذا النوع من الكتب يعرف أصحابها بشيوخهم الذين اتصلوا بهم مع ذكر نتف من أخبارهم وتآليفهم وشيوخهم والكتب التي رووها عنهم . فلنتبع القلصادي في ديباجة كتابه :

«أما بعد فالمقصود من هذا الموضوع أن يكون معرفاً بأشياخي من أهل العلم الذين أخذت عنهم رضي الله عنهم وأرضاهم ، وبرحلتي من **بسطة** مسقط رأسي . . .»[٤] .

وهذا تحليل الرحلة وذكر مواضيعها :

مقدمة المؤلف ، شيوخ القلصادي ببسطة وهم : **علي بن عزيز** (ت ٨٤٤ هـ) ، **محمد القسطرلي** (ت ٨٤٤ هـ) ، **أبو بكر البياز** ، **أبو عبد الله محمد البياني** (ت ٨٧٦ هـ) ، **جعفر بن أبي يحيى** ، **علي اللخمي القرباقي** (ت ٨٤٤ هـ) . وصف مدينة بسطة ، الارتحال إلى تلمسان ووصفها ، شيوخ القلصادي بتلمسان وهم : **محمد ابن مرزوق العجيسي** (ت ٨٤٢ هـ) ، **أبو مهدي عيسى الرتيمي** ، **أبو عبد الله محمد الشريف** (ت ٨٤٧ هـ) ، **يوسف إسماعيل الشهير بالزيدوري** (ت ٨٤٥ هـ) ، **محمد بن النجار** (ت ٨٤٦ هـ) ، **أبو العباس أحمد بن زاغو** (ت ٨٤٥ هـ) ، **أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني** (ت ٨٤٥ هـ) ، أما الشيوخ الذين حضر مجالسهم ولم يأخذ عليهم فهم : **الحسن بن مخلوف** (ت ٨٥٧ هـ) ، **أبو الفضل ابن الإمام** (ت ٨٤٥ هـ) ، **محمد بن العباس** (ت ٨٧١ هـ) ، **سليمان البوزيدي** (ت ٨٤٥ هـ) ، السفر إلى وهران ، الأحباب والإخوان بوهران ، السفر إلى تونس ووصفها ، شيوخ القلصادي بتونس وهم : **أحمد بن محمد القلشاني** (ت ٨٦٣ هـ) ، **أحمد المنستيري** ، **أبو عبد الله محمد الدهان** (ت ٨٥٣ هـ) ، **محمد ابن عقاب الجذامي التونسي** (ت ٨٥١ هـ) ، مغادرة تونس ، دخول جربة ووصفها ، من طرابلس إلى الإسكندرية ، وصف



★ روكس بن زايد العزيزي ★

ندوة حول تأليف المعجم

أقيمت في الرباط برعاية **مكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربية للثقافة والعلوم حلقة دراسية حول أساليب تأليف معجم عربي ـ إنجليزي، وآخر عربي مع لغة أخرى**، وقد حضر هذه الحلقة حوالي (٣٠) خبيراً من الدول العربية والغربية والإسلامية، منهم ثلاثة من كبار الأساتذة الأمريكيين الذين ينحدرون من أصل عربي كالأستاذ الدكتور بيتر عبود من جامعة تكساس، والأستاذ الدكتور صالح جواد الطعمة من جامعة إنديانا، وجورج سعد من جامعة ماساتشوستس.

وفاة عبد المجيد بن جلون

انتقل إلى رحمة الله تعالى الكاتب والشاعر المغربي **عبد المجيد ابن جلون** عن عمر يناهز (٦٢) سنة، كان رحمه الله في حياته مليئاً بالعطاء. من أهم أعماله قصة (**في الطفولة**) وديوان شعر بعنوان (**براعم**) بالإضافة إلى **مجموعة من البحوث والمحاضرات التاريخية والأدبية**.

* كتب جديدة *

● «**دراسات تحليلية نقدية لرواية ـ دفنا الماضي**»، تأليف عدد من النقاد والأدباء، صدر في **الرباط**.

● «**من حديث القرون الهجرية**»، تأليف **محمد بنعياد**، صدر في **الرباط** بمناسبة القرن الهجري الجديد.

الإسكندرية، الوصول إلى القاهرة وزيارة بعض معالمها، ذكر شيخين بمصر وهما: **زين الدين طاهر النويري** (ت ٨٥٦ هـ)، **وعلم الدين الحصني**، نحو البقاع المقدسة، القيام بمناسك العمرة، لقاء بعض الأصحاب، نشاط علمي، اتصاله بأبي الفتح المراغي وشرحه لفرائض ابن الحاجب، زيارة المعالم، أداء مناسك الحج، من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة وأداء الزيارة، العودة إلى مصر، الأخذ عن شيوخ مصر وهم: زين الدين النويري ثانية، قاسم النويري (ت ٨٩٩ هـ)، تقي الدين الشمني (ت ٨٧٢ هـ)، عبد السلام بن عبد المنعم البغدادي، شهاب الدين أحمد بن حجر (ت ٨٥٣ هـ)، محمد الكريمي السمرقندي، جلال الدين المحلي (ت ٨٦٤ هـ)، من القاهرة إلى برقة، من طرابلس إلى تونس، وذكر أنه اتصل بالفقيه **محمد الواصلي** وأخذ عنه، من تونس إلى وهران فتلمسان، فالوصول إلى المرية، ثم الوصول إلى بسطة، استقراره بغرناطة وذكر الشيوخ الذين اتصل بهم وهم: محمد السرقسطي (ت ٨٦٥ هـ)، إبراهيم ابن الفتوح (ت ٨٧٦ هـ).

وهكذا فمن خلال هذا العرض الموجز لجوانب هذه الرحلة الفهرسية نلاحظ أن القلصادي مهتم بذكر شيوخه، وقد بلغ عددهم ٣٣ شيخاً وتراجمهم متفاوتة في الطول، وفي هذه الرحلة اهتم القلصادي أيضاً بذكر الكتب التي رواها.

إن أهمية هذه الرحلة تظهر في اعتماد المترجمين لرجال القرن التاسع عليها. فقد استقى منها **المقري صاحب النفح وأحمد بابا في** نيل الابتهاج **وابن مريم في** البستان. **ويذكرونها تارة باسم الرحلة وأخرى باسم الفهرسة**.

وقد حقق السيد محمد أبو الأجفان هذا الكتاب معتمداً على نسختين: الأولى المحفوظة **بالخزانة الملكية بالرباط** تحت رقم ١٥٧٨ وهي ضمن مجموع من الورقة ٢٨٢ إلى ٣٢١، وقد نسخها **علي بن قاسم البياضي الأندلسي** (ت ٩١٢ هـ)، وقد اعتمدها المحقق كأصل. أما النسخة الثانية فهي نسخة الشيخ الفاضل محمد المنوني.

ـ مقدمة المحقق التي تحدث فيها عن مملكة غرناطة في عصر القلصادي، كما عرف بالمؤلف، وتحدث أيضاً عن رحلات الأندلسيين وعن أهمية رحلة القلصادي.

ـ متن الكتاب ويحتوي على نص الرحلة، هذا إلى جانب التعاليق الهامشية القيمة التي يعرف فيها المحقق بالأعلام الواردة في النص أو يصحح الأخطاء الواردة في النسختين المعتمدتين أو التي وقع فيها كل من تعرض لشخصية القلصادي بالدراسة. وقد صمم المحقق خريطة للأماكن التي مر بها القلصادي في رحلته.

ـ قسم أخير أفرد فيه المحقق الفهارس الفنية (الآيات، الأحاديث، القوافي، الأعلام، الكتب، الأماكن).

محمد الزاهي
تونس

الهوامش

(١) توفي سنة ٨٩٥ هـ، وله ترجمة في كتاب البستان لابن مريم ص ٢٣٧، وشجرة النور الزكية، ج ١، ص ٢٦٦.
(٢) مقدمة المحقق، ص ٣٧.
(٣) جامع القرويين، ج ٢، ص ٥٠٩ (طبع بيروت).
(٤) الرحلة، ص ٨٢.



دنيا الشعر

عنوان المجلة الجديدة التي قررت **لجنة الشعر في المجلس الأعلى للثقافة المصرية** إصدارها ، **وسيرأس تحريرها** الأستاذ **الدكتور شوقي ضيف** ويشترك في التحرير فتحي سعيد ، وستكون حافلة بالموضوعات ذات الفائدة المرجوة خاصة أن المشرف عليها الدكتور شوقي صاحب مجهود كبير في مجال الأدب والمعروف بمؤلفاته المتعددة والكثيرة .

الاحتفال بالراحلين

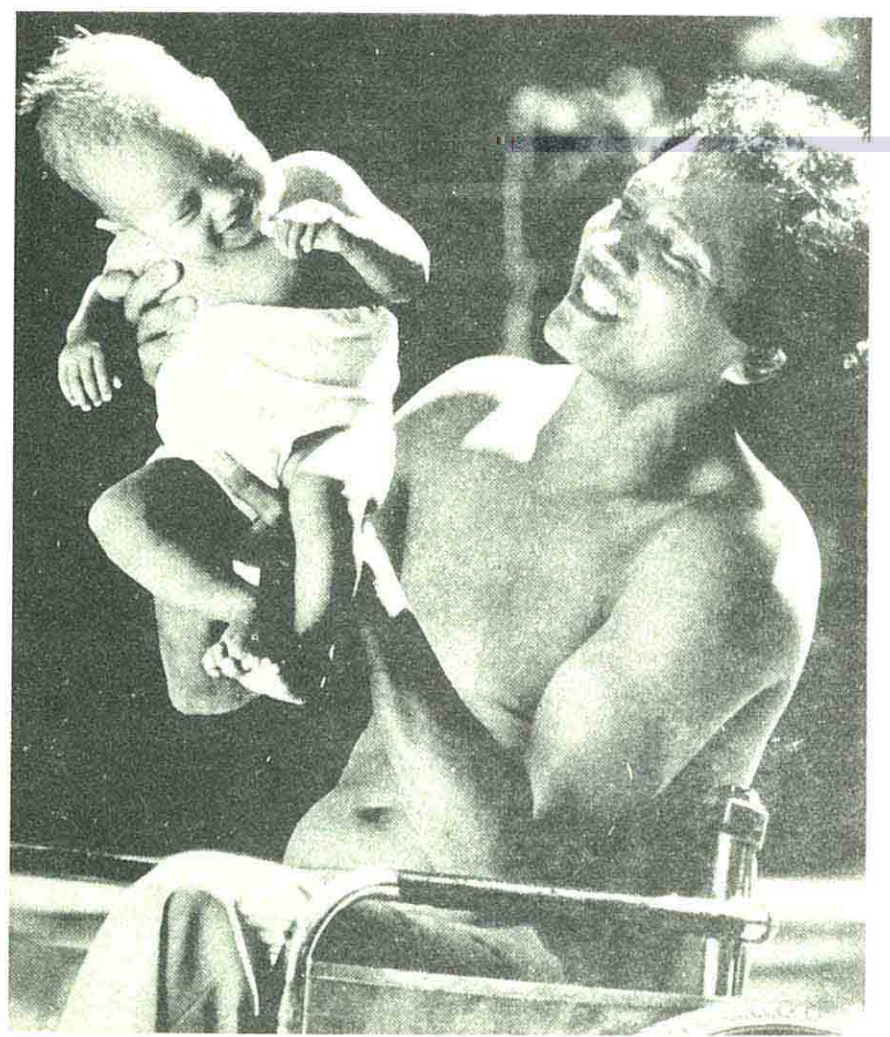
اعترافاً بدورهم في إثراء الحركة الفكرية وبإنتاجهم في مجالات الأدب والفكر ، **أعدت جمعية العقاد الأدبية بالقاهرة برنامجاً** للاحتفال **بأعلام الأدب الذين رحلوا عن عالمنا** أمثال الدكتور **طه حسين** ، **وإبراهيم عبد القادر المازني** والشاعر **أحمد شوقي** وعدد من أدباء المهجر أمثال **إيليا أبو ماضي** ، **وجبران خليل جبران** ، **وخليل مطران** ، وستنتظم في هذه الاحتفالات ندوات وأمسيات شعرية ستوضح من خلالها قيمة ودور العمالقة الراحلين من أعلام الفكر والأدب .



* كتب جديدة *

- « **الجرادة** » ، **مجموعة قصصية للأطفال** ، تأليف **مصطفى صالح** ، صدرت عن **رابطة الكتَّاب الأردنيين** .
- « **الشعر والمعرفة** » ، **بحث** أعده **غالب القرالد** ، **يدور حول الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي** .
- « **الطريقة القرآنية لتعليم العربية للأطفال والمبتدئين من العرب وسائر المسلمين** » ، تأليف **أحمد عبد الله أبو بكر** ، صدر في **عمان** .
- « **جمع الدمع** » ، تأليف **روكس بن زائد العزيزي** ، صدر في **عمان** .
- « **بداية وتأسيس** » ، صدر عن **منشورات مؤسسة آل البيت** .





« الخمسمئة مليون معاق في العالم لهم الحقوق نفسها كسائر البشر في النمو والتعلم ، في العمل والابداع ، في التعاطف والحب من دون هذه الحقوق ، لا بد لعجزهم أن يزداد بسبب فقدان الفرص والمسؤوليات من حياتهم » .



★ قاسم حداد ★

معجم للمصطلحات الزراعية

تقوم **المنظمة العربية للتنمية الزراعية** التي تتخذ من الخرطوم مقراً لها ، **بالتعاون مع مكتب تنسيق التعريب بالرباط** التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم **بتوحيد المصطلحات الزراعية وإصدارها في معجم ثلاثي** باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية ، وسيتألف هذا المعجم **من ثلاثة أقسام** تتناول **الإنتاج الزراعي ، والحيواني ، والاقتصادي** ، وسيعرضه مكتب التنسيق على مؤتمر التعريب الخامس الذي سيعقد في (عمّان) أوائل عام ١٩٨٣ م ، لإقراره وتعميم استعماله في جميع الدول العربية .

الدورة الثالثة لملتقى القاضي النعمان

نظمت **بولاية المهدية** بتونس ، وذلك خلال الفترة من ٢٨ إلى ٣٠ أغسطس (آب) ١٩٨١ م ، **الدورة الثالثة لملتقى القاضي النعمان للدراسات الفاطمية** ، حضرها العديد من أساتذة الجامعات العربية ، وقد تضمن برنامج الدورة التي عقدت حول مدينة (المهدية) وأشرفت عليها وزارة الشؤون الثقافية التونسية العديد من المحاضرات من بينها :

★ المغرب الإسلامي وحركة الصراع بين الأمويين والفاطميين في القرن الرابع الهجري .

★ والمهدية ، معالمها بين التنقيب والصيانة .

ندوة اللسانيات واللغة العربية

ستعقد في تونس خلال الفترة من ٢٣ ـ ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٨١ م ، **ندوة حول « اللسانيات واللغة العربية »** وذلك تحت إشراف (**مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ـ بالجامعة التونسية**) ، وستشتمل أعمال الندوة على محورين : **أحدهما نظري** ويتناول وصف اللغة العربية على المستويات الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي ، وقراءة التراث العربي على ضوء العلوم اللسانية ، **والآخر تطبيقي** يتناول دور اللسانيات في تدريس اللغة العربية واستعمال العربية في تدريس العلوم ، وسيشارك في هذه الندوة عدد من الجامعات العربية ، بالإضافة إلى مكتب تنسيق التعريب بالرباط .

* كتب جديدة *

● « **مجموعة قصصية للأطفال** » ، صدرت عن **الدار التونسية للنشر والتوزيع** ، وهي من **إعدادها** .

ندوة حول الاتفاقيات الثقافية

ستعقد في (المنامة) في السادس من شهر ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨١ م ، **ندوة حول « الاتفاقيات الثقافية الثنائية عربياً ودولياً »** وسيحضر هذه الندوة التي ستستمر إلى العاشر من الشهر المذكور مندوبون عن الدول العربية ، ومنظمة المؤتمر الإسلامي ، ومكتب التربية لدول الخليج ، والاتحاد العام للأدباء والكتّاب العرب ، ومنظمة اليونسكو ، وجامعة الدول العربية ، **وستنظم** هذه الندوة **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** بالتعاون مع **وزارة التربية والتعليم في البحرين** .

مهرجان للشعر العربي والنبطي

اهتماماً بالشعر والفنون التشكيلية فقد أعلنت **وزارة الإعلام البحرينية** عن إقامة **مهرجان للشعر العربي والنبطي** ، كما دعت لتنظيم معرض للفنون التشكيلية ومعرض للصور التاريخية القديمة وقد دعي لهذا جميع أدباء وشعراء وفناني البحرين للمشاركة .

* كتب جديدة *

● « **شظايا** » ، **ديوان شعر** للشاعر **قاسم حداد** ، صدر في **المنامة** .

● « **البحرين خلال عشر سنوات** » ، كتاب صدر عن **وزارة الإعلام البحرينية** .



إقامة اتحاد مسرحي

اهتماماً بالحركة المسرحية ورغبة في تدعيم وتنمية الحركة المسرحية في الإمارات العربية المتحدة فقد عقد ممثلون عن الفرق المسرحية بالدولة اجتماعاً نوقش فيه النظام الأساسي لإقامة « **اتحاد مسرحي** » ، ومن

نافذة

الشعر فن جماهيري

هل ما زالت للشعر ـ إبداعاً وتذوقاً ـ ضرورة الآن؟

سؤال كثر ترديده مؤخراً ، وللإجابة عليه ـ بالتأكيد على وجود هذه الضرورة ـ نشير إلى الفراغ الذي تحسه الأجيال المعاصرة إزاء خلو الميدان من شعر يعبِّر عنها ، فهذا الإحساس بالفراغ دليل على الحاجة إلى ما يسده وليس دليلاً على الاستغناء .

ويدفعنا هذا إلى سؤال جديد : **هل الشعر فن جماهيري** ؟ أو بالأدق : **هل ما زال الشعر فناً جماهيرياً** ؟ ، ونقول إن الإبداع الشعري وإن كان تفرداً تتميز به الخاصة ، فإنه في نفس الوقت عزف على أوتار يطرب لها الوجدان كما يستمتع بمتابعتها الذهن ، وهو على هذا الأساس ما زال وسيظل فناً تبحث عنه العامة والخاصة معاً .

فما السبب إذن ومن المسؤول عن هذا الباب المسدود بين الإنسان العربي وبين الفن الذي اتفق على أنه فن العربية الأول وديوان تاريخها ؟ .

إنه باختصار النمو غير المتزن للإعلام ، فالإمكانات الهائلة المتزايدة لوسائل الإعلام سرعة واتساعاً وشمولا وتوثيقاً وسائل مستوردة بالكامل لبيئة العربية من بيئات أخرى ، والمشكلة أنها حين استوردت غاب عن الذهن أنها مستمدة لثقافة وحضارة وذوق له ما يميزه ، فكرسها هذا لخدمة ما كرستها له مواطن ابتكارها ظناً أنها إنما خلقت لذلك !

وللتوضيح نبدي دهشتنا لقلة اهتمام أجهزة الإذاعة المسموعة والمرئية بهذا الفن مع أنه فن إلقاء في جانب هام منه ، ولعل هذه الأجهزة إن تعرضت لشيء منه فعلت ذلك على سبيل أداء الواجب والتخلص منه لا على سبيل الاهتمام الحقيقي والمعايشة والتقدير ، فاختارت له الوقت المهمل ، والزاوية المظلمة ، وخنقته في الدقائق الضيقة واستفزته وعذبته .

لم لا يدخل الشعر مادة رئيسية في برامج المنوعات وسهرة مستقلة من سهرات الأسبوع ؟ كم ندوة له ، وكم مسرحية منه ، وكم قصيدة أو ملحمة عنيت بها هذه الأجهزة ؟ ولم لا تخدمه المؤثرات الصوتية والحركية والضوئية وسائر عوامل التأثير التي تتمتع بها الوسائل المستحدثة ؟ إننا قبل أن نفعل ذلك لا يجوز لنا أن نتهم الشعر بالقصور عن المواكبة ، فالشعر ما زال يواكب الإنسان ، لكن القائمين على هذه الأجهزة هم الذين عجزوا عن أن يواكبوا بها هذا الفن الراقي العريق وأخطأوا في فهمهم لوظيفتها ، والشمس لم تفشل في إضاءة مكان يصر أصحابه على سدّ نوافذه .

ويكفي أن نقول إن الشعر يكاد يكون الفن الوحيد الذي لا يشارك في إبداعه أو يساعد عليه شيء من منجزات الحضارة المادية ، ولنتذكر مثلاً أن تطور الآلة الموسيقية يضيف إلى إمكانات المؤلف ، ويساعد أصابع العازف ، وأن الخامات المتطورة تتعاون مع الفنان التشكيلي ، وإن دل هذا فعلى أن الشعر فن يخرج مكتملاً من داخل الفنان .

والدليل على أن الشعر ما زال فن الجمهور العربي الأول هو أن الشاعر ما زال أول فنان تحاسبه الجماهير بميزان اجتماعي وتاريخي علاوة على الميزان الفني ، وهي تكاد لا تفعل شيئاً من ذلك مع سواه .

أيها الناس : لا زال الشعر أهم أساطين صرح الفن عندنا ، ولا زالت مكانته شاغرة في ضمائر الجماهير المسكينة التي باسمها كم تفسد الأذواق ، ولا زالت مساحته محسوبة على ذمته ، وهو ليس فناً ثانوياً تتكئ عليه أشباه الفنون ، ويوظف لحشو الوقت الضائع ، فأدركوا أهميته قبل أن تسقطوا جهدكم من حساب الأيام مع الزبد .

عصام الغزالي
الرياض

المتوقع قيامه بعد مناقشة أمور هامة تتعلق بهذا الاتحاد .

*** كتب جديدة ***

● « **التكامل النقدي العربي** » ، صدر في **أبو ظبي بالتعاون مع صندوق النقد العربي .**



*** كتب جديدة ***

● « **رؤية جديدة في : دراسة الأدب العربي في عهد عصر صدر الإسلام** » ، تأليف **الدكتور سعيد حسين منصور** ، صدر عن **مؤسسة العهد للصحافة والطباعة والنشر بالدوحة .**

*** كتب جديدة ***

● « **الجبل والضباب** » ، تأليف **جهاد أحمد صالح** ، صدر في **الأرض المحتلة .**

● « **المسار** » ، **رواية جديدة** تأليف **أفنان القاسم** ، صدرت في **فلسطين .**

● « **المغفلون النافعون** » ، **مجموعة قصص قصيرة** تأليف **عبد الرحمن عباد** ، صدرت عن **منشورات فلسطين المحتلة** ، ضمن سلسلة « **من أدب الأرض المحتلة** » .



★ رولان بارت ★

مخطوطات القرآن على مر العصور

ذلك هو **موضوع المعرض الذي أقامته منظمة اليونسكو في العاصمة الفرنسية** ، وقد تصدر المعروضات في ذلك المعرض **مخطوطة للقرآن الكريم قام بنسخها الخطاط العراقي « ابن البواب »** في سنة ٣٩٢ هـ ، وهو أبو الحسن علي بن البواب عرف بأنه خطاط وتوفي سنة ٤١٣ هـ ، **حفظ القرآن ونسخه بيده أربعاً وستين مرة** إحداها بالخط الريحاني ، كما **تضمن المعرض** غير مخطوطة ابن البواب **أكثر من (١١٥) مخطوطة إسلامية** من مصر والمغرب والأندلس وتركيا وإيران والهند والصين .

اكتشاف أثري

اكتشف علماء الآثار الفرنسيون مبنى رومانياً قديماً تحت الأرض بالقرب من مدينة (**نيس**) الفرنسية ، يرجع تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد ، ويعتبر العلماء هذا الكشف من أكبر الاكتشافات الأثرية التي تم العثور عليها في هذه المنطقة .

معرض عن رولان بارت

بمناسبة مرور عام على وفاة الرسام والكاتب الفرنسي **(رولان بارت)** أقامت الأوساط الفنية الفرنسية معرضاً يكشف عن مواهب « رولان » الفنية وقد وضع هذا المعرض تحت عنوان « رولان بارت رساماً » ، ضم المعرض (٨٠) لوحة من أشهر ما رسمه الفنان خلال الفترة من ١٩٧٠ ــ ١٩٧٨ م ، وهي الفترة التي ترك فيها التأليف متجهاً للرسم ، والمعروف أنه ولد عام ١٩١٥ م ، وتعتبر روايته « إمبراطورية الأحاسيس » من أشهر ما كتب .

وفاة ديمتريس هاتزيس

توفي عن (٦٧) عاماً **الكاتب اليوناني « ديمتريس هاتزيس »** وذلك إثر إصابته بسرطان الرئة ، وكان قد أصدر في حياته الروائية رواية بعنوان « **النار** » والتي تناول فيها تاريخ المقاومة اليونانية التي شارك بنفسه

اليوم و الغد

● هل ستشير الإبرة المغناطيسية إلى الجنوب؟ ●

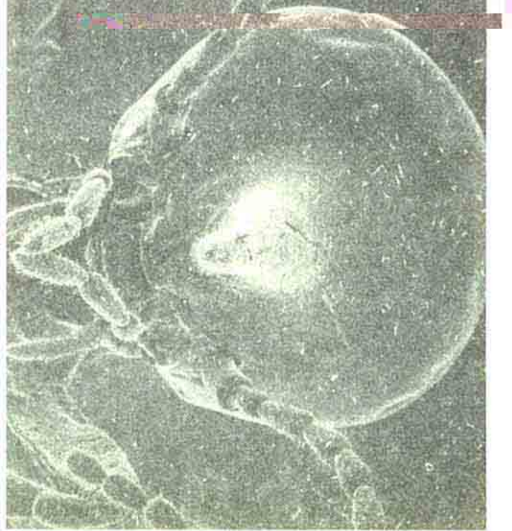
دلت الدراسات أن اتجاه **الحقل المغناطيسي الأرضي** ينقلب رأساً على عقب في فترات زمنية تتراوح بين (٥٠) ألف سنة ومليون سنة ، وأن الانقلاب الأخير وقع قبل حوالي (٧٠٠) ألف سنة . **القمر الصناعي المغناطيسي ماغ سات** MAGSAT كشف أن الانقلاب التالي قد يقع بعد (١٢٠٠) سنة من الآن ، فقد لاحظ هذا القمر تناقص شدة الحقل المغناطيسي الأرضي بمقدار ١ بالمائة كل عشر سنوات ، فإذا استمر التناقص بمعدله الحالي ، عندها ستشير الإبرة المغناطيسية إلى قارة القطب الجنوبي بعد حوالي (١٢٠٠) سنة .

ويتكهن بعض علماء الأحياء أن مثل هذه التغيرات في شدة الحقل المغناطيسي للأرض لعبت دوراً بارزاً في الانقراض الجماعي لبعض أنواع أحياء العصور القديمة مثل الديناصورات .

● « البازوكا » الكيميائية ●

يدافع النمل الأبيض عن مستعمراته بطرق مختلفة ، فهو ــ أحياناً ــ يسحق أعداءه بواسطة فكه الذي يشبه الكماشة ، وفي أحيان أخرى بواسطة العض أو الانقضاض الفجائي . إلا أن بعض أنواع النمل الأبيض الاستوائية يستعمل سلاحاً فريداً من نوعه : « مدفعاً » كيميائياً (يشبه مدفع البازوكا المعروف) يطلق دفقات متتالية من « بندقية رشاشة » موجودة في رأسه . وهذه المادة عبارة عن مزيج غير عادي من مواد عضوية تدعى « الديتربين » ، وهي غير موجودة في الطبيعة بشكل حر ، وهي كثيرة الشبه بصمغ الصنوبر .

هذا الاكتشاف يمثل خطوة هامة على طريق التوصل إلى مبيدات حشرية لا تضر الإنسان والماشية .



فيها ، كما نشر رواية أخرى بعنوان « نهاية مدينة » في عام ١٩٥٤ م ، وهي قصة لإحدى المدن اليونانية الواقعة في شمال البلاد ، وأخيراً كتابه « **المزدوج** » الذي نشره عام ١٩٧٦ م .

معرض عن الحضارة العراقية

بهدف التعريف بحضارة العراق عبر السنين وتطور هذه الحضارة ، **أقام القسم الصحفي بسفارة العراق في (أثينا) معرضاً للصور الفوتوغرافية** مصورة الحضارة العراقية عبر سنينها الطويلة ، وقد استمر المعرض ثمانية أيام ثم انتقل بعد ذلك إلى مدن أخرى .

الإسلام والنظام الجديد

ذلك **هو عنوان الندوة التي عقدت في مدينة (طوكيو)** واشتركت فيها أثنتان وسبعون شخصية إسلامية من أربعين دولة ، وقد نوقش فيها العديد من الموضوعات التي تدعو إلى تطبيق نظام دولي أصبح أكثر أهمية في الوقت الحالي والمتمثل في مبادئ الإسلام .

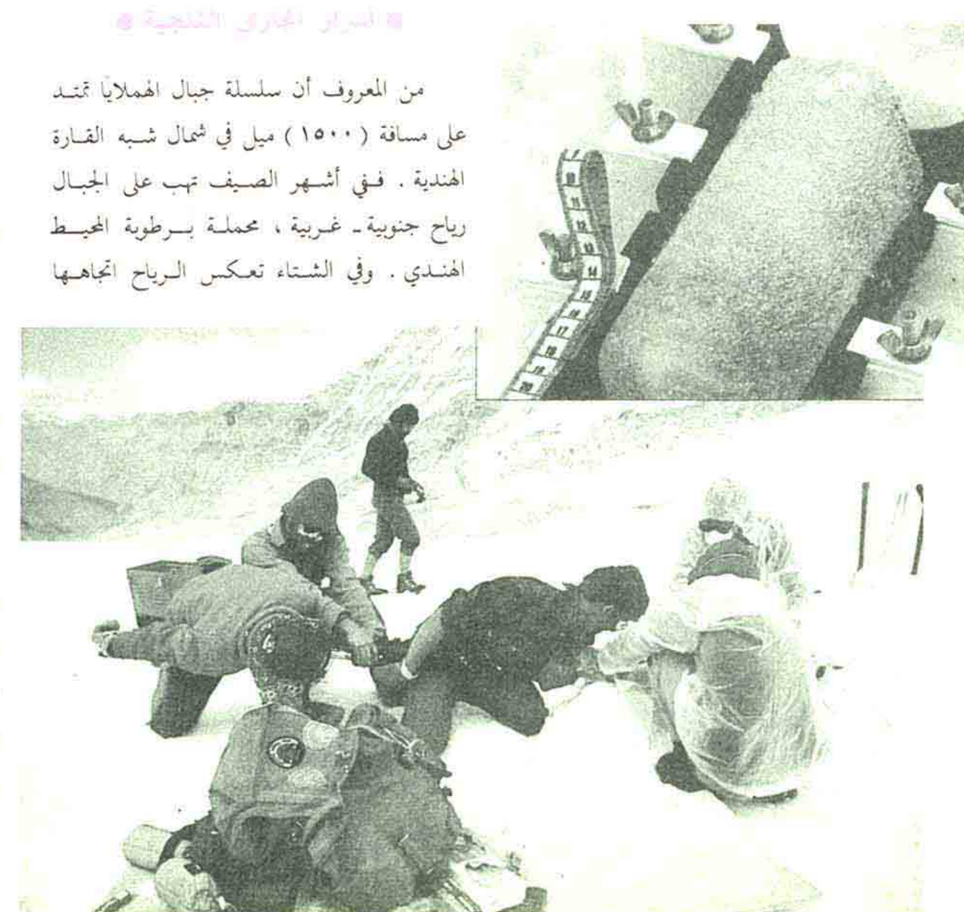
وفاة لويس كاسترمان

توفي الناشر البلجيكي « **لويس كاسترمان** » الذي ذاعت شهرته في العالم بعد توليه إصدار مجلة « **تان تان** » التي أدخل عليها تجديدات كثيرة في الأعوام الأخيرة ، فقد تولى (كاسترمان) إدارة النشر في « دي تورنا » عام ١٩٨١ م ، وهي دار كانت قد أسستها أسرته عام ١٧٨٠ م ، وظل أفرادها يمتلكونها بالوراثة وبدأت هذه الدار في نشر سلسلة مجلات « تان تان » ابتداء من العام ١٩٣٤ م ، وقد تولى خلال حياته رئاسة نقابة الناشرين البلجيكيين في الفترة من ١٩٥٥ ـ ١٩٦٥ م ، توفي وعمره (٨٨) سنة فانطبقت عليه العبارة الدائمة التي تكتب دائماً على غلاف مجلة « تان تان » والتي تقول « مجلة الشباب من سن ٨ إلى ٨٨ » .

قاموس عربي ـ بولندي

شرعت مجموعة من طلبة (أكاديمية بولندا العلمية) ـ والمتخصصة في حقل الدراسات العربية والإسلامية ـ **بالعمل على إصدار قاموس عربي بولندي ، وبولندي عربي** . سيتضمن القاموس أكثر من **خمسين ألف كلمة** ، وقد جاءت فكرة هذا المشروع الحيوي الهام نتيجة للتعاون بين وزارتي التعليم والبحث العلمي العراقية والأكاديمية العلمية البولندية .

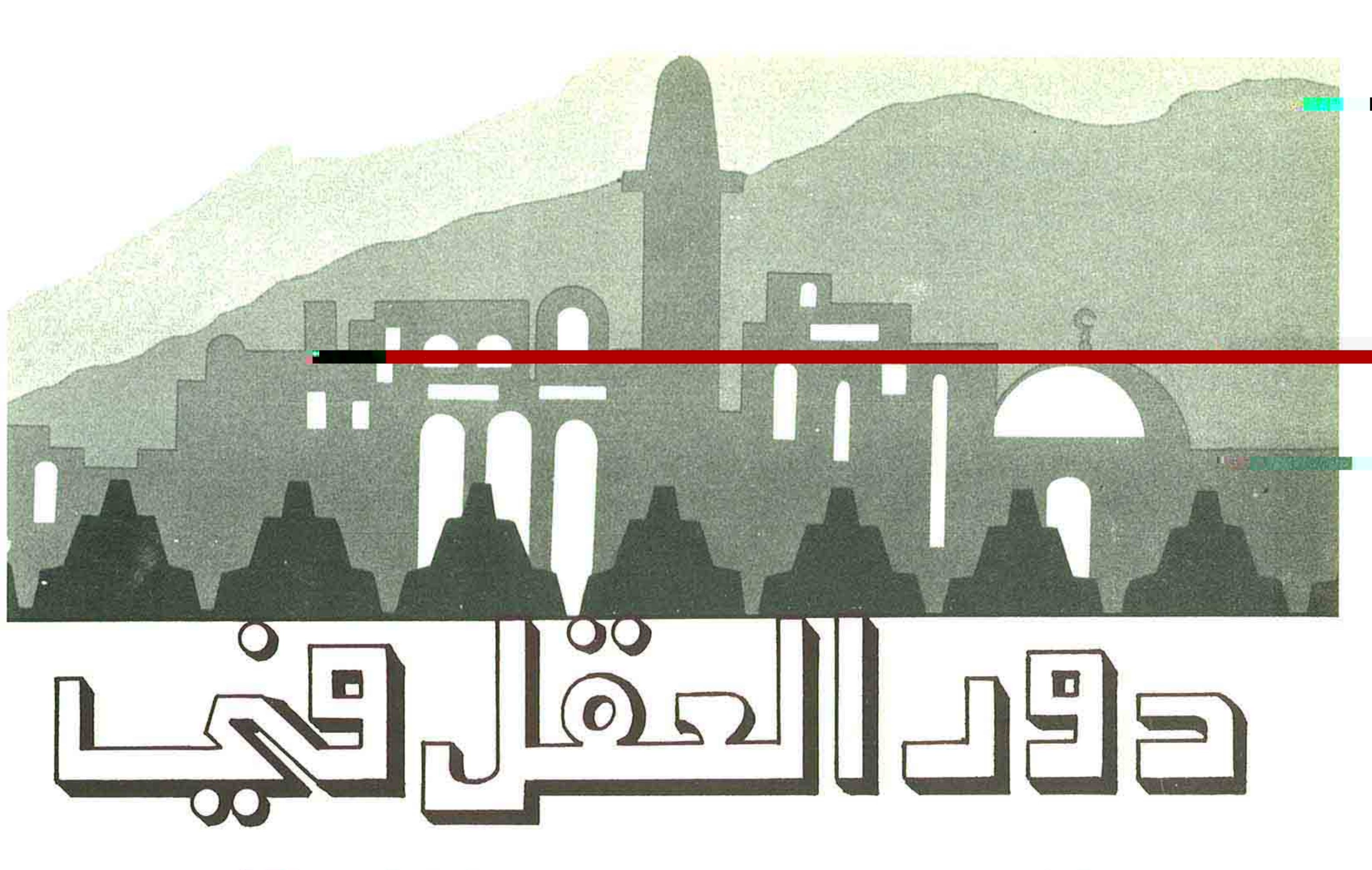
أسرار الجبال الثلجية



من المعروف أن سلسلة جبال الهملايا تمتد على مسافة (١٥٠٠) ميل في شمال شبه القارة الهندية . في أشهر الصيف تهب على الجبال رياح جنوبية ـ غربية ، محملة برطوبة المحيط الهندي . وفي الشتاء تعكس الرياح اتجاهها محملة ببرودة **هضبة التيبت** في الشمال . وفي كلتا الحالتين فإن الرياح الشتوية والصيفية تضيف طبقات جديدة من الثلج تتراكم فوق جبال الهملايا .

هذا التعاقب يساعد على معرفة عمر هذه الطبقات الثلجية : طبقة الصيف تكون كبيرة السماكة ، تليها طبقة الشتاء الرقيقة نسبياً (مثل تحديد عمر الأشجار تماماً) . كل طبقة تحفظ في طياتها سجلاً عن ظروف الطقس وتركيب الهواء في تلك السنة ، على شكل كميات ضئيلة من المواد الكيميائية التي يحتضنها الثلج .

في الصورة نجد مجموعة من الباحثين يأخذون عينات من الثلج (الصورة العليا) لدراستها ، وتحديد تركيبها الكيميائي . ويعلق الباحثون على هذه الدراسة آمالا كبيرة في كشف تغيرات الطقس الغابرة في هذه المنطقة ، التي قد تفيد في فهم تغيرات الطقس في نصف الكرة الشمالي بأسره .



دور العقل في

ثلاثة أدوار .. للعمل العقلي

العقل الذي يخاطبه الإسلام يقوم بأدوار ثلاثة .. فهو الذي يميّز الأضداد، ويوازن بين الأمور ويدرك الحقائق، ويعصم الضمير، ويقابله الجمود والعنت والضلال، وليس بالعقل القاصر عن الإدراك والذي يقابل الجنون، فإن الجنون مُسقط للتكليف.

فالدور الأول للعمل العقلي ــ وهو دور عام ــ يقوم على أساس القدرة على التفريق والتمييز **بفطرته بين الخير والشر** وإن تفاوتت العقول في تقدير ما هو شر وما هو خير، فمن العقول ما يدرك، أن عملاً ما، فيه خير له، نظراً لمنفعته الخاصة التي تعود عليه، وربما كان هذا الشيء شراً في حقيقة الأمر لهذا الإنسان بالذات.

والدور الثاني من عمل العقل، أنه **يوازن بين خير الخيرين، وشر الشرين**. فالمقام الأول، كان التمييز فيه بين الخير والشر، وهذا المقام، التمييز فيه، بين طرفين من الخير أو من الشر، وهذا الدور أدق وأصعب على العقل من الدور الأول، إذ إن الإدراك فيه **فطري، وهذا الإدراك نظري**، يحتاج إلى كثير من التأمل.

الدور الثالث: **إدراك الحقائق**، إذ يستطيع العقل، بعد الجهدين السابقين، أن يدرك الشيء إدراكاً تاماً على ما هو عليه.

ويأتي بعد ذلك، **الدور الرابع** وهو: **عصمة الضمير**، فيمنع العقل، صاحبه من كل ما هو ضار له، ولا يغيب عن الأذهان أن تقدير الضرر أو المنفعة، يختلف فيهما كثير من العقول.

للعقل السليم .. ثلاثة أطوار

والقرآن الكريم، في خطابه للعقل، يلاحَظ أطواراً ثلاثة يمر بها كل عقل سليم:

أ ــ البحث والروية، والفكر والتأمل وإطالة النظر، وإلى هذه المرحلة يخاطب القرآن الكريم الناس بنحو قوله **﴿ قل انظروا ﴾**، وقوله **﴿ أو لم ينظروا ﴾**، وقوله **﴿ أو لم يتفكروا ﴾**.

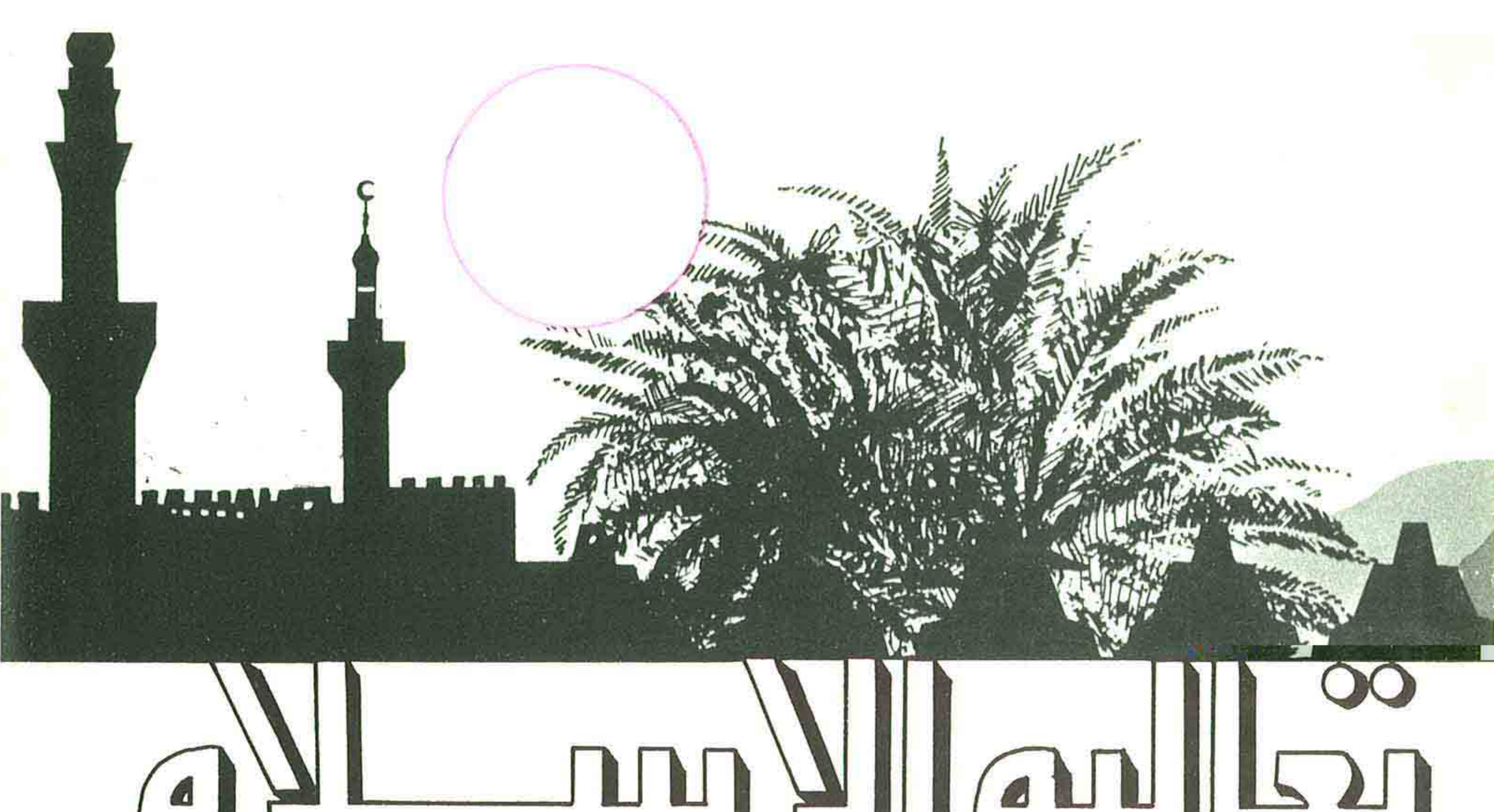
ب ــ فإذا انتهى العقل من بحثه، ووصل إلى الحقيقة، خاطبه بلفظ العقل، كما قال **﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾**، وقوله **﴿ ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾**، أي: لا يستطيعون أن يدركوا الحقائق، بعد البحث والروية.

جـ ــ فإذا استخلص العقل النتيجة، خاطبه باللب، كما قال: **﴿ وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾**، وقوله **﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾** (سورة آل عمران، الآية ١٩).

وللعقل الفطري ثلاث مراتب

ومراتب العقل أربع:

أ ــ **الاستعداد المحض لإدراك المعقولات**، وهذا يوجد في الأطفال المميّزين، فإن لديهم استعداداً فطرياً لإدراك ما هو معقول ومقبول.



تعاليم الإسلام

بقلم: د. محمد عبد المنعم القيعي

ب ـ **العقل بالملكة** وهو: استعداد النفس لاستنباط النظري من الضروري، ويوجد هذا لدى كل البالغين الذين سلمت عقولهم من الآفات. هؤلاء يدركون الضروري، ويمكنهم أن يستنبطوا النظري منه، فإذا كان الواحد نصف الاثنين ضرورياً، فإنهم مستعدون لتقبل أن واحداً وواحداً يساوي اثنين.

جـ ـ **العقل بالفعل**، وهو: استنباط النظري من الضروري، ونلاحظ أن في السابق استعداداً فقط وهنا استنباط بالفعل.

د ـ **العقل المستفاد**، الذي لا يغيب عنه ما أدركه من النظريات حتى يصير ملكة من الملكات الراسخة في العقل، ويوجد هذا في الراشدين من المفكرين. هؤلاء لا يغيب عنهم ما أدركوه، قال تعالى: **﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾** (سورة البقرة، الآية ٢٦٩).

موانع العقل

والموانع الكبرى للعقل، كما يصورها القرآن الكريم، ثلاثة:

أ ـ تقليد الآباء:

ذلك أن حب الآباء قد ينسي الأبناء التفكير في كثير من القضايا فيندفع المرء مقلداً لمن يحب بغير روية، وقد حكى القرآن عن قوم قالوا **﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾** (سورة الزخرف، الآية ٢٣)، تلك هي المشاعر النفسية التي يتكون منها المزاج، وفيها يستقر الماضي. كأن الآية تعبر في دقة، عن ما انتهى إليه علماء النفس من أن الإنسان ابن أبويه وابن شعبه أيضاً. قال تعالى: **﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾** (سورة البقرة، الآية ١٧٠).

ومع دعوة القرآن الكريم إلى نبذ التقليد، أمرنا بتوقير الآباء، ليفصل بين **وجوب احترامهم وجواز تقليدهم**، فاحترامهم مطلوب، وتقليدهم غير مطلوب، فالأب عاش في عصر غير العصر، وله مفاهيمه التي قد تختلف قليلاً أو كثيراً، مع مفاهيم الأبناء على أنه **لا مكان لتقليد أحد فيما يخالف حكم الله ورسوله**.

ب ـ تقليد أصحاب السلطة الدينية:

كثير من أصحاب السلطة الدينية يخطئون في فهم الدين، ومن الواجب التفريق بين مقررات الدين وما فهمه المنتسبون إليه. فمنهم المصيب ومنهم المخطئ. ومنهم السطحي أو الخيالي. وكل هذا لا يُحسب على الدين، فما نُسب إليه وليس منه، يجب طرحه، **﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾** (سورة النساء، الآية ٥٩).

وقال سبحانه عن المقلدين من غير المسلمين : ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** ﴾ (سورة التوبة ، الآية ٣١) .

وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم : كيف يعبد غير المسلمين أحبارهم ورهبانهم ؟ فقال : **أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم** . ومعنى هذا أن على المكلف أن يستخدم عقله للتمييز بين الخير والشر ، والحق والباطل ، وألا يكون مفتوناً بحب أب أو صاحب دعوة ، قد يلعب به هواه .

ج ـ **الإرهاب الفكري** : متى شعر العقل بالمؤاخذة ، على تفكير يبديه أحجم واحتفظ به في داخله ، وربما تعطل عن التفكير نتيجة الإرهاب المتسلط عليه وربما حصر تفكيره فيما يرضي به المستبدين . وها هو فرعون يعلن في تسلط قائلاً : ﴿ **ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد** ﴾ (سورة غافر ، الآية ٢٩) .

آفة العقل : الغرور والضلال

والعقل الإنساني ، لا يُصاب بآفة أضر له من الجمود على حالة واحدة يمتنع عنده كل ما عداها **فالجمود يشل التفكير ، والجامد لا يلد حركة ، والخامد لا يبعث حياة** .

والعنت والعناد ، آفة تصيب العقول ، نتيجة غرور كامن فيها ، كالنظر إلى من يعارضه فيراه أقل منه ويحجم عن اتباعه ، وفي الإسلام : « **الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فأنى وجدها فهو أحق بها** » .

ومن الآفات التي تصيب العقل ، آفة الضلال ، فيقع في الحيرة ، أو يقبل على الباطل ، ويدع الحق . ولا منجي ، للعقل من هذه الآفة ، إلا معونة الله وتوفيقه . ومهما بلغ الإنسان أرقى درجات التعقل ، فإنه معرض للزيغ ، وما أحسن من قال :

إذا لم يكن عون من الله للفتى
فليس لمخلوق إليه سبيلُ
فإن هو لم يرشدك في كل مسلك
ضللتَ ولو أن السماك دليلُ

ومن تتبع الذين اغتروا بعقولهم ، رأى الخلاف بينهم أكثر من الاتفاق ، وكل يحاول أن يقلل من شأن سابقه ، وأن يهون من قيمة بحثه . وهكذا رأينا الفلاسفة يهيمون على وجوههم ، ويقول قائلهم :

نهاية إقدام العقول عقال
وأكثر سعي العالمين ضلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا
سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وقال آخر :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها
وقلبت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر
على ذقن أو قارعاً سن نادم

ولا يبطل في الإسلام عمل العقل أن الله بكل شيء عليم ، فإن خلق الإنسان للعمل لا يسلبه القدرة على التفكير ، ولا يعفيه من تبعة الضلال والتقصير .

فإذا جاء الإسلام بتعاليم ، كان دور العقل فيها أن يبذل قصارى جهده في تفهمها وتذوقها ، فلم تجئ من عقل يتأثر بالعادات والأمزجة ، أو يتأثر بالمنافع المحدودة الخاصة وإنما ، هي تنزيل من حكيم حميد ، يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير .

فحقيقة هذه التعاليم الإسلامية أمر مقرر ، لا مجال للعقل أن ينظر ، هل هي حق ، لأنها الحق ، **وماذا بعد الحق إلا الضلال** ، ولسنا نقول ذلك ، تعصباً لديننا الذي نعتز بالانتساب إليه ، إنما نحن نجزم وعلى استعداد للبرهنة على صحة ما نعتقده . فالإسلام لم يلغ العقل ، بل احتكم إليه فيما هو من مجاله ، وحكى عن قوم عطلوا عقولهم وقالوا ﴿ **لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير** ﴾ (سورة الملك ، الآية ١٠) .

والغيب الذي جاء به الإسلام ، لا يناقض العقل ، **فإن العقل محدود ، والغيب غير محدود** .

بين المعرفة والإيمان

والمعرفة في الإسلام معرفتان :

معرفة عقلية ، ومعرفة إيمانية . تعلو فوق العقل ، لأنها ترتفع عن مجاله المحسوس المشاهد ، فعلى العقل أن يفكر بحرية فإذا انتهى إلى غايته ، تولاه الإيمان فيما لا مجال للعقل فيه ، وحينئذ يصل المسلم إلى السلامة بالعقل والإيمان على وفاق .

فالإيمان حرية صحيحة ، تعصم من دروب الذل كلها ، فيغذي العقل بالحرية التي هي من ضرورياته والإيمان منفعة خالصة ، لأنه الحد الفاصل بين النفس وشهواتها ، فيعصم العقل من الزلل .

وهو عزاء نافع ، يلهم العقل ، حكمة كل مصيبة ، أو يلهمه الثقة بالحكمة ، التي يجهلها ، فيحتفظ للعقل بقيمته الحقيقية . ولو أن للفضيلة عبادة تعبد الله بها ، لكان لها من أخلاق كل امرئ صحيح الإيمان مسجد تعبد الله فيه .

فالإيمان ، لا يلغي العقل ، بل يكرمه ، ويشيد من شأنه ، بيد أنه يلزم العقل بالوقوف ، عند حده ، فليس من حقه التطاول بغير علم ، ولا البحث فيما لا يدركه . أما في مجاله ، فعليه أن يفكر وأن ينطق وأن يبحث عن الحكمة ، وأن يرقى حتى يتذوق ، ثم يقول ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٩١) .



كما يجب أن نؤمن به !!

بقلم: د. عبد الحليم عويس

كم هي كثيرة تلك الكتب التي حاولت أن تعطي إطاراً شاملاً للإسلام .. لكن من بين هذا السيل لم يستطع أن يصعد إلى قمة الحقيقة الإسلامية إلا دراسات قليلة .

ويا لها من متعة روحية وفكرية تلك التي تنقلك إلى أفق الإسلام السامق ، وأنت تعيش مع تلك الدراسات التي استطاعت أن تدنو من قمة الإسلام السامقة ، تلك القمة التي لا تُستشرف بالعقل وحده ، فليست هي بالنظرية الفلسفية أو القانونية ، ولا بالوجدان وحده ، فليست هي بالحدس الصوفي ، أو التجريدية البوذية . . .

وإنما الحقيقة الإسلامية (نسيج متكامل) يواجه الحقيقة الإنسانية بكل تعقيدها وتكاملها ، فيُشبع فيها سائر جوانبها النفسية والروحية والفكرية على نحو متكامل .

أجل : أيّ متعة يعيشها المسلم المعاصر وهو يقرأ بعض الأمهات التي استطاعت أن تترجم الحقيقة الإسلامية ترجمة صحيحة ، وارتفعت إلى درجة النجاح في أن تنطلق من الحقيقة الإسلامية وحدها — من جانب — وأن تتعامل مع الإسلام بوسائله الشاملة الكاملة من جانب آخر . . . فهي لا تُسقط عليه من خلفياتها الثقافية ، وهي لا تركز على زاوية دون زاوية ، وهي لا تتعامل معه تعاملاً نفعياً أو انتقائياً ، وإنما تريد أن تتلقاه كما تلقاه الصدر الأول من السلف ، وكما قال والد العلامة **(من إقبال)** له في نصيحته الذهبية :

« يا بنيّ اقرأ القرآن كأنما أنزل عليك » !! .

★ ★ ★

إن الإسلام الكامل النقي الصادر عن مصادره الأساسية ، الذي توضع حقائقه في وعاء عقلي ووجداني نظيف .. هذا الإسلام هو (مشكلة المشكلات) التي تواجه المسلمين على مشارف القرن الخامس عشر للهجرة !! .

إننا بحاجة إلى إنسان يخلع عنه ضغوط الفلسفات العالمية ، واستبداد التصورات الجزئية للإسلام .. ويقرر أنه يريد أن يتلقى الإسلام كما تلقاه جيل الصحابة .. ثم إنه — أي هذا الإنسان — لن يكون بعد ذلك مجرد وعاء جامد ساكن ، يوضع بما يحتويه — في المتاحف التاريخية — وإنما سيواجه بهذا الإسلام عالم اليوم ، بفلسفاته ، وتعقيداته ، ومختلف تحدياته الفكرية والسلوكية والتكنولوجية . . . إنه لن يشكل فهمه للإسلام على أساس ما يسمى بالمحيط السائد أو روح العصر ، بل إنه — بإسلامه النقي — سيشكل المحيط الثقافي والفكري السائد وسيصوغ روح العصر بصيغة الإسلام . . .

لكن . . . كيف يمكن للمسلم أن يعدل هذا المسار المسمى بالمحيط السائد ، أو بروح العصر ، وهو مثقل بأوزار هذا المحيط ، منهزم تحت ضغط روحه ومناخه ؟ .

إن ذلك غير ممكن . . . وإن التجرّد من هذا المحيط والاستعلاء على هذه الروح إنما هما شرط لإصلاحها ولتقويمها التقويم الموضوعي الإسلامي الصحيح .

ومن هنا وعند هذه النقطة نجد أنفسنا نختلف مع الأستاذ **(الشاذلي القليبي)** حين يقول في كتابه (من قضايا الدين والعصر) ص (٢٦) ما نصه :

« أعتقد أنه من غير المعقول أن نعزل عملية فهم الإسلام عن المحيط الثقافي والفكري السائد في مجتمعاتنا المعاصرة . ولا يمكن الاقتصار في معالجة مشاكل العصر على أدوات أعدت منذ قرون طويلة ، وفي أوضاع فكرية واجتماعية مغايرة للأوضاع التي نعيشها اليوم . فكما أن للعلوم والفلسفة أدواتها الفكرية التي تطورت بحسب تطور الفكر ، وخلجات الضمير ، وتبدل الأحوال الاجتماعية فكذلك لا مندوحة أن تتغير أساليب التحليل والاستنباط في كل ما يتصل بفقه الدين ، وتنظيم المعاملات ، وتعميق الأخلاق » .

فهذه المقولة العامة التي حملها النصّ السابق تحتاج إلى تمحيص وتحليل . . . لأننا إذا أخذناها — بجملتها — فإنها تضعنا أمام إسلام

لا ثوابت فيه ، ولا جذور عميقة خالدة يتكئ عليها بناؤه الفكري .

إنه إسلام يتطور من قرن إلى قرن ، ومن عقل إلى عقل ، ويخضع في فهمه وتفسيره لشتى التيارات الثقافية والفكرية التي تمرّ به أثناء رحلته في التاريخ . . . وليست له هويّته الصامدة !! .

ومثل هذا الإسلام ، بمثل هذا الإسقاط الفكري الدائم عليه ، يمكن أن يتباين أثناء رحلته في التاريخ تبايناً شديداً حتى ينقطع الحبل يوماً ما ـ لا قدَّر الله ـ بين إسلام محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته ، وإسلام أثناء القرن الرابع عشر للهجرة !! .

وما إلى هذا ـ في رأينا ـ قصد كاتب النصّ !! ولكن العمومية ـ في التعبير ـ توحي بهذا الذي ذكرناه . بل هي تكاد تؤكد لنا أن الكاتب يريد منا :

● أن لا نقتصر في فهمنا للإسلام على أدوات أعدت منذ قرون طويلة ، وهو كلام يزيح الثوابت الإسلامية من مكانها ، ويجعل شأن الإسلام ، كما أشار الكاتب صراحة ، شأن العلوم والفلسفة في خضوع نظرياتها للتطور المستمر .

● والكاتب يريد منا ـ أيضاً ـ أن تتغيّر أساليبنا في التحليل والاستنباط في كل ما يتصل بفقه الدين ، وتنظيم المعاملات وتعميق الأخلاق .

ونحن ـ كما ذكرنا سلفاً ـ لا نؤيد هذا المنهج (في فقه الإسلام) ونرى أنه ، **لكي نفهم الإسلام ، يجب أن نعطي أنفسنا فرصة الفهم الموضوعي للإسلام بعيداً عن أية ضغوط خارجية ، كما أننا يجب أن لا نصر على فرض مقولات أو مشكلات مرحلية ملحة على الإسلام ، فلربما كان للإسلام منظوره الكلي الذي يمتص المشكلة المرحلية ويضعها في إطارها الاجتماعي الكلي .**

كيف نفهم الإسلام ؟

إنني لا أملك حصراً شاملاً لهؤلاء الذين ألّفوا كتباً تحت العنوان السابق . . لكني أعرف كتابين فقط صدرا تحت هذا العنوان نفسه :

أحدهما لمسلم عربي وهو **الشيخ محمد الغزالي** ، وقد صدر في الخمسينات من القرن الميلادي (السبعينات من القرن الهجري) ، والثاني لمفكر أوروبي هو **البروفيسور « فريتجوف شيون »** وترجمه إلى العربية سنة ١٩٧٨ م ، **الدكتور عفيف دمشقية .**

وقد توجه أولهما وهو الشيخ « محمد الغزالي » بكتابه إلى المسلمين . . أما ثانيهما وهو المستشرق « شيون » فقد توجه بكتابه إلى الغربيين الذين لا يعرفون إلا القليل المشوّه عن الإسلام . **وقد أثبت لنا « شيون » أنه نفسه لا يعرف الإسلام الحقيقي الذي تنزّل على محمد والذي وعاه المسلمون فكراً وحضارة .**

إن هذا ليدلنا عليه ما كتبه (شيون) في الصفحة الرابعة والثلاثين من كتابه (كيف نفهم الإسلام) حين قال :

« ولكي نفهم الحضارات التقليدية بعامة ، والإسلام بخاصة ، علينا أن ندخل في حسابنا أن القاعدة الإنسانية أو النفسانية في عرف تلك الحضارات ليست الإنسان العادي الغارق في الوهم ، وإنما الولي المتجرد عن الدنيا المتعلق بالله . **فهو وحده الطبيعي تماماً** ، وبذلك له وحده كل الحق في الوجود ، مما يؤدي إلى نوع من نقص التحسس بما هو إنساني صرف وسيط . وإذا كانت تلك الطبيعة البشرية قليلة الحس بالخير الأعظم ، وجب عليها في حال فقدانها الحب أن تشعر على الأقل بالخشية » .

وهكذا يمسح (شيون) « الدنيا » من خريطة الزمان الإسلامي ، ومن الرؤية الإسلامية التي تنصّ صراحة في القرآن الكريم : **﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ .**

وإن (فريتجوف شيون) ليثبت لنا وهو يحاول أن يعلم الأوروبيين (كيف نفهم الإسلام) أنه نفسه في حاجة ماسة وشديدة إلى من يعلمه : كيف يفهم الإسلام ؟ .

★ ★ ★

أجل : **كيف تفهم هذه البشرية مسلمها وكافرها ـ بل مسلمها قبل كافرها ـ هذا الإسلام الذي تنزّل على محمد النبي العربي الأمي منذ أربعة عشر قرناً ؟** وذلك بعيداً عن أية إسقاطات إضافية ، أو تجزئة تخل ببنائه المتكامل ؟ علماً بأن هذا الإسلام ليس نظرية معقدة ، أو فلسفة مركبة ، إلى هذا الحد الذي قد يوحي به كلامنا .

وكيف يتسق القول بصعوبة الإسلام مع ما نقله لنا التاريخ الموثق من أن العربي كان يسيغ حقائق الإسلام البسيطة في دقائق معدودات ، ثم يصبح من أكبر الذائدين عنها . . . حتى يلقى الله عليها . . ؟ .

● كلا : ليس الإسلام ديناً صعباً ولا نظرية معقّدة ، ولا بناءً فلسفياً يقوم على زخم جدلي ، ويعتمد في أسسه وطوابقه على منحنيات ومعرجات ومقولات فكرية يصعب استيعابها !! .

أجل : هذا صحيح .

● لكن الإسلام ـ مع ذلك ـ ليس بناءً هشاً يستطيع أن يتلاعب به كل ضحل العقل والجسم ، ولا أن يزعم القدرة على التعبير عنه كل عيي ، منحرف اللسان والمزاج ، ولا أن يفرض عليه أحدهم ـ بضيق فكره ـ حصاراً عند مدى معين ، سواء كان هذا المدى اقتصادياً أو اجتماعياً أو فكراً أو نزعة روحية أو عقدية أو أية خلفية فكرية أو اجتماعية .

« إن هذا الدين متين » !! .

● ولكي نفهم مفاتيحه الأساسية لا بد أن نوغل فيه برفق ، وأن نتجرد عن كل موروث متسلط أو نزعة فردية متحكمة .

● ولا بد من أن نقبل تسلطه على عقولنا ، لا أن نسلط نحن عليه عقولنا ـ بآمادها المختلفة ، وآفاقها المتباينة ـ التي قد تصبغه بصبغتها . . .

● لندخل إلى رحابه كما يدخل الزائر الأجنبي الذي لم تقتل حسَّه العادة المدمرة ، ولا الإلف القاتل ، ولتكن مهمتنا أن نكشف عن (هندسته) وجماله كما هو في بنائه الماثل أمام أعيننا . . .

● ولنحذر أن ندخل عليه ، بتخصصاتنا الضيقة ، أو باهتماماتنا الموغلة في الذاتية .. فإننا - إذا فعلنا ذلك - سنكون كالمزارع الذي خرج من أعظم قصور العالم ليتحدث عن جمال الحديقة الموجودة في القصر ، وأنواع المزروعات التي تنبت بها ، دون أن يسترعي انتباهه بقية ما في القصر من هندسة وفن وجمال ، أو النجّار الذي دخل القصر ليركز اهتمامه على تصاميم النجارة ، أو مهندس الزخرفة الذي انحصر اهتمامه في الألوان والزخارف وتشابك الخطوط ...

كلا ... فلندخل إلى هذا القصر محايدين ، نحمل في أعماقنا رؤية نافذة تعطي لكل جانب حيِّزه ، وتريد أن تحصل على الرؤية الكلية ... وتتعرف على التنسيق المتكامل ، .. دون أن تغفل الجزئيات الصغيرة ... لكنها لا تسمح لهذه الجزئيات بأن تطغى على إطار القصر الكبير ...

إننا عندما نتسلح بهذه الروح سنجد أنفسنا في الحالة نفسها التي وجد فيها نفسه زائر أجنبي للإسلام ... دخل قبلنا - نحن الذين تعوَّدنا الإسلام - بالروح نفسها ، فوجد نفسه يعيش في أجواء من الحبّ المثالي ، بحيث ارتفع فوق كل العلاقات القانونية ، وبهرته عناصر الانسجام والاتساق والجمال والقوة في البناء ... فراح يعبِّر عن ذلك بقوله - لنفسه - مندهشاً :

- لماذا اعتنقت الإسلام ؟ .

- وما الذي جذبك منه خاصة ؟ .

ثم يجيب نفسه .. قائلاً :

« إنني هنا يجب أن أعترف بأنني لا أعرف جواباً شافياً ، فلم يكن الذي جذبني تعليماً خاصاً من التعاليم ، بل ذلك البناء المجموع العجيب والمتراص بما لا نستطيع له تفسيراً من تلك التعاليم الأخلاقية ، بالإضافة إلى منهج الحياة العملية .

« ولا أستطيع اليوم أن أقول أيّ النواحي قد استهوتني أكثر من غيرها ، فإن الإسلام على ما يبدو لي ، بناء تام الصنْعة وكل أجزائه قد صيغت ليتمم بعضها بعضاً ، ويشدّ بعضها بعضاً ، فليس هناك شيء لا حاجة إليه ، وليس هنالك نقص في شيء ، فنتج عن ذلك كله ائتلاف متزن مرصوص . ولعل هذا الشعور من أن جميع ما في الإسلام من تعاليم وفرائض (قد وضعت مواضعها) هو الذي كان له أقوى الأثر في نفسي ، وربما كانت مع هذا كله أيضاً مؤثرات أخرى يصعب عليَّ الآن أن أحللها . وبالإيجاز فقد كان ذلك قضية من قضايا الحب ، والحب يتألف من أشياء كثيرة : من رغباتنا وتوحدنا ومن أهدافنا السامية وعثراتنا ومن قوتنا وضعفنا ، وكذلك كان شأني »[1] .

الرسم الهندسي للإسلام

إن إبداع الخالق في جمال دينه جعله هادياً للتي هي أقوم ، وجعله صالحاً لكل زمان ومكان ...

● هذا الإبداع - في رأينا - لا يقل عن إبداعه - سبحانه وتعالى - في الكون ...

● إنه كون محكم ... جملةً وتفصيلاً ...

● وإنه دينٌ محكم - كذلك - جملة وتفصيلاً ..

● وكما أن أيّ خلل في بناء الكون ، من شأنه أن يحدث كارثة كونية كبرى ، قد تصيب الحياة في صميمها .. فكذلك أمر هذا الإسلام .. إنه منزَّلٌ من الذي أحاط بكل شيء علماً ، والذي يعلم من خلق ، وهو اللطيف أي العليم بدقائق الأمور ، والخبير أي المحيط بكلياتها .

فلا خلل - أدنى خلل - في هندسة هذا الدين ، بل كل شيء قدَّره الله تقديراً ، ووضع له الموازين القسط ، ولو كان فيه أدنى خلل من اختلاف أو تناقض ، لكان من عند غير الله ، ولأضلَّ بدل أن يهدي ، ولأوقع العقل البشري ، والضمير ، في محنة ، من أشدِّ المحن ...

● وكما يستطيع الفلكي أن يعرف إعجاز الله في الكون .

● وكما يستطيع الطبيب أن يدرك إعجاز الله في الجسد .

● كذلك يستطيع الحسُّ المسلم أن يعي ما في هذا الدين من إعجاز في العقيدة والتشريع والأخلاق ، في دقة تقدر الله حق قدره ، وتقدر الإنسان حق قدره ، بلا تفريط في حق الله أو إفراط في حق الإنسان .

● أرأيت إلى (**سُوَر القرآن**) ... كيف تنتظم كلًّا منها (**الوحدة العضوية**) ، وكيف تمتزج في كل منها الجوانب العقدية والتشريعية والأخلاقية بلا فواصل ، ولا تقسيم نوعي ، بل كلها تنساب في مجرى واحد ، وتتفاعل تفاعلاً متكاملاً .

● هذه السور القرآنية بهذا المنهج تعكس لنا الرأي القرآني في هندسة الإسلام ، وفي هندسة الإنسان .

فهندسة الإسلام ليست طوابق مستقلة ، يمكن أن ينفصل فيها طابق عن طابق ، وليست - أيضاً - غرفاً مستقلة ، يمكن أن تنفصل فيها غرفة عن غرفة ... وحتى لو حدث تركيز على جانب ، فإن المنهجية العامة توجب ربطه بالمجرى العام ، حتى لا يفقد تأثيره ...

فعقيدة التوحيد مثلاً ، واضحة ، وهي الأساس الصلب والثابت في البناء الإسلامي .. لكن هذه العقيدة لا يجوز أن تنفصل عن بقية البناء ، ولا أن يكتفى بها ... فاليهود - مثلاً - وبعض الطوائف في هذا العالم - هم موحدون - لكنهم - مع ذلك - ليسوا مسلمين .

والشريعة من غير العقيدة مجرد قانون ، فاقد الطعم والروح ، وإن تطبيقها ، من غير العقيدة والأخلاق ، أمر لا علاقة له بالإسلام .

ودماثة الخلق ، والشاعرية الحالمة ، والفنون الجميلة ، هذه كلها - مهما كانت قيمتها - إذا انفكت عن الأساسين العقدي والأخلاقي ، وعن الاتصال العضوي بالبناء كله في كل كلياته وجزئياته ، فقدت تأثيرها ، وأصبحت مجرد « أسلوب نفعي » اجتماعي .

والإنسان هو كينونة متشابكة ، فامتزاج الروح والضمير والوجدان بالجسد المادي ، بلا فواصل ، ولا حدود مرسومة ، هو أمر بديهي في الحقيقة الإنسانية .

ويمثل لنا تطبيق كل عبادة من العبادات الإسلامية نموذجاً عملياً للهندسة الإسلامية .

فالصلاة، ولنأخذها كصورة مصغرة للإسلام، تتميز باحتوائها لسائر كليات الإسلام، فالعقيدة، والتربية النفسية والجسدية والعقلية والروحية والأخلاقية والاجتماعية موجودة فيها . . . فالنية، والاتجاه إلى القبلة، وتكبيرة الإحرام تؤدي الدور العقدي، والقراءة للفاتحة، وألوان الذكر تؤدي الجانب النفسي والفكري، والحركات تؤدي الجانب الجسدي، وأسلوب صلاة الجماعة، يؤدي الجانب الأخلاقي والاجتماعي.

ونحن بقليل من **التمعن** نجد سائر الجوانب في تحليلنا للصيام والزكاة والحج . . .

وهكذا تبدو «**التكاملية العضوية**» متجسدة في «وحدات» الإسلام، أو في «غرفه»، كما تتجسد ـ كذلك ـ في البناء كله.

وإذا نحن حاولنا فحص الخطوط والمعالم المتشابكة في البناء الإسلامي، فإننا سنجدها متداخلة، لكنها في النهاية نسيج متكامل، وخطوط واضحة متكاملة . . .

فنحن إذا نظرنا إلى بناء الإسلام من زاوية سنجده يمتاز بالتالي:

(١) إنه دين الفطرة.

(٢) وهو دين العقل.

(٣) وهو دين العلم والحكمة.

(٤) ودين القلب والوجدان والضمير.

ومن منظور آخر نجد بناء الإسلام يتجلى لنا على أنه:

(١) دين الوحدة الإنسانية، فهو الإسلام الممتد في التاريخ.

(٢) وهو دين المساواة بين كل البشر.

(٣) ودين الحرية لكل البشر.

(٤) وهو الدين الواحد لكل البشر: **﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾، ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾.**

(٥) وتشريعه تشريع واحد لكل البشر يخضع له ـ في أرضه ـ المؤمنون به وغير المؤمنين به، بلا ظلم أو إرهاق.

(٦) وهو دين العدل لكل البشر.

ومن منظور ثالث ننظر لبناء الإسلام فنجده بني على خمس:

(١) شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

(٢) وإقام الصلاة.

(٣) وإيتاء الزكاة.

(٤) وصوم رمضان.

(٥) وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً.

ومن منظور رابع ـ نجده ـ ينتظم ثلاثة أضلاع:

(١) العقيدة.

(٢) الشريعة عبادات ومعاملات.

(٣) الأخلاق.

ومن منظور خامس نجده يتميز في كل خطوطه وهندسته بالآتي:

(١) باليسر **﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾.**

(٢) بالوسطية **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾.**

(٣) بامتداد جسوره واتصالها بين الدنيا والآخرة.

(٤) بالتوازن بين جوانب النفس والروح والعقل والجسد.

(٥) وبالتوازن بين الفرد والمجتمع، والرجل والمرأة، والحاكم والمحكوم، وغير ذلك من الدوائر.

(٦) بسهولة تعاليمه ووضوحها، وخلوها من التقعر والتكلف الفلسفي، والأعرابي البدوي كان يأتي إلى المدينة فيسلم، فيعلمه **الرسول صلى الله عليه وسلم** الإسلام في مجلس واحد، فيعاهده على العمل به، فيقول الأعرابي: إني لن أزيد، فيقول الرسول: «أفلح إن صدق».

(٧) وبشموله لكل الجوانب، **فهو دين ودنيا ﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾.**

(٨) وبانفتاحه على كل العقول والعصور فهو صالح لكل زمان ومكان، ومن حق كل فرد تكاملت فيه شروط الاجتهاد أن يدرسه ويفقهه، ويسمَّى إنتاجه في فقه الإسلام بالفكر الإسلامي. **فهو ليس** حكراً على طائفة، وليست له مفاتيح سحرية لا يسمح إلا لبعض العقول بالحصول عليها.

(٩) انقسام التكليف فيه إلى عزائم ورخص، وكما يقول **المرحوم «محمد رشيد رضا»**، فإن **ابن عباس** كان يرجح جانب الرخص **وابن عمر** كان يرجح جانب العزائم. والناس درجات في التقصير والجد والاعتدال، **فالإسلام يوافق البدوي الساذج، والمفكر الكبير وما بينهما من الطبقات، وهو يستوعب عصر الجمل، وعصر المركبة الفضائية، وما بينهما، وما بعدهما.**

(١٠) وهو **دين شورى**، واجتهاد، في سائر المجالات، والفردية الاستبدادية، في الدين، أو العلم، أو الحياة، ليست من خصائصه.

★ ★ ★

وهكذا تتعدد دوائر (هندسة) البناء الإسلامي، لكنها، مع ذلك دوائر تنتظم اللحمة والسدى، والمضمون، والشكل، وليست ثمة انفصالية أو معالم حاجزة بينها . . . بل إن هذا الإسلام لينساب انسياب الماء في النهر، والهواء في الجو، والروح في الجسم . . .

إنه حياة في هذا الكون، ولهذا الكون، ولهذا الإنسان الذي استخلفه الله في الكون.

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾[2].

الهوامش

(١) محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق، ص(١٥) طبع مصر.

(٢) سورة الأنفال، الآية ٢٤.

تعتبر الثروة البشرية من أهم الثروات الأخرى التي تتواجد في أي بلد من بلدان العالم . لذلك ، فقد سارعت الجهات المسؤولة في كل بلد لتنمية تلك الثروة الثمينة ، وتعهدتها بالتنمية والتدريب والتخصص ، حتى تكون قادرة بإذن الله على استغلال الخيرات الدفينة التي حباها الله بها وهيأها لها ، والخيرات التي تطفو وتتواجد على سطح الأرض وفي أجوائها . وهذا يتطلب وضع سياسة تعليمية مدروسة ، لتزويد الوطن بما يلزمه من اختصاصات وقدرات بشرية متخصصة .

سياسة التعليم والخطط الخمسية للتنمية



بقلم : د . يوسف القاضي

والتنمية تتطلب دراسة علمية موضوعية ، ووضع خطط واستراتيجيات يتطلب تنفيذها أوقات محدودة بزمن ، وتوفير إمكانات وقوى بشرية وأجهزة لتنفيذها . والقوى البشرية يجري إعدادها لتأخذ على عاتقها تنفيذ الخطط الحاضرة ، وما يتبعها من خطط لاحقة . لأن التنمية هي عملية مستمرة وشاملة ، لا تتوقف عند حد ، ولا يحدّها زمن . فهي مستمرة ومتطورة وشاملة لجميع نواحي الحياة إلى ما شاء الله ، وتتطلب تدريباً مستمراً للقوى البشرية .

فالتنمية إذن ، هي هدف وطني للتطوير في مجال التعليم والاقتصاد والصناعة والعمران . والأداة العلمية التي تساعد على تحقيق التنمية بشكل منتظم ومدروس وموضوعي ، وتكفل لها الوصول إلى غاياتها ومراميها ، هي الخطة التي تتبناها الدولة ، ويعمل على تنفيذها المسؤولون ، كل في مجال اختصاصه وعمله . وسنولي بالبحث الخطط الخمسية التي أقرت ونفذت ، أو لا زالت في طور التنفيذ في المملكة العربية السعودية .

الخطة الخمسية الأولى

عملية التخطيط العلمي ، مع أنها جديدة في تطبيقها في بلادنا ، إلا

أنها تعد من أساسيات التنمية في جميع بلدان العالم المتطورة . فقد بدأ تطبيق التخطيط تطبيقاً علمياً مدروساً اعتباراً من بداية تنفيذ **خطة التنمية الأولى في المملكة العربية السعودية** ، في عام ١٣٩٠ هـ ، التي استمرت خمس سنوات ، (من ١٣٩٠ ـ ١٣٩٥ هـ) ، والتي توافق (١٩٧٠ ـ ١٩٧٥ م) . تلك الخطة الخمسية التي كانت عبارة عن تجربة شاملة ، واختبار لقدرات البلاد البشرية والتنفيذية والاقتصادية .

ولعله من الجدير بالذكر أن أذكر هنا ، أن هذه الخطة الخمسية ، (والخطة الخمسية الثانية والثالثة) ، تصدّرتها أسس ديننا الإسلامي الحنيف ومبادئه السمحاء ، ولا غرو في ذلك ، فالمملكة العربية السعودية هي رائدة التضامن الإسلامي ، والداعية له[١] .

وتعتبر الخطة الخمسية الأولى ، المنطلق الذي بدأت منه المملكة في تطوير مواردها البشرية ، والاقتصادية ، والمعدنية ، وبوتقة التجارب التي عرفت القائمين على تلك الخطة ، المجالات المختلفة التي تحتاج إلى دراسة وتثبيت في الخطة الثانية ، وترتيبها حسب أولويتها ولزومها للبلاد . كما أنها أفادت من ناحية الخبرة اللازمة لتطبيق مثل تلك الخطط . فقد اكتسب القائمون عليها ، خبرة في الدراسة ، والبحث الموضوعي ، وتقدير الميزانيات المطلوبة لتنفيذ المشروعات المختلفة ، وفي كيفية التعامل مع المؤسسات الداخلية منها والخارجية ، العربية والأجنبية . وهذا بحد ذاته كسب لا يمكن إغفاله ، من حيث أنه كان بمثابة القاعدة التي انطلق منها المخططون ، لتخطيط الخطة الخمسية الثانية .

ومن أهداف الخطة الخمسية الأولى ما يلي :

١ ـ زيادة معدلات النمو في الإنتاج القومي الكلي .

٢ ـ تنمية الموارد البشرية .

٣ ـ تنويع موارد الإنتاج القومي وتقليل الاعتماد على البترول .

وقد أعدت الخطة الخمسية الأولى في ظل موارد مالية قاسية ، إلا أنها بدأت تتحسن خلال السنة الأولى من الخطة . ولم تنقض السنة الثانية ، حتى بات من المؤكد للمسؤولين في الدولة أن العبء المالي المطلوب لتنفيذ الخطة قد تيسر بفضل زيادة أسعار البترول العالمية . لهذا كان التقدم والنجاح في تطبيق الخطة بطيئاً في السنتين الأولى والثانية ، ثم ما لبث القائمون على تنفيذها ، أن بدأوا بالإسراع بتنفيذها ، ووضعوا سياسة جديدة لتوسيع الخطة ببرامج جديدة ومشروعات تتمشى بطبيعتها ومردودها مع الأهداف الموضوعة للخطة ، بالإضافة إلى الفائدة الاقتصادية والاجتماعية المتوخاة منها .

وعلى هذا ، يمكننا القول إن النجاح الذي تحقق في الخطة الأولى كان متفاوتاً من مشروع لآخر . فمثلاً في **تعليم البنات** تحقق نسبة من النجاح تفوق ما كان متوقعاً في الخطة . بينما الأهداف المتوخاة في **الاتصالات السلكية واللاسلكية** لم تتحقق تحققاً كافياً لمواجهة الخدمات المطلوبة من المجتمع ، ومن جهة أخرى فإن الأهداف الموضوعة **لإنشاء صناعة بتروكياويات** لم تتحقق . كما أن الأهداف الموضوعة لبناء **الطرق** وتعبيدها لا يمكن تحقيقها في الوقت المخصص للتنفيذ[٢] .

وكما أشرنا سابقاً فقد كان للبرامج التي تمت ، والتي بدئ في إتمامها خلال الفترة المخصصة للخطة الأولى ، كان لها أثر طيب وفائدة عظيمة في تطبيق الخطة الثانية . ومن بين المشروعات التي ساعدت في تطبيق الخطة الثانية وانجازها مثلاً : **تعداد السكان في المملكة ، والمسح العام لوسائل النقل الوطنية ، والدراسات التي أجريت وتتعلق بتنمية الموارد البشرية ، والدراسات التي أجريت للتخطيط في حقل الاقتصاد والخدمات الاجتماعية ، والدراسات التي أعدت من قبل اللجنة التي تكونت لصناعات الجبيل الضخمة المتعددة .**

وكما نعلم ، أن وضع خطة للتنمية لا يكفي بحد ذاته ؛ بل يجب أن تنفذ تلك الخطة ، وتقوّم الخطوات التنفيذية باستمرار طوال المدة المقررة للخطة ، ليمكن تفادي حصول أي تأخير في تنفيذ الخطة ، ووضع التعديلات اللازمة لتخطي الصعوبات والتأخير بأقل ضرر ممكن . وهذا العمل يستلزم الانتفاع من الإمكانات المتاحة في البلاد : من قوى بشرية ، وطاقات مادية ، وتسهيلات دولية وإقليمية . فالتمشي بموجب خطة للتنمية [يتطلب استنفار] الطاقات البشرية والمادية المتاحة وتوجهها نحو الاستثمار الصحيح[٣] .

الخطة الخمسية الثانية

(١٣٩٥ ـ ١٤٠٠ هـ) الموافق (١٩٧٥ ـ ١٩٨٠ م)

لقد كانت **الخطة الخمسية الثانية** أكثر شمولا من الخطة الخمسية

الأولى وأكبر حجماً وأكثر طموحاً . فقد شملت ضمن ما شملته **قطاعات الصناعة** ، ومجالات **التعليم العام** ، **والتعليم الجامعي** ، **والطرق والمواصلات** ، **والإسكان وتخطيط المدن** ، **وتحديثها** . ولما كانت أهمية التخطيط تكمن في حسن الانتفاع من موارد البلاد المتاحة لها ، والتي هيأها الله وأوجدها ، لتلبية حاجة البلاد من الطاقة البشرية ، والصناعية ، والتجارية ، والزراعية ، والطاقة المحركة وغيرها .

ولما كانت القيم الأساسية التي تسترشد بها المملكة العربية السعودية في ترشيد التنمية في جميع المجالات تشمل ما يلي :

١ ــ التمسك بالقيم الإسلامية قولا وعملاً .

٢ ــ التأكيد على الدفاع عن المملكة ونشر الأمن والاطمئنان فيها .

٣ ــ التوصل إلى معدلات عالية في التنمية الاقتصادية عن طريق تنمية الموارد الاقتصادية ، ورفع عائدات البترول إلى أعلى المستويات في المدى البعيد ، والحفاظ على الموارد المتوقع نضوبها .

٤ ــ تقليل الاعتماد على عائدات البترول المصدر .

٥ ــ تنمية الموارد البشرية عن طريق التعليم والتدريب واللياقة الصحية .

٦ ــ زيادة التقدم المادي والمعنوي لجميع الناس ، والتأكيد على التلاحم الاجتماعي في ظل التغييرات الاجتماعية السريعة التي تطرأ على المجتمع .

٧ ــ تنمية الهيكل البنائي للمساعدة في تحقيق الأهداف المدرجة أعلاه ؛ والمقصود بالهيكل البنائي وسائل النقل والاتصال ، وإنشاء البلديات والإسكان والخدمات الإنشائية الأخرى .

فقد انبثقت أهداف الخطة الخمسية الثانية من تلك القيم ، ووضعت للسير في اتجاه تحقيقها والوصول إليها وتنفيذها . ومن أهداف الخطة الثانية ما يلي :

١ ــ **الوصول إلى معدلات عالية في التنمية الاقتصادية :** وذلك عن طريق تشجيع الصناعات والمشروعات الصناعية والزراعية والتجارية والتعدين إلخ . . وتقليل الاعتماد على موارد البترول .

٢ ــ **تنمية الموارد البشرية :** وذلك عن طريق إتاحة الفرص أمام جميع الناس للنهل من منهل العلم والتدريب على جميع مستوياته ، وتوفير الخدمات الصحية في جميع مناطق المملكة .

٣ ــ **رفع المستوى الاجتماعي** لجميع الأفراد في المملكة عن طريق توفير العلم للجميع ، والإسكان والمواد الغذائية ، والأدوية والخدمات الصحية ، وتوسيع الضمان الاجتماعي .

٤ ــ **تحسين وتوسعة طرق المواصلات** والاتصال على أنواعها ، ووسائل النقل والأجهزة اللازمة لتحقيق الأهداف المدرجة أعلاه .

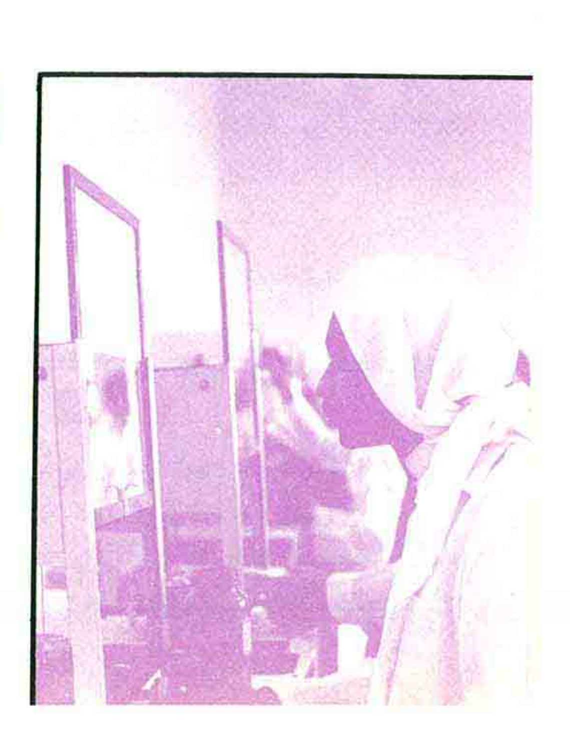
٥ ــ **اعتماد النظام الاقتصادي الحر** مع ضمان المنفعة الاجتماعية والخدمات التي تؤدي إلى منافع اقتصادية أكبر للبلاد والناس .

وقد انجزت الأهداف وتحققت في المجالات الكثيرة التي وضعت لها . وسنكتفي بذكر معدلات الزيادة في الجامعات فقط، وهي كما يلي :

التعليم العالي

عدد المتخرجين حسب خطة التعليم ما بين ١٣٩٥ ـ ١٤٠٠هـ

الجامعة	عدد المتخرجين (١٣٩٥هـ)	عدد المتخرجين (١٤٠٠هـ)	الزيادة (من عام ٩٥ـ ١٤٠٠هـ)
جامعة الرياض	٥٨١	١٨٠٣	١٢٢٢
جامعة الملك عبد العزيز	٤٣١	١٥٨٠	١١٤٩
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	٣٣٤	١٤٥٩	١١٢٥
جامعة البترول والمعادن	١٥٥	٤٥٩	٣٠٤
الجامعة الإسلامية	١٢٨	٥٠٦	٣٧٨
كلية المعلمات بالرياض	٧٤	٦٩٢	٦١٨
كلية المعلمات بجدة	ـ	٦٥٩	٦٥٩
مراكز العلوم والرياضيات	ـ	١٠٩٩	١٠٩٩



يتضح لنا من الجدول أعلاه أن عدد الخريجين قد تضاعف خلال فترة الخطة الخمسية الثانية في جميع الجامعات بالمملكة .

وقد تعاونت المملكة العربية السعودية مع الدول العربية الشقيقة والدول الإسلامية بصورة خاصة ، ومع المجتمع الدولي بصورة عامة في تنمية مواردها وطاقاتها البشرية والطبيعية . فالمملكة تدرك « أن عليها مسؤولية صعبة ألا وهي أن تثبت أن مواردها المالية الضخمة يمكن أن تستخدم بنجاح لتحويل بلد نام إلى مجتمع صناعي حديث يستطيع أن يوفر لكافة أبنائه مستوى معيشياً مرتفعاً من خلال تنمية موارده وطاقاته البشرية »(٥) .

الخطة الخمسية الثالثة

(١٤٠٠ ـ ١٤٠٥ هـ) الموافق (١٩٨٠ ـ ١٩٨٥ م)

بينما كان التأكيد في الخطة الخمسية الثانية على بناء الهيكل الأساسي للقاعدة الصناعية في المملكة ، وهذا يتمثل في بناء المجمعات الصناعية الضخمة في كل من الجبيل وينبع ، وإقامة عدد من الصناعات الأساسية في تلك المناطق ، مثل صناعة تكرير النفط ، وصناعة البتروكيماويات ، نرى أن الخطة الخمسية الثالثة اعتنت اعتناء فائقاً بتنمية القوى البشرية في كافة القطاعات ، إلى جانب الاعتناء بالاستثمار في القطاعات الإنتاجية ، وبالحفاظ على الثروات الوطنية عن طريق استغلالها استغلالا رشيداً حسب ما تتطلبه مشروعات التنمية فيها ، والظروف والاحتمالات الأخرى .

وتتميز الخطة الخمسية الثالثة ، باستراتيجيتها المدروسة التي ترسم الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها وهي(٦) :

●● أولا : **تنمية القوى البشرية :**

نظراً لأن المملكة بحاجة إلى قوى بشرية ماهرة في جميع القطاعات والنشاطات ، فقد تطلبت استراتيجية الخطة الثالثة ، وضع الأساليب والسياسات اللازمة لتنمية تلك القوى ، لأنه من المستبعد أن تتوفر خلال فترة الخطة الثالثة القوى البشرية اللازمة للتنمية بصورة عامة . فالاعتناء بالأساليب والسياسات التي تؤدي للتنمية ، هي الخطوة الأولى في سبيل سد احتياجات البلاد مما تحتاجه من قوى بشرية متخصصة وماهرة .

وهنا تبرز أهمية الدور الذي يمكن أن تلعبه جامعات المملكة ، عن طريق تخريج أفواج من الخريجين اللازمين لبناء قاعدة بشرية وطنية ، تتولى زمام الأمور في معاهد التدريب المهني والتقني بالبلاد ، عن طريق توفير الحوافز المجزية لهم ، وتنشئتهم على الجدية وحب العمل أينما كانوا .

●● ثانياً : إعطاء الأولوية للاستثمار في القطاعات غير البترولية ، أي القطاعات الإنتاجية مثل قطاع الصناعة ، والعمران ، والزراعة . . .

●● ثالثاً : الحفاظ على الثروات الوطنية بانتهاج سياسة معتدلة في استخراجها واستعمالها .

●● رابعاً : الاهتمام بالإعلام لتتوفر لديه المقومات التي تمكنه من المساهمة في توصيل المعلومات الصحيحة والتعليمات في مجالات التنمية المختلفة وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق « بمفهوم العمل والعمالة » وتحبيبها للمواطن .

●● خامساً : تجهيز البنية الأساسية والخدمات العامة للمناطق الصناعية ، وخاصة المناطق التي أنشئت وجهزت خلال الخطة الثانية .

●● سادساً : إبراز أهمية برامج الصيانة للمنشآت المتواجدة في البلاد ، والتي ستنشأ بإذن الله . لأن إهمال تلك المنشآت يقلل من كفاءتها ويساعد في تدهورها واندثارها .

توقعات المستقبل والخطة الرابعة للتنمية

يلاحظ في الخطط الخمسية الثلاث للتنمية ، أن المسؤولين في الدولة ، أكدوا على ضرورة تنمية القوى البشرية في البلاد ، وإتاحة سبل العمل والتحصيل العلمي ، والدعم الصناعي ، والزراعي ، واستغلال الثروات والحفاظ عليها ، والاهتمام بالفرد والمجتمع السعودي على حد سواء ، وذلك ضمن إطار الشريعة الإسلامية السمحاء ، والتقاليد العربية الأصيلة ، التي توارثها أسلافنا وأجدادنا منذ بزوغ فجر الإسلام وانتشاره في معظم بقاع الدنيا .

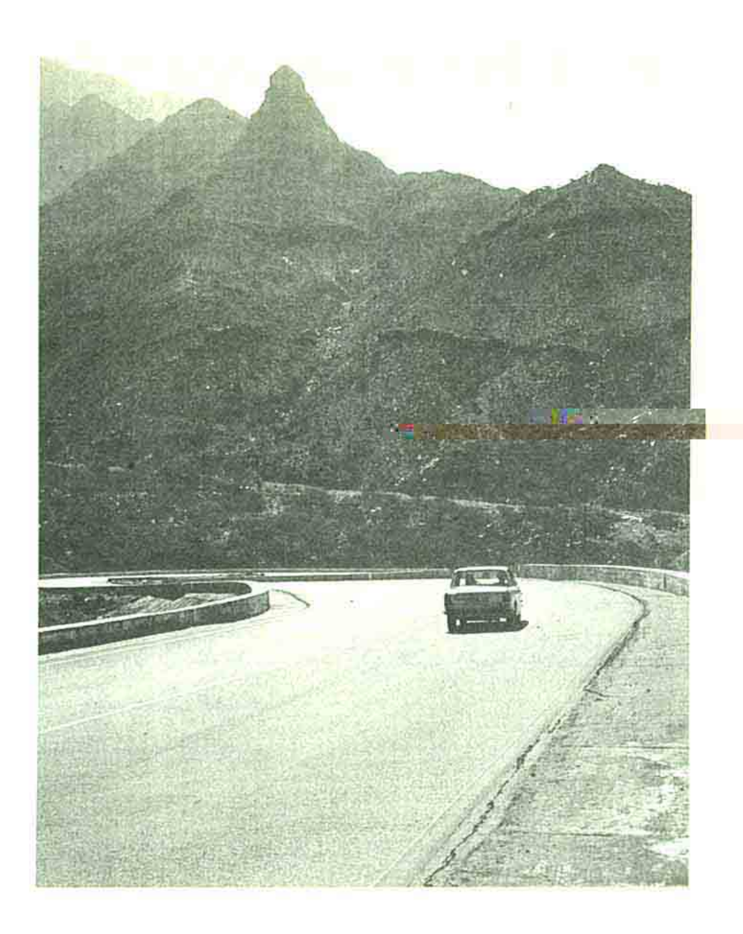
ومن هنا يمكننا القول ، إن الحكومة لم تأل جهداً في تقديم كل ما يمكن تقديمه للمجتمعات السعودية في كافة أنحاء المملكة ، وإن ما تقدمه في المجالات المختلفة ، لم تقدمه حكومة أخرى في العالم . وإنه بالمقابل ، يتحتم على أفراد الشعب السعودي أن يتجاوبوا مع الإنجازات العظيمة التي تحققت ، وأن يعملوا ضمن الواجبات المترتبة عليهم ، بعد أن قدمت لهم الحكومة كل ما يحتاجونه . فالحياة الشريفة تتوزع بين الأخذ والعطاء ، بين معرفة الحقوق وعمل الواجبات الكفيلة بمستقبل مشرق بإذن الله .

فإذا وضعنا نصب أعيننا ما قدمته الدولة لأفراد المجتمع من خدمات كثيرة ، وما أنجز في الخطتين الخمسيتين الأولى والثانية ، وما أعلن في الخطة الخمسية الثالثة التي تنتهي بنهاية عام ١٤٠٥ هـ ، وما تحتاجه البلاد من خدمات وتطوير وطاقات بشرية وطبيعية وغيرها ، يمكننا أن نتلمّس الأمور الهامة في الخطط المستقبلية القادمة ومنها :

١ ـ المحافظة على الإنجازات التي تمت في مختلف الميادين العلمية ، والصناعية ، والاقتصادية ، والعمرانية ، والزراعية .

٢ ـ تطوير ما تم من إنجازات وتحسينه ليتمشى مع متطلبات العصر والمستقبل .

٣ ـ تنمية القوى البشرية يتضمن الاهتمام بالفرد وبالأسرة على حد سواء ؛ وهنا تكمن واجبات الحكومة في تهيئة ظروف مؤاتية لكل فرد ليطور مواهبه وعمله قدر الإمكان . ومن ناحية ثانية تكمن واجبات كل فرد ليكون قدوة حسنة في المحافظة على الثروات الثمينة ، واستعمالها استعمالا



نافعاً له ولوطنه .

٤ ــ التعاون المثمر بين الأفراد والمؤسسات العلمية المتواجدة في البلاد ، لتنشئة الأطفال والأسر تنشئة إسلامية من حيث المحافظة على المستوى العلمي اللائق بهم وبوطنهم ، والمحافظة والمساعدة في تنشئتهم وتنمية مواهبهم تنمية متكاملة في النواحي الفكرية ، والاجتماعية ، والنفسية ، والجسمية .

ومن هنا ، فكما أن هناك واجبات تقدمها المؤسسات الرسمية بسخاء وعناية ، كذلك فإن هناك واجبات على كل فرد من أفراد المجتمع من حيث الاعتناء بعمله ، وتربية أطفاله ، والتعاون مع جيرانه وأهل بلده ليظهر بلده بالمظهر اللائق به ، اجتماعياً ، وحضارياً ، واقتصادياً ، وعلمياً . . .

٥ ــ تربية الأفراد وتدريبهم على « تحمل المسؤولية » في الأعمال التي توكل إليهم ، بحيث تصبح جزءً لا يتجزأ من كيانهم ونشاطاتهم . فبناء الوطن يتطلب تضافر جهود جميع المواطنين العاملين المقيمين فيه أو المتواجدين في الخارج . وتحمل المسؤولية بأمانة وإخلاص تتطلب تعلماً ، وقناعة ، وجهداً نفسياً وعقلياً وجسمياً . فتربية الأفراد وتدريبهم على تحمل المسؤولية يشمل الجميع . فإذا يسر الله عز وجل نواة طيبة قادرة على تحمل المسؤولية ، ينطلق أفرادها في العمل المثمر الجاد ، ليكونوا قدوة طيبة للأجيال الناشئة ، ويساهموا في تربيتهم وتقبّلهم لتحمل المسؤولية ؛ وهكذا يستمر العمل من جيل إلى جيل ، إلى أن يرث الله الأرض وما عليها .

وفي الخطة الثالثة ، نلاحظ التركيز على التعليم بمختلف مراحله ، حيث إنه يتصدر أبرز قطاعات التنمية المقررة في خطة التنمية الخمسية الثالثة ، « التي ركزت ملامحها الأساسية على التعليم والتدريب ــ في برنامج تنمية القوى البشرية ــ والإنتاج »[٧] .

وهذا التركيز الظاهر على تنمية القوى البشرية ومضاعفة الإنتاج ، يعتبر محاولة جديّة من قبل المسؤولين لتقديم أقصى ما يمكن تقديمه من تسهيلات العمل والإنتاج للمواطن السعودي . يبقى أن تستغل هذه الإمكانات الضخمة على خير وجه ، وأن يحافظ عليها من حيث المستوى والأداء ، وأن تطور لتساير التطور العام الذي يعم المنطقة بصورة خاصة ، والعالم بصورة عامة .

والخطط الخمسية الثلاث ، إذا ما نظرنا إليها على أنها متكاملة ومتمّمة لبعضها البعض ، نجد أنها أرست قواعد خيّرة للنهوض بالوطن والمواطن بصورة جديّة علمية مدروسة ؛ فهيّأت شبكة من أحدث طرق المواصلات والاتصال العالمي ، وأوجدت أعداداً كافية من المدارس والمعاهد والكليات ، واهتمت بالزراعة والصناعة والمهن على أنواعها ، ووفرت الإسكان المناسب والمرافق الحيوية الأخرى ، وركزت على القطاعات الإنتاجية ، وقطاعات الخدمات العامة ذات الاتصال المباشر بالمواطنين .

أي أن الخطط الخمسية الثلاث ، هيأت للمواطنين المنطلقات اللازمة للأخذ بأيديهم للوصول إلى مستقبل زاهر بإذن الله . فالمواطن مطالب أن يتجاوب مع متطلبات الخطط والتطور ، وأن يعمل جهده ليرفع من مستواه العلمي ، والتخصصي ، والإنتاجي بصورة عامة ، وأن يشارك بالتوعية العامة اللازمة للانطلاق بالبلاد في مجال التطور والازدهار .

الهوامش

١ ــ خطة التنمية الثالثة ، استراتيجيتها . . وأهدافها ، بقلم الدكتور فؤاد عبد السلام الفارسي ، مجلة « أهلاً وسهلاً » العدد الثاني ، السنة الرابعة شعبان ــ شوال ١٤٠٠ هـ ، (يوليو / أغسطس / سبتمبر ١٩٨٠ م) ، الخطوط الجوية العربية السعودية ــ إدارة العلاقات العامة ــ جدة (ص ٦) .

٢ ــ Second Development Plan, 1395 - 1400 A. H. 1975-1980. A. D, Kingdom of Saudi Arabia, Ministry of Planning, (PP. 10-11).

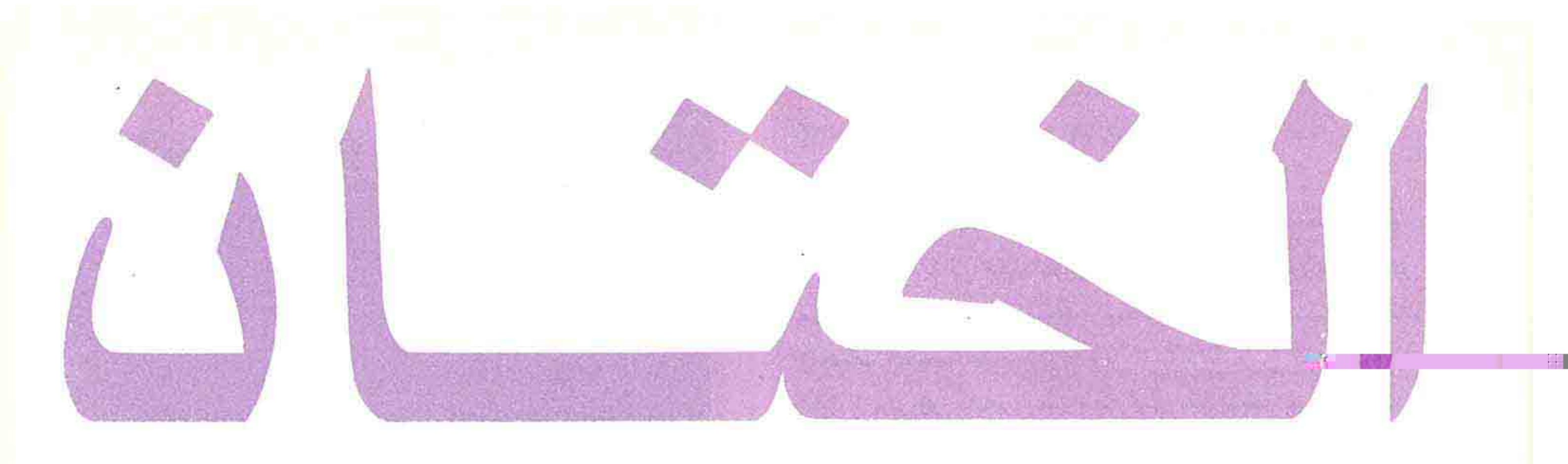
٣ ــ انظر خطة التنمية ، ١٣٩٠ هـ ، المملكة العربية السعودية ، الهيئة المركزية للتخطيط ، مطابع وزارة التخطيط ، الرياض ، (ص ٢٣) .

٤ ــ Second Development Plan, 1395 - 1400 A. H. 1975-1980 A. D. Kingdom of Saudi Arabia, Ministry of Planning, (P. 219).

٥ ــ نفس المصدر (النسخة العربية) ، (ص ٨٢٤) .

٦ ــ خطة التنمية الثالثة ، استراتيجيتها . . وأهدافها ، الدكتور فؤاد عبد السلام الفارسي ، مجلة « أهلاً وسهلاً » ، العدد الثاني ، السنة الرابعة شعبان ــ شوال ١٤٠٠ هـ ، (يوليو / أغسطس / سبتمبر ١٩٨٠ م) ، الخطوط العربية السعودية ــ إدارة العلاقات العامة ، جدة (ص ٦ ــ ٧) .

٧ ــ « مشروعات خطة التنمية الخمسية الثالثة » ، جريدة الرياض ، العدد ٤٥٢٩ ، بتاريخ ٢٦ / ٦ / ١٤٠٠ هـ ، الصفحة الثالثة .



الختان

بقلم
أبو تراب الظاهري

قال أبو تراب :

هذا تعليق على مقال قرأته في جزء مر من هذه المجلة حول الاختتان وتاريخه عبر العصور ، أهمل فيه كاتبه الجانب الإسلامي ، والحكم الشرعي ، وأنه من الأمور الفطرية ، وقد صار سنة للأنبياء ، مأموراً به في الإسلام ، وابتداؤه عند أهله في تاريخهم منذ العهد الخليلي ، إلى غير ذلك من النواحي التي كان يقتضي استقصاء البحث التطرق لها ، فأحببت أن أستدرك على المقال المشار إليه استكمالا للموضوع ، وبالله نتأيد .

أحاديث الختان في كتب السنة

قال أبو تراب :

فمن ذلك ما ورد في **صحيح البخاري** في بدء الوحي : وكان **ابن الناطور** صاحب إيْلياءَ وهِرَقْل أسقفاً على نصارى الشام يحدّث : إن **هرقل** لما قدم **إيلياء** أصبح يوماً خبيث النفس فقال بعض بطارقته : قد استنكرنا هيئتك ، قال ابن الناطور : وكان هرقل حَزَّاءً ينظر في النجوم فقال لهم : حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم أن مَلِكَ الختان قد ظهر ، فَمَنْ يَخْتَتِنُ من هذه الأمة ؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود ، فلا يُهِمَّنَّك شأنهم ، واكتب إلى **مداين** مُلْكك فيقتلوا من فيهم من اليهود ، فبينا هم على أمرهم أتى هرقل برجل أرسل به ملك **غسان** يُخبر عن خبر **رسول الله صلى الله عليه وسلم** ، فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمُخْتَتِنٌ هو أم لا ؟ فنظروا إليه فحدثوه أنه مُخْتَتِنٌ ، وسأله عن العرب فقال : هم يختتنون ، فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر .

قال **الحافظ ابن حجر** في فتح الباري (ج ١ ، ص ٣٦) ط عبد الرحمن محمد : في رواية **ابن إسحاق** أنه قال : جرّدوه فإذا هو مختتن فقال : هذا والله ، الذي رأيته أعطه ثوبه .

الختان .. فطرة

وفي صحيح البخاري : (ج ٨ ، ص ٨١) في باب الختان بعد الكبر ، بسنده عن **أبي هريرة** عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **الفطرة خمس : الختان ، والاستحداد ، ونتف الإبط ، وقص الشارب ، وتقليم الأظفار** . وبسنده عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اختتن إبراهيم عليه السلام بعد ثمانين سنة ، واختتن بالقَدُوم – قال البخاري : القدوم مخفّفةً – . وبسنده عن أبي الزناد وقال : بالقَدُّوم – مشدّدة – ورواه مسلم وليس فيه ذكر السنين . قلت : بالتخفيف اسم موضع ، وبالتشديد اسم لـلآلة على حسب تفريق بعضهم ، واللغويون يصحّحون التخفيف في الجميع كما في **الصحاح** والمراد في الحديث الآلة كما في رواية البيهقي الآتية .

وفي البخاري بسنده عن **سعيد بن جُبير** قال : سئل ابن عباس مثلُ مَنْ أنت حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أنا يومئذ مختون ، قال : وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك . وبسنده عن ابن عباس قال : قُبض النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ختين .

وفي صحيح البخاري (ج ٧ ، ص ٢٠٦) في باب تقليم الأظفار بسنده عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الفطرة خمس ، وذكر فيها الختان .

وفي صحيح مسلم (ج ١ ، ص ٨٧) بسنده عن أبي هريرة مثله .

وكذلك في **سنن أبي داوود** (ج ٤ ، ص ٤١٢ ، طحمص) في باب آخذ الشارب من كتاب الترجل بسنده عن أبي هريرة وفي (ج ٥ ، ص ٤٢١) في باب ما جاء في الختان من كتاب الأدب بسنده عن أم عطية الأنصارية أن امرأة كانت تختن بالمدينة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : لا تُنْهكي ، فإن ذلك أحظى للمرأة ، وأحبُّ إلى البَعْل ، قال أبو داوود : وقد روى مرسلاً ، وفي اسناده من ليس هو بالقويّ وفيه مجهول أيضاً ، وهو حديث ضعيف ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : وله شاهدان من حديث أنس ومن حديث أم أيمن عند أبي الشيخ في كتاب العقيقة ، وآخر عن الضحاك بن قيس عند البيهقي .

وحديث أبي هريرة المتقدم في **سنن النسائي الصغرى** (ج ٢ ، ص ٢٧٥) قال ووقفه مالك .

فطرة وسنة !؟

الختان .. سنة

وسنده عن **طلق بن حبيب** قال : **عشرة من السنة : السواك ، وقص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، وتوقير اللحية ، وقص الأظفار ، ونتف الإبط ، والختان ، وحلق العانة ، وغسل الدبر .**

وحديث أبي هريرة أيضاً في **جامع الترمذي** بسنده في باب ما جاء في تقليم الأظفار وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وهو أيضاً في **سنن ابن ماجه** (ج ١ ، ص ١٢٥) بسنده في باب الفطرة ، من كتاب الطهارة . وفيه رواية طلق بن حبيب المتقدمة آنفاً عن عائشة ، وليس فيها ذكر الختان ، وفيها غسل البراجم ، وبسنده عن عمار بن ياسر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من الفطرة ...... فذكر الخصال المذكورة وفيها الاختتان ، وبسنده مثله عن علي بن زيد .

وحديث أبي هريرة المتقدم أيضاً في مسند الإمام أحمد بأسانيده (ج ٢ ، ص ٢٢٩ و ٢٣٩ و ٢٨٣ و ٤١٠) وفيه حديث **عمار بن ياسر** المذكور (ج ٤ ، ص ٢٦٤) .

وفي جامع الترمذي ومسند الإمام أحمد من حديث **أبي أيوب** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **أربع من سنن المرسلين : الختان والتعطر والسواك والنكاح ، ذكر الحياء بدل الختان وهو غلط صحّحه المزي .**

وفي مسند الإمام أحمد أيضاً (ج ٥ ، ص ٧٥) بسنده عن أبي المليح ابن أسامة عن أبيه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الختان سُنّة للرجال مكرمة للنساء . وهذا الحديث ضعيف ، والصحيح إنه موقوف ، ورواه البيهقي عن أبي أيوب أيضاً . وروي عن شدّاد بن أوس .

ابتلاء إبراهيم

وذكر الطبري في التفسير (ج ٣ ، ص ٩ ، ط المعارف) بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى **﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ﴾** قال : ابتلاه الله عز وجل بالطهارة خمس في الرأس ، وخمس في الجسد ، في الرأس : قص الشارب ، والمضمضة والاستنشاق ، والسواك ، وفَرْق الرأس . وفي الجسد : تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وغسل أثر الغائط ، والبول بالماء . وذكره في التاريخ أيضاً (ج ١ ، ص ٢٨٠ ، ط المعارف) ورواه الحاكم في المستدرك (ج ٢ ، ص ٢٦٦ ، ط حيدر آباد) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه **الذهبي** ، وذكره **ابن كثير** في تفسيره (ج ١ ، ص ٣٠١) **والسيوطي في الدر المنثور** (ج ١ ، ص ١١١) وزاد نسبته إلى **عبد بن حميد ، وابن المنذر وابن أبي حاتم ، والبيهقي** في سننه ، وهو في تفسير عبد الرزاق (ط دار الكتب) .

وذكر الطبري بسنده في التفسير (ج ٣ ، ص ٩) ، والتاريخ (ج ١ ، ص ٢٨٠) عن ابن عباس في الآية المذكورة قال : ست في الإنسان ، وأربع في المشاعر ، فالتي في الإنسان : حلق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار ، وقص الشارب ، والغسل يوم الجمعة ، وأربع في المشاعر : الطواف ، والسعي بين الصفا والمروة ، ورمي الجمار ، والإفاضة ، ورواه ابن أبي حاتم ، وهو صحيح ذكره ابن كثير (ج ١ ، ص ٣٠٢) .

وروى الطبري في التفسير والتاريخ عن أبي الجلد قال : ابتلى إبراهيم عليه السلام بعشرة أشياء هن في الإنسان سُنّة ، فذكر فيها الختان .

وروى في التفسير والتاريخ عن **قتادة** في الآية المذكورة ، فذكر الختان فيما ابتلى به قال : وقال آخرون : بل ابتلاه بأمور منهن الختان ، فروى ذلك عن **الشعبي** في التفسير والتاريخ بأسانيده ، ثم قال : وقال آخرون : تلك الخلال : الكوكب والقمر والشمس والنار والهجرة والختان التي ابتلى بهن أجمع فصبر عليهن ، وروى ذلك بأسانيده عن الحسن في التفسير والتاريخ قال : ابتلاه بالكوكب فرضي عنه ، وابتلاه بالقمر فرضي عنه ، وابتلاه بالشمس فرضي عنه ، وابتلاه بالنار فرضي عنه ، وابتلاه بالهجرة ، وابتلاه بالختان . وفي لفظ آخر عن الحسن : ابتلاه بأمر فصبر عليه ، ابتلاه الكوكب والشمس والقمر فأحسن في ذلك ، وعرف أن ربّه دائم لا يزول ، فوجّه وجهه للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً ، وما كان من المشركين ، وابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجراً إلى الله تعالى ، ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصبر على ذلك ، وابتلاه بذبح ابنه ، وبالختان فصبر على ذلك .

وروى بسنده عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اختتن إبراهيم عليه السلام بعد ثمانين سنة بالقدوم ، وقد مرَّ برواية البخاري .

وذكر في البداية الحافظ ابن كثير (ج ١ ، ص ١٧٤ ، ط السعادة) رواية ابن حبّان في صحيحه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اختتن إبراهيم بالقدوم وهو ابن عشرين ومئة سنة ، وعاش بعد ذلك ثمانين سنة ، وقد رواه **الحافظ ابن عساكر** موقوفاً ، ثم ذكر **ابن حبان** الخبر المُدحضَ قولَ من زعم أنَّ رَفْع هذا الخبر وهم ، فذكر عن أبي هريرة مرفوعاً أنه اختتن حين بلغ مئة وعشرين سنة ورواه ابن عساكر مرفوعاً ولفظه : وقد أتت عليه ثمانون سنة ، ثم روى ابن حبان عن عبد الرزّاق أنه قال : القَدُوم اسم القرية ، قال ابن كثير : الذي في

الصحيح أنه اختتن وقد أتت عليه ثمانون سنة ، وفي رواية : وهو ابن ثمانين سنة ، وليس فيها تعرّض لما عاش بعد ذلك .

إبراهيم .. والأوائل

وقال الحسّاني الواسطي : في تفسير وكيع عنه فيما ذكره من الزيادات بسنده عن أبي هريرة قال : **كان إبراهيم عليه السلام أول من تسرول ، وأول من فَرَق ، وأول من استحد ، وأول من اختتن بالقدوم ، وهو ابن عشرين ومئة سنة وعاش بعد ذلك ثمانين سنة ، وأول من قرى الضيف ، وأول من شاب** ، هكذا رواه موقوفاً ، وهو أشبه بالمرفوع خلافاً لابن حبان ، والله أعلم .

وقال مالك عن **سعيد بن المسيب** : كان إبراهيم أول من أضاف الضيف وأول الناس اختتن ، وأول الناس قصّ شاربه ، وأول الناس رأى الشيب فقال : يا رب ما هذا ؟ فقال الله : وقار ، فقال : يا رب زدني وقاراً ، وزاد غيرهما : وأول من قصّ شاربه ، وأول من استحدّ ، وأول من لبس السراويل ، وهو أيضاً في نسخة نبيط بن شريط عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذه النسخة ضعَّفها أئمة الحديث .

وفي تفسير القرطبي (ج ٢ ، ص ١٠٠) : قال ابن الجوزي : حُدِّثت عن **كعب الأحبار** قال : **خلق من الأنبياء ثلاثة عشر مختونين : آدم ، شيث ، إدريس ، نوح ، سام ، لوط ، يوسف ، موسى ، شعيب ، سليمان ، يحيى ، عيسى ، والنبي صلى الله عليه وسلم .**

ختان النبي صلى الله عليه وسلم

واختلفت الروايات في النبيّ فذكر أبو نُعيم في الحِلْية أنه ولد مختوناً هذا ، وأسند الحافظ ابن عبد البر في التمهيد إلى ابن عباس أنَّ عبد المطلب خَتَن النبي صلى الله عليه وسلم في اليوم السابع وجعلها مأدبة ، وسمّاه محمداً ، قال : هذا حديث مسند غريب ، قال راويه يحيى بن أيوب : طلبت هذا الحديث ولم أجده عند أحد من أهل الحديث إلا عند ابن السري ، قال ابن عبد البر : وقد قيل : إن النبي ولد مختوناً صلى الله عليه وسلم .

وثبت في الأخبار عن جماعة من العلماء أنهم قالوا : خَتَن إبراهيم إسماعيل عليهما السلام لثلاث عشرة سنة ، وخَتَن ابنه إسحاق لسبعة أيّام ، وروى أن فاطمة كانت تختن ولدها يوم السابع ، وأنكره مالكٌ ذكره عنه ابن وهب .

وفي المحلّى للحافظ ابن حزم (ج ٢ ، ص ٢١٨ ، ط المنيرية) : ذكر من أمور الفطرة : الختان .

المراد بالفطرة

وقال النووي في شرح صحيح مسلم (ج ١ ، ص ١٢٨ دهلي) : اختلف في المراد بالفطرة فقال الخطابي : ذهب أكثر العلماء إلى أنها السنّة ، وكذا ذكر جماعة غير الخطابي قالوا : ومعناه أنها من سنن الأنبياء ــ صلوات الله وسلامه عليهم ــ وقيل : هي الدين . ثم إنَّ معظم هذه الخصال ليست بواجبة عند العلماء ، وفي بعضها خلاف في وجوبه كالختان والمضمضة والاستنشاق ، ولا يمتنع قَرْن الواجب بغيره كما قال تعالى : **﴿ كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ﴾** ، والايتاء واجب والأكل ليس بواجب والله أعلم .

حكم الختان عند الأئمة

والختان واجب عند **الشافعي** وكثير من العلماء ، وسُنَّة عند **مالك** وأكثر العلماء ، وهو عند الشافعي واجب على الرجال والنساء جميعاً ، ثم الواجب في الرجل أن يُقطع جميع الجلدة التي تغطي الحشفة حتى ينكشف جميع الحشفة ، وفي المرأة يجب قطع أدنى جزء من الجلدة التي في أعلى الفرج .

قال **النووي** : والصحيح من مذهبنا الذي عليه الجمهور من أصحابنا أنَّ الختان جائز في حالة الصغر ليس بواجب ، ولنا وجه أنه يجب على الوليّ أن يختن الصغير قبل بلوغه ، ووجه أنه يحرم ختانه قبل عشر سنين ، وإذا قلنا بالصحيح استحبّ أن يختن في اليوم السابع من ولادته ، وهل يحسب يوم الولادة من السبع أم تكون سبعة سواه ، فيه وجهان أظهرهما : يحسب ، واختلف أصحابنا في **الخنثى المشكل** فقيل : يجب ختانه في فرجيه بعد البلوغ ، وقيل : لا يجوز حتى يستبين ، وهو الأظهر ، وأما مَنْ له ذكران ، فإنْ كانا عاملَيْن وجب ختانهما ، وإنْ كان أحدهما عاملاً دون الآخر خُتِن العامل ، وفيما يُعتبر العمل به وجهان ، أحدهما بالبول ، والآخر بالجماع ، ولو مات إنسان غير مختون ففيه ثلاثة أوجه لأصحابنا ، الصحيح المشهور أنه لا يُختن صغيراً كان أو كبيراً ، والثاني : يُختن ، والثالث يُختن الكبير دون الصغير والله أعلم .

وفي **تحفة الأحوذي** (ج ٤ ، ص ٨) : «وجه الشافعية أنه يجب على الوليّ أن يختن الصغير قبل بلوغه» يردّه ما رواه البخاري عن سعيد ابن جبير قال : سئل **ابن عباس** مثْلُ مَنْ أنت حين قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أنا يومئذ مختون وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك . «ووجههم أنه يحرم قبل عشر سنين» يردّه حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خَتَن **الحسن والحسين** يوم السابع من ولادتها ، أخرجه الحاكم والبيهقي من حديث جابر . وفي هذه المسألة أقوال أخرى ذكرها الحافظ في الفتح .

هل الختان واجب أم سنة ؟

واختلف في الختان ، واجب أو سنّة ، قال الحافظ : قد ذهب إلى **وجوب الختان** الشافعي وجمهور أصحابه ، وقال به من القدماء عطاء ،

حتى قال : لو أسلم الكبير لم يتم إسلامه حتى يُختَن ، وعن أحمد وبعض المالكية : يجب ، وعن أبي حنيفة واجب وليس بفرض ، وعنه : سنَّة يأثم بتركه ، وفي وجه للشافعية : لا يجب في حق النساء ، وهو الذي أورده **صاحب « المغني »** عن أحمد . وذهب أكثر العلماء وبعض الشافعية إلى أنه ليس بواجب ، واحتج القائلون بالوجوب بروايات لا تخلو واحدة منها عن مقال ، وقد ذكرها **الشوكاني في « نيل الأوطار »** مع الكلام عليها ، ثم قال : والحق أنه لم يقم دليل صحيح يدل على الوجوب ، والمُتيَقَّن السنَّة كما في حديث : « خمس من الفطرة » ونحوه ، والواجب الوقوف على المتيقن إلى أن يقوم ما يوجب الانشغال عنه .

كيفية الختان

قال **أبو تراب** : الخَتْن قطع بعض مخصوص من عضو مخصوص وكذلك الختان ، وهو اسم للفعل وللموضع كما في حديث عائشة « إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل » ، واسم الفعل هو المراد من حديث أمور الفطرة ، ويقال لقطع ذلك من ذكر الغلام وفرج الجارية الإعذار والخفض (انظر النهاية لابن الكثير ، ج ١ ، ص ٢٨١) قال **الماوردي** : الختان قطع الجلدة التي تغطي الحشفة ، والمستحب أن يستوعب من أصلها عند أول الحشفة ، وأقل ما يجزئ أن لا يبقى منها ما يتغشى به شيء من الحشفة ، وختان المرأة قطع جلدة تكون في أعلى فرجها فوق مدخل الذكر كالنواة أو كعرف الديك والواجب قطع الجلدة المستعلية منه دون استئصاله .

وقال **إمام الحرمين** : المستحق في الرجال قطع القلفة وهي الجلدة التي تغطي الحشفة حتى لا يبقى من الجلدة شيء مُتَدَلٍّ ، والمستحق من ختان المرأة ما ينطلق عليه الاسم .

وقال **ابن الصباغ** : حتى تنكشف جميع الحشفة .

وقت الختان

قال **المباركفوري** : واختلف في **وقت الختان** فذهب الجمهور إلى أن مدة الختان لا تختصّ بوقت معيّن ، وليس بواجب في حال الصغر ، واستدلّ لهم بحديث أبي هريرة المتقدم مرفوعاً أن إبراهيم عليه السلام اختتن بعد ما أتت عليه ثمانون سنة ، متفق عليه إلا أن مُسْلِماً لم يذكر السنين .

فضيحة اليهود

وذكر الحافظ ابن حزم في الفِصَل (ج ٢ ، ص ٤) : في تناقض **كتب اليهود المحرفة** نصاً من كتاب **يوشع** فيه أن **موسى لم** يختن ممن ولد بعد خروجه من مصر أحداً ثم ختنهم يوشع بعد موت موسى بدهر ، مع أن الاختتان مشدّد فيه في دين اليهود ، وفي كتبهم قول نسبوه إلى الله سبحانه وهو : من لم يختتن في يوم أسبوع ولادته فلتُنْفَ نفسه من أمته .

قال : ولقد فضحت بهذا وجه بعض علمائهم فقال لي : كانوا في التيه في حل وارتحال فقلت له : فكان ماذا ؟ فكيف وليس كما تقولون ، بل كانوا يبقون المدة الطويلة في مكان واحد ، وفي نص كتاب يوشع بزعمكم أنه إنما ختنهم إذ جاوزوا الأردنّ قبل الشروع في الحرب ، وفي أضيق وقت ، وختنهم كلهم حينئذ وهم رجال كهول وشبان ، وتركوا الختان إذ لا مؤونة في ختانهم أطفالا ، تحمله أمُه مختوناً كما تحمله غير مختون ، ولا فرق ، فسكت منقطعاً .

مشروعية الختان وأحكامه

وفي كتاب تحفة المودود للحافظ ابن قيّم الجوزية فصول في أحكام الختان ، ومشروعيته نجتزئ منها ما يلي :

يترتب أكثر من ثلثمئة حكم على تغييب الحشفة في الفرج ، وقد جمعها بعضهم فبلغت أربعمئة إلا ثمانية أحكام .

ختان إبراهيم عليه السلام

وقال **المروزي** : سئل أحمد : هل ختن إبراهيم عليه السلام نفسه بقدّوم ؟ قال : بطرف القدّوم ، وقال **أبو داوود ، وعبد الله بن أحمد ، وحرب** ؛ إنهم سألوا أحمد عن قوله : « اختتن بالقَدُوم » ؟ قال : هو موضع ، وقال غيره : هو اسم للآلة . وقالت طائفة : من رواه مخفّفاً فهو اسم الموضع ، ومن رواه مثقّلاً فهو اسم الآلة ، وقد رُويت قصة ختان الخليل بألفاظ يوهم بعضها التعارض، ولا تعارض فيها ، ففي الصحيح في لفظ : اختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم ، وفي لفظ : بعد ثمانين سنة ، قال راويه يحيى بن سعيد : والقدوم الفأس ، وقال **النضر ابن شميل** : قطعه بالقدوم فقيل له : يقولون : قدوم قرية بالشام فلم يعرفه ، وثبت على قوله ، قال الجوهري : والقدوم الذي ينحت به مخفّف قاله **ابن السكيت** ، ولا تقل : قدوم بالتشديد ، قال : والقدوم أيضاً موضع مخفّف ، **والصحيح أن القدوم في الحديث الآلة** لما رواه البيهقي بسنده عن موسى بن علي قال : سمعت أبي يقول : إن إبراهيم عليه السلام أمر أن يختتن وهو ابن ثمانين سنة ، فعَجِلَ فاختتن بقدوم ، فاشتد عليه الوجع فدعا ربَّه فأوحى الله إليه إنك عَجِلْتَ قبل أن نأمرك بالآلة ، قال : يا رب كرهت أن أوخر أمرك . وأما حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ : « اختتن وهو ابن مئة وعشرين ، وعاش بعده ثمانين فهو معلول ، والصحيح ما في الصحيح أنه كان ابن ثمانين .

واستمر الختان بعده في الرسل وأتباعهم حتى في المسيح فإنه اختتن والنصارى تقرّ بذلك ولا تجحده .

وقال الشعبي ، وربيعة ، والأوزاعي ، ويحيى بن سعيد ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد : هو واجب ، وشدّد فيه مالك حتى قال : من لم يختتن لم تجز إمامته ، ولم تقبل شهادته . ونقل كثير من الفقهاء عن مالك أنه سنَّة ، حتى قال القاضي عياض : الاختتان عند **مالك** وعامة العلماء سنَّة ، ولكن السنَّة عندهم يأثم بتركها فهم يطلقونها على مرتبة بين

الفرض وبين الندب ، وإلا فقد صرّح مالك بأنه لا تقبل شهادة الأقلف ، ولا تجوز إمامته . وقال **الحسن البصري وأبو حنيفة** : لا يجب بل هو سنّة ، وكذلك قال **ابن أبي موسى** من أصحاب أحمد : هو سنّة مؤكدة . ونصّ أحمد في رواية أنه لا يجب على النساء .

أدلة الوجوب

واحتج الموجبون له بقوله تعالى : **﴿ أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾** والختان من ملّته ، وبما رواه أحمد وأبو داوود عن **عثيم بن كليب** عن أبيه عن جده أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : قد أسلمت ، قال : ألق عنك شعر الكفر ، يقول : احلق ، وأخبرني آخر معه أنه قال لآخر : الق عنك شعر الكفر واختتن وهو حديث ضعيف ، وبما قال حرب في مسائله عن الزهري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أسلم فليختتن وإن كان كبيراً ، وهو مرسل لا يصلح للاحتجاج . وبما رواه البيهقي عن عليّ قال : وجدنا في قائم سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصحيفة : أن الأقلف لا يترك في الإسلام حتى يختتن ولو بلغ ثمانين سنة ، قال البيهقي : وهذا الحديث ينفرد به أهل البيت ، وبما رواه **ابن المنذر** من حديث أبي برزة عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأقلف ، لا يحج بيت الله حتى يختتن ، وفي لفظ : سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجل أقلف يحجّ بيت الله ؟ قال : لا حتى يختتن ، ثم قال : وهذا لا يثبت ، لأن اسناده مجهول . وقال ابن عبد البر في التمهيد : إنه لا يثبت . وبما روي عن ابن عباس قال : الأقلف لا تقبل له صلاة ولا تؤكل ذبيحته وهذا مما تفرد به ولا يحتج بمثله . وروى الإمام أحمد عنه : لا تؤكل ذبيحة الأقلف ، قال أحمد : وكان يشدّد فيه وقد خالفه الحسن وغيره . وروى حنبل عن عكرمة مثله ، قال : كان الحسن لا يرى ما قال عكرمة ، وقيل له : أله حج ؟ قال : لا قال حنبل : قال أحمد : لا تؤكل ذبيحته ولا صلاة له ، ولا حج حتى يتطهر ، هو من تمام الإسلام ، وبما روى **عبد الله بن الإمام أحمد** عن أبيه بسنده عن ابن عباس قال : الأقلف لا تحل له صلاة ، ولا تؤكل له ذبيحة ، ولا يجوز له شهادة ، قال قتادة : وكان الحسن لا يرى ذلك ، وقال وكيع : الأقلف إذا بلغ فلم يختتن لم تجز شهادته . وقال إسحاق بن منصور قلت لأحمد : ذبيحة الأقلف ؟ قال : لا بأس بها ، وقال أبو طالب : سألت أحمد عن ذلك فقال : ابن عباس شدّد في ذبيحته جداً . وقال ابن زياد : سألت أحمد عن ذلك فقال يُروى عن إبراهيم والحسن وغيرهما أنهم كانوا لا يرون بها بأساً إلا ما يروى عن ابن عباس أنه كرهه .

أعذار الإسقاط

قال أحمد : وهذا يشتد على الناس فلو أن رجلاً أسلم وهو كبير فخافوا عليه الختان أفلا تؤكل ذبيحته ؟ .

وقال المسقطون لوجوبه : قال الحسن البصري : قد أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الأسود والأبيض ، والرومي والفارسي ، والحبشي فما فتش أحداً منهم . قال القرطبي : وكان الحسن يرخص للشيخ الذي يسلم أن لا يختتن ، قال ابن عبد البر : وعامة أهل العلم على هذا . وقال الإمام أحمد عن سالم بن أبي الدنيا قال سمعت الحسن يقول : يا عجباً لهذا الرجل – يعني أمير البصرة – لقي أشياخاً من أهل كيكر فقال : ما دينكم ؟ قالوا : مسلمين ، فأمر بهم ففتشوا فوجدوا غير مختونين ، فختنوا في هذا الشتاء ، وقد بلغني أن بعضهم مات .

وقد أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم الرومي والفارسي والحبشي فما فتّش أحداً منهم . وأما الاستدلال بقوله : **﴿ أن اتبع ملة إبراهيم ﴾ فهي الحنيفية** وهي التوحيد ، ولو دخلت الأفعال في الملة فمتابعته فيها على الفعل ، فهل هو على الوجوب أم على الندب ؟ فمتى فعلناه فقد اتبعناه .

وكان العرب قاطبة يختتنون ، واليهود قاطبة تختتن ، والنصارى فرقتان ، فرقة تختتن وفرقة لا تختتن ، وقد سئل الإمام أحمد عن ذبيحة الأقلف وذكر له حديث ابن عباس فقال : ذاك عندي إذا ولد بين أبوين مسلمين فكبر ولم يختتن ، وأمّا الكبير إذا أسلم وخاف على نفسه الختان فله عندي رخصة .

الختان قبل البلوغ وبعده

قالوا : ولا يجب الختان قبل البلوغ ، لأن الصبيَّ ليس أهلاً لوجوب العبادات المتعلقة بالأبدان فما الظن بالجرح الذي ورد التعبد به ، قالوا : فإذا بلغ الصبي أقلف أو المرأة غير مختونة ولا عذر لهما ألزمهما السلطان به ، قال ابن القيم : وعندي أنه يجب على الولي أن يختن الصبي قبل البلوغ بحيث يبلغ مختوناً فإن ذلك مما لا يتم الواجب إلا به ، واختلفوا في كراهية يوم السابع على قولين هما روايتان عن الإمام أحمد قال الخلال :

أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد أنه ذاكر أحمد ختانه الصبي لكَمْ يختتن ؟ قال : لا أدري لم أسمع فيه شيئاً ، فقلت : إنه يشق على الصغير ، وابن عشر يغلظ عليه ، وذكرت له ابني محمداً أنه في خمس سنين ، فاشتهى أن أختنه فيها ، ورأيته كأنه يشتهي ذلك ، ورأيته يكره العشر لغلظه عليه وشدته ، وقال لي : ظننت أن الصغير يشتد عليه ذلك ، ولم أره يكره للصغير للشهر أو السنة ، ولم يقل في ذلك شيئاً ، إلا أني رأيته يعجب من أن يكون هذا يؤذي الصغير ، وسمعته يقول : كان الحسن يكره أن يختن الصبي يوم سابعه ، وعن مهنّا قال : سألت أحمد عن الرجل يختن ابنه بسبعة أيام ؟ فكرهه وقال : هذا فعل اليهود ، وقال : بلغني أن **سفيان الثوري** سأل **سفيان بن عيينة** في كم يُختن الصبي ؟ فقال : لو قلت له في كم ختن ابن عمر بنيه فقال لي أحمد : من كان أكيس سفيان بن عيينة لها .

وعن حنبل أن أحمد قال : وإن ختن يوم السابع فلا بأس ، وإنما كرهه الحسن كي لا يتشبه باليهود ، وليس في هذا شيء ، وسئل **وهب ابن منبه** عن ذلك فقال : إنما يستحب ذلك في اليوم السابع لخفته على الصبيان ، فإن المولود يولد وهو خَدِر الجسد لا يجد ألم ما أصابه سبعاً ، وإذا لم يختتن لذلك فدعوه حتى يقوى ، وقال ابن المنذر : كرهت طائفة أن يختن الصبي يوم سابعه كره ذلك **الحسن البصري ، ومالك بن أنس** خلافاً على اليهود . وقال النووي : هو خطر ، قال مالك : والصواب في خلاف اليهود ، وعامة ما رأيت الختان ببلدنا إذا أثغر ، وقال **الليث بن سعد** : الختان للغلام ما بين السبع إلى العشر ، ونحوه روى ابن وهب عن مالك ، وقد حكى عن مكحول عن غيره أنَّ إبراهيم عليه السلام ختن ابنه **إسحاق** لسبعة أيام ، وابنه **إسماعيل** لثلاث عشرة سنة .

وروي عن **أبي جعفر** أن فاطمة كانت تختن ولدها يوم السابع ، وأنكره مالك وقال : هذا من عمل اليهود ، ذكره عنه ابن وهب ، ونقله القرطبي في التفسير .

الختان غير موقت بوقت

قال ابن المنذر : ليس في هذا الباب نهي يثبت ، وليس لوقوع الختان خبر يرجع إليه ، ولا سنَّة تستعمل فالأشياء على الإباحة ، ولا يجوز حظر شيء منها إلا بحجة ، ولا نعلم مع من منع أن يختن الصبي لسبعة أيام حجة .

وفي سنن البيهقي عن جابر قال : عَقَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام ، وفيها عن علي بن رباح أن إبراهيم ختن إسحاق وهو ابن سبعة أيام وختن إسماعيل عند بلوغه ، فصار ختان إسحاق سنَّة في بنيه ، وختان إسماعيل سنَّة في بنيه .

وتأول بعضهم قوله تعالى : **﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾** على الختان ، **وكانت العرب تدعى بأمة الختان** ، كما في حديث هرقل المتقدم ، ولما كانت **وقعة أجنادين** بين المسلمين والروم جعل **هشام بن العاص** يقول : يا معشر المسلمين إن هؤلاء القلف لا صبر لهم على السيف ، فذكرهم بشعار عبّاد الصليب .

ختان النساء والرجال

وذكر حرب في مسائله عن **ميمونة** زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت للخاتنة : إذا خفضت فأشمّي ولا تُنهكي ، فإنه أسرى للوجه وأحظى لها عند زوجها ، وقد ذكر في حكمة خفض النساء ، أن **سارة** لما وهبت هاجر لإبراهيم ، أصابها فحملت منه ، فغارت سارة ، فحلفت لتقطعن منها ثلاثة أعضاء ، فخاف إبراهيم أن تجدع أنفها وتقطع أذنيها ، فأمرها بثقب أذنيها وختانها ، وصار ذلك سنَّة في النساء بعد .

قال **أبو البركات** في كتاب الغاية : ويؤخذ في ختان الرجل جلدة الحشفة وإن اقتصر على أخذ أكثرها جاز ، ويستحب لخافضة الجارية أن لا تحيف ، وحكى عن عمران قال للخاتنة : أبقي منه شيئاً إذا خفضت .

وقال الخلال في الجامع : سئل أحمد كم يقطع في الختانة ؟ قال : حتى تبدو الحشفة ، وقال الميموني : قلت لأحمد : خَتَّان خَتَن صبياً فلم يستقص ؟ فقال : إذا كان الختان قد جاز نصف الحشفة إلى فوق فلا يعتد به ، لأن الحشفة تغلظ ، وكلما غلظت هي ارتفعت الختانة ، وإذا كانت دون النصف أخاف ، قلت : فإن الإعادة عليه شديدة جداً ، ولعلّه قد يخاف عليه الإعادة ؟ قال : إيش يخاف عليه ، ورأيت سهولة الإعادة إذا كانت الختانة في أقل من نصف الحشفة إلى أسفل ، قال : وهذا شيء لا بد أن تيسر فيه الختانة .

وقال **ابن الصباغ** في الشامل : الواجب على الرجل أن يقطع الجلدة التي على الحشفة حتى تنكشف جميعها ، وأما المرأة فلها عذرتان ، إحداهما بكارتها والأخرى هي التي يجب قطعها ، وهي كعرف الديك في أعلى الفرج بين الشفرين وإذا قطعت يبقى أصلها كالنواة .

وقال **الجويني** في النهاية : المستحق في الرجال قطع القلفة ، وهي الجلدة التي تغشى الحشفة ، والغرض أن تبرز ، ولو فرض مقدار منه على الكمرة لا تنبسط على سطح الحشفة فيجب قطعه حتى لا تبقى الجلدة متدلية .

وقال **ابن كج** : عندي يكفي قطع شيء من القلفة ، وإن قَلَّ بشرط أن يستوعب القطع تدوير رأسها . وقال الجويني : القدر المستحق من النساء ما ينطلق عليه الاسم ، وفي الحديث ما يدل على الأمر بالإقلال ، قال عليه السلام : أشِمّي ولا تُنْهكي أي اتركي الموضع أشَمَّ وهو المرتفع ، قال **الخطابي** : أي لا تبالغي في الخفض ، قال المنذري : قيل : شَبَّه القطع اليسير بإشمام الرائحة ، وشبه النهك بالمبالغة فيه ، أي اقطعي بعض النواة ولا تستأصليها .

وقال **الماوردي** : والسنَّة أن يستوعب القلفة التي تغشى الحشفة بالقطع من أصلها ، وأقل ما يجزئ فيه أن لا يتغشى بها شيء من الحشفة ، وأمّا خفض المرأة فهو قطع جلدة في الفرج فوق مدخل الذكر ومخرج البول على أصل كالنواة ، ويؤخذ منه الجلدة المستعلية دون أصلها ، **وقد بان بهذا أن القطع في الختان ثلاثة أقسام ، سنة وواجب ، وغير مجزئ على ما تقدم .**

قال **صالح بن الإمام أحمد** في حديث إذا التقى الختانان وجب الغسل ، قال أحمد : فيه أن النساء كن يختتن ، وسئل عن الرجل تدخل عليه امرأته فلم يجدها مختونة ، أيجب عليها الختان ؟ قال : الختان سنَّة . قال الخلال : سئل أحمد عن ذلك فسكت ، والتفت إلى **أبي حفص** فقال : تعرف في هذا شيئاً ؟ قال : لا ، فقيل له : أتى عليها ثلاثون وأربعون سنة فسكت فقيل له : فإن قدرت على أن تختتن ؟ قال : حسن .

قال **الكحال** : وسألت أحمد عن المرأة تختتن ؟ فقال : نظرت فإذا خبر النبي صلى الله عليه وسلم حين يلتقي الختانان ، ولا يكون واحداً إنما

هو اثنان ، قلت : فلا بد منه ؟ قال : الرجل أشد ، وذلك أن الرجل يختتن فتلك الجلدة مدلاة عن الكمرة ، فلا ينقي ما ثَمَّ ، والنساء أهون . قال **ابن القيم** : لا خلاف في استحبابه للأنثى واختلف في وجوبه .

وعن أحمد في ذلك روايتان : بالوجوب على الرجال والنساء ، وباختصاص وجوبه بالذكور وحجة هذه الرواية حديث شداد بن أوس : الختان سنّة للرجال مكرمة للنساء ، فـفرق بين الذكور والإناث ، والأمر به إنما جاء للرجال كما أمر الله به خليله .

ضمان الختان

وجناية يد الخاتن مضمونة عليه أو على عاقلته ، فإن زادت على ثلث الدية كانت على العاقلة ، وإنْ نقصت عن الثلث فهي في ماله ، وأما ما تلف بسراية الختان فإن لم يكن من أهل العلم بصناعته ، ولم يعرف بالحذق فيها ، فإنه يضمنها لأنها سراية جرح لم يجز الإقدام عليه فهي كسراية الجناية وهي مضمونة ، واختلفوا فيما عداها فقال **أحمد ومالك** : لا تضمن سراية مأذون فيه حاذق لم يتعمد ، وقال **الشافعي** : لا يضمن سراية المقرر ، ويضمن سراية غير المقرر ، لأن التلف به دليل على التجاوز والعدوان ، وقال **أبو حنيفة** : لا يضمن سراية الواجب ، ويضمن سراية القود والسنّة الصحيحة تخالف هذا القول ، وإن كان الخاتن عارفاً بالصناعة وختن المولود في الزمن الذي يختتن في مثله ، وأعطى الصناعة حقها لم يضمن سراية الجرح اتفاقاً ، كما لو مرض المختون من ذلك ومات ، فإن أذن له أن يختنه في زمن حر مفرط ، أو برد مفرط ، أو حال ضعف يخاف عليه منه فإن كان بالغاً عاقلاً لم يضمنه ، لأنه أسقط حقه بالإذن فيه ، وإن كان صغيراً ضمنه ، وإن أذن فيه وليه فهل يجب الضمان على الوليّ المتسبب أو الخاتن المباشر ، فالقاعدة تقتضي تضمين المباشر .

إذا ولد مختوناً

ومن ولد ولا قلفة له فلا ختان عليه ، **وكانت العرب تزعم أنه إذا ولد في القمر تقلصت قلفته وتجمعت ، ولهذا يقولون : ختنه القمر ، وهو غير مطرد** . قال ابن القيم : **محمد بن عثمان الخليلي المحدث ببيت المقدس** إنه ممن ولد كذلك .

مسقطات الختان

ومن مسقطات الختان ضعف المولود عن احتماله ، وأن يسلم الرجل كبيراً ، ويخاف على نفسه ، وخالف **سحنون** الجمهور فلم يسقطه عن الكبير ، وهو قول في مذهب أحمد حكاه ابن تميم ، وفي رواية جماعة من أصحاب أحمد أنه يسقط ويسقط وجوبه عند خوف التلف كما هو ظاهر كلام الحنابلة ، ولا يجب ختان الميت بالاتفاق ، وذكر بعض المتأخرين أنه مستحب ، وهو خلاف الجمهور والأئمة الأربعة وقياسه على التقليم والحلق للعانة قياس فاسد ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يبعث الميت يوم القيامة بغرلته غير مختون ولا يمنع الإحرام من الختان نصَّ عليه الإمام أحمد ، وقد سئل عن المحرم يختتن ؟ فقال : نعم ، فلم يجعله من باب إزالة الشعر .

لم يولد النبي صلى الله عليه وسلم مختوناً

وقد اختلف في ختان النبي صلى الله عليه وسلم فقيل إنه ولد مختوناً ، وقيل : إن جبريل عليه السلام ختنه حين شَقَّ صدره ، وقيل : إن جده عبد المطلب ختنه ، والقول الأول روي عن العبّاس ، قال ابن عبد البر : وسنده ليس بالقائم ، وروي موقوفاً على ابن عمر ولا يثبت أيضاً ، ورواه أبو نُعيم ، وروى الخطيب عن أنس مرفوعاً قال : من كرامتي أنّي ولدت مختوناً ، قال الخطيب : وراويه **المصيصي** منكر الحديث ، ورواه ابن عساكر بإسناد فيه عدة مجاهيل ، وذكر الحكيم الترمذي أن صفية بنت عبد المطلب قالت : أردت أن أعرف أذكر أم أنثى فرأيته مختوناً ، وهذا لا يثبت وليس له إسناد ، والترمذي هذا لم يكن من أهل الحديث وليس هذا من خصائصه عليه السلام فإن كثيراً من الناس يولد كذلك ، وقد لقّب **القاضي أبو محمد الحسن بن الحسن الزيدي** بالمطهر لأنه ولد غير محتاج إلى الختان .

وقد روي عن عائشة أن ابن صيّاد ولد مختوناً مسروراً ، وهي من روايات سيف وهو مطعون فيه ، وقيل : إن قيصر ملك الروم ولد كذلك ، ودخل عليه امرؤ القيس الحَمّام فرآه كذلك فقال يهجوه :

إني حلفت يميناً غير كاذبة
لأنت أعلف إلا ما جنى القمر

يعيِّره انه لم يختتن ، وجعل ولادته لذلك نقصاً ، وقيل : **إن هذا البيت هو أحد الأسباب الباعثة لقيصر على أن سمَّ امرأ القيس فمات** . وأنشد ابن الأعرابي فيمن ولد بلا قلفة :

فذاك نُكَسٌ لا يَبَضُّ حَجَرُهْ
مخرة العُرْض حديدٌ منظرهْ
في ليل كانون شديد خصرهْ
عَضَّ بالحَرْف الزُّبانا قَمَرُهْ

يقول : هو أقلف ليس بمختون إلا ما قلص القمر ، وشبَّه قلفته بالزبانا وهي قرنا العقرب وكانت العرب لا تعتد بصورة الختان من غير ختان ، وترى الفضيلة في الختان نفسه وتفخر به . ورُوي خَتْنُ جبريل النبي موقوفاً على أبي بكرة قال الخطيب ولا يصح إسناده فهو شاذ غريب قال ابن العديم ، وفي بعض الروايات أن جدّه ختنه وهو أشبه بالصواب ، ورواه ابن عبد البر عن ابن عباس أنه ختنه يوم سابعه .

قال أبو تراب :

هذا آخر ما أردنا تحريره والاستدراك به على ما أشرنا إليه في مستهل الكلام وبالله التوفيق .



شيزر

مدينة أسامة بن منقذ

بقلم : وليد قنباز

آلاف من المدن تتناثر عبر رحاب الكرة الأرضية ، بعضها كان وما يزال ذا أثر في مسيرة التاريخ والحضارة ، وبعضها سجل في كتاب الأمس أروع السطور وأنصعها ثم غفا في سبات عميق ، وبعضها الآخر لم يترك أية بصمة على صفحات الزمن من قبل ، ولسنا ندري ماذا سيكون حاله من بعد .

ولعل شهرة مدينة ما ، سواء أكانت في القديم أم في الحديث ، ترجع إلى سبب بارز أو حادث ضخم . . **ومدينة «شيزر» التي نحن بصددها اليوم ، اشتهرت في الأمس البعيد لسبب بارز وباعث ضخم معاً ، فلقد شاء القدر أن تكون خط الدفاع الأول للمسلمين ضد هجمات البيزنطيين والصليبيين وحملاتهم المتواصلة من طرف ، وأن تكون مسقط رأس فارس عربي كبير وشاعر متميز فحل هو الأمير أسامة بن منقذ من طرف آخر** ، وكلاهما ـ المدينة الحصينة ، والشاعر الفارس ـ سجل الأمجاد والمفاخر في فترة من أحرج فترات التاريخ العربي الإسلامي وأخطرها ، ثم غاب ، تاركاً للأجيال المتلاحقة سيرة مثلى وعبرة تتلى . . . وها نحن أولاء نسلط الأضواء على ذلك جميعه من خلال هذه الرحلة الجديدة من رحلات مجلة «الفيصل» في آفاق «مدينة وتاريخ» .

★ مدينة شيزر الجديدة وسهولها التي كانت غابات ظليلة كما تظهر من أعالي القلعة ★

جغرافية شيزر

تقع شيزر في وسط **سورية** على بعد (٢٨) كم شمالي غربي **مدينة حماة** ، وتبعد حوالي (٤) كم عن بلدة محردة ، و (٨٠) كم عن البحر المتوسط ، ويحدها **نهر العاصي** من جهاتها الشمالية والشرقية والشمالية الغربية ، وتتوسط منطقة كانت لها أهميتها في الماضي ، إذ إنها تقع على الطريق الداخلية والمعبر الطبيعي الذي يساير نهر العاصي ، ولا بد لمن سلك هذه الطريق من أن يمر بشيزر قبل مروره بمدينة حماة إن كان يبغي الجنوب ، وبعده إن كان يبغي الشمال **(كما فعل الشاعر أمرؤ القيس)** .

وشيزر قسمان : قسم يقع ضمن **القلعة (الحصن)** ، وهي أكمة صخرية متشامخة أطلق عليها المؤرخون والجغرافيون العرب لنتوئها « **عرف الديك** » ، ويلتف حولها نهر العاصي ضمن خانق عميق من جهاتها الثلاث فإذا بها شبه جزيرة بوضعها الجغرافي ، وما لبث الإنسان أن أكمل هذا الوضع حيث قام بحفر الصخر الواصل بين شبه الجزيرة هذه ، والجبال الصخرية الجنوبية ، وأنتج خندقاً واسعاً وعميقاً زاد في مناعة الحصن وفي تعذر الوصول إليه . . ويتراوح ارتفاع هذه القلعة بين (٤٠ ــ ٥٠) متراً بحيث تشرف إشرافاً كاملاً على السهول المجاورة والممتدة من جهات الشمال والغرب والجنوب الغربي .

وأما القسم الثاني فيتناثر على سفوح القلعة الغربية ويلامسه نهر العاصي من الجهة الشمالية ، ويضم الآن بيوت السكان الحاليين (**شيزر الجديدة**) وعددهم حوالي (٢٥٠٠) نسمة ، وبقايا المدينة القديمة ، وتمر من هذا القسم الطريق الواصلة بين مدينة حماة **ومنطقتي طار العلا والغاب** .

قدمها ونشأتها

مما لا شك فيه أن شيزر ــ **المدينة والقلعة** ــ من مدن سورية القديمة ، ويؤكد على ذلك **المؤرخ ابن الشحنة** في تاريخه « **الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب** » ، وكثير من المؤرخين والباحثين يرى أن موقعها يطابق تماماً موقع **مدينة (سيزار) القديمة والتي تمثل قلعتها الأكربول** (والأكربول هو التل الدفاعي أو الهضبة الحصينة في المدينة اليونانية القديمة) . . وإن عدة حفريات قد أظهرت آثاراً قديمة جداً كان آخرها **الحمام الروماني** الذي ظهر حينما كانت مؤسسة أبنية التعليم تجري عمليات حفر أسس وقواعد لمدرسة جديدة في شيزر في العام الماضي .

ولقد ذكرت شيزر بأسمائها المتعددة في وقت مبكر ، وأبرزها **نقوش الفراعنة المصريين ورقم تل العمارنة** في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد ، وكذلك **النصوص الإغريقية والبيزنطية** . . **وأشعار الجاهليين العرب** منذ نيف وألف وخمسمائة عام .

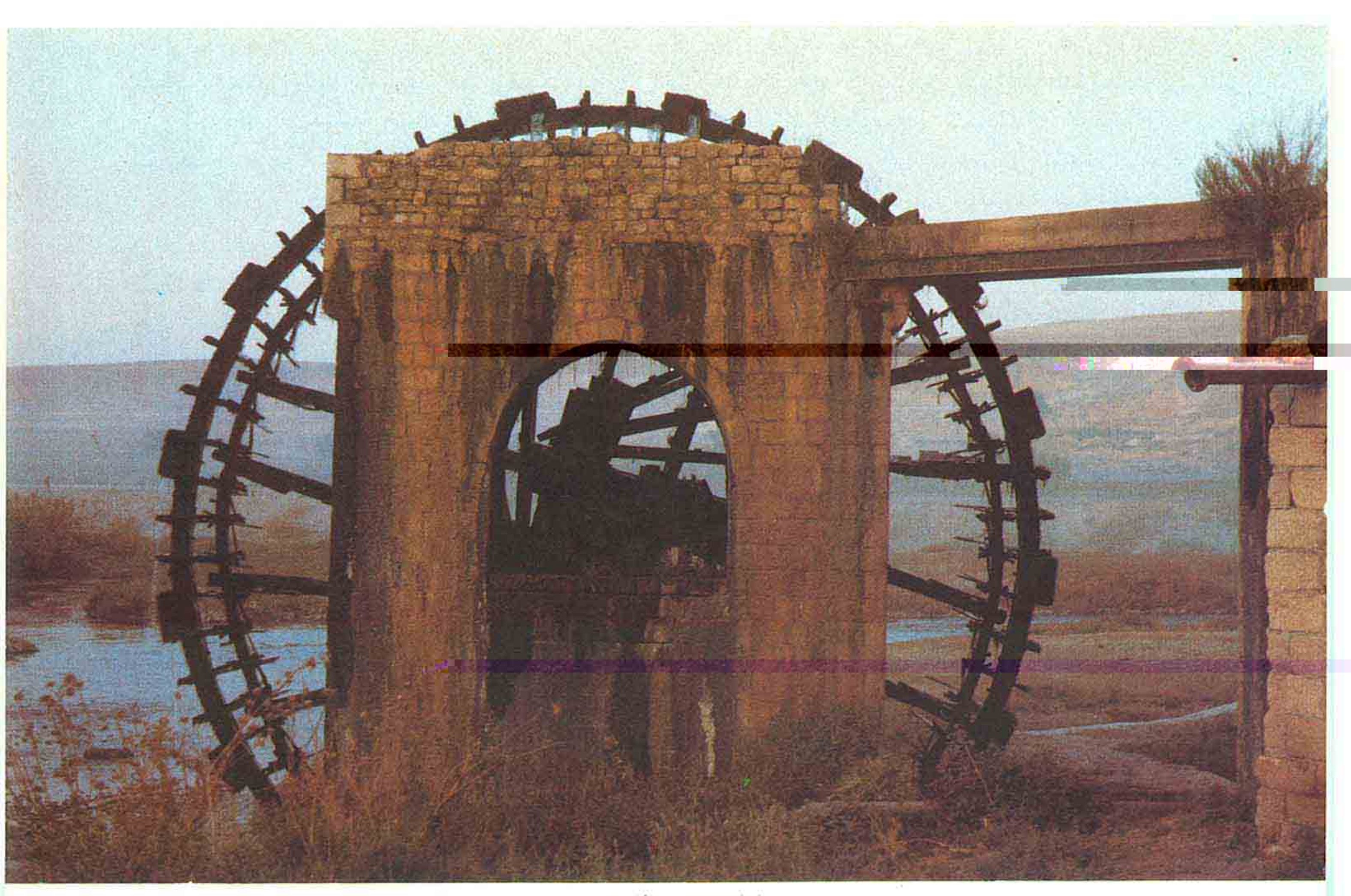
من هنا نرى أن لشيزر تاريخاً عريقاً موغلاً في القدم ، اكتشف بعضه القليل ، وكثيره ما يزال ينتظر من ينفض عنه غبار آلاف السنين ليقدمه للناس صورة رائعة متكاملة بألوانها وظلالها لمدينة وقلعة لعبتا دوراً هاماً في تاريخ المنطقة وعلى مدى حقب من الزمن طويلة .

أسماؤها

حفظت لنا النقوش والنصوص وكتب التاريخ عدة أسماء لشيزر ، المدينة الكنعانية التي نشأت منذ العهود السحيقة ، ولعل أقدم ما وصل إلينا حتى الآن في هذا الصدد **نقوش الملك تحتمس الثالث سادس فراعنة الأسرة الثامنة عشرة** في أوائل القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، والمدونة باللغة **الهيروغليفية** ، وفيها ورد اسم شيزر على ثلاثة أشكال : سنزارا ــ سنزار ــ سيزار ، ثم وردت من بعد باسم : شنزار في كتابات **الملك أمنحوتب الثاني** أحد فراعنة الأسرة نفسها في أواخر القرن الخامس عشر قبل الميلاد من خلال وصف إحدى حملاته على سورية ، ثم وردت باسم : زنزار في رُقُم تل العمارنة المسمارية المصرية في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وأما المصادر اليونانية واللاتينية فقد ذكرتها بأسماء عديدة أبرزها : سيزارا ــ سيزار ــ سدزارا ــ تسيزريا . . . على أن **الإمبراطور سلوقوس نيكاتور** أسماها في القرن الرابع قبل الميلاد : **لاريسا** . . ولكن الاسم الكنعاني السامي ما لبث أن عم على ألسنة

★ القناطر والباب الرئيسي وجانب من الكتلة الهرمية ★





★ ناعورة شيزر من الخلف ★

العرب كما نراه في شعر **امرئ القيس وعبيد الله بن قيس الرقيات**.

بيد أن **البيزنطيين** عادوا فذكروها في كتاباتهم باسم: سيزار، وأما مؤرخو الحروب الصليبية فقد أسموها عدة أسماء هي: تسيزاريا – قيصرية – وقيصرية العاصي تمييزاً لها من مدن أخرى سميت باسم قيصرية.. إلى أن كان القرن التاسع الهجري (القرن الخامس عشر الميلادي) حيث نجد **المؤرخ خليل بن شاهين الظاهري** يسميها «سيجر» في كتابه «**زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**».

وهي الآن.. شيزر عند المثقفين وفي الكتب واللافتات والسجلات، ولكنها ما تزال سيجر في نطق الكثيرين من عامة الناس.

شيزر عبر التاريخ

مهما مر جميعه رأينا أن شيزر ذات تاريخ معرق في القدم، ولكن المصادر والمكتشفات ما تزال شحيحة في تقديم صورة الماضي البعيد بكل جوانبه ومعالمه، ولقد مر بنا أنها ذكرت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد عند قدماء المصريين، وهذا يعني أهميتها في تلك الفترة، ثم ما نلبث أن نقع على ذكرها ثانية في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد حين قام **الإمبراطور السلوقي سلوقوس الأول نيكاتور** بتجديدها بعد احتلالها وإحراقها، ثم استقدم جالية أرمنية من مدينة لاريسا من مقاطعة تساليا في اليونان، وأسكنهم مدينة شيزر، وحوّل اسمها إلى (**لاريسا**) باسم مدينتهم الأصلية، فاستوطنوها ومكثوا فيها حتى الغزو الروماني.

ومن بعد كانت شيزر جزءاً من الإمبراطورية التدمرية بدليل أن **القيصر أورليانوس** فتحها في عام ٢٧١ م، أثناء مطاردته جيش **الملكة زنوبيا** المنكسر أمامه في معركة جرت حول **مدينة أنطاكية**.

ويؤكد **الباحث كامل شحادة** أن شيزر ازدهرت في العهدين الروماني والبيزنطي معاً، إذ اتسعت المدينة، وجلب إليها الماء بقناتين كبيرتين للري والإرواء، وأصبحت دار أسقفية حيث يذكر **العلامة كلزر** في تآليفه عن آباء المجمع النيقي أن **الأسقف جيرنسيوس** كان من أساقفة مدينة لاريسا في سورية.

ولقد عرف العرب شيزر في جاهليتهم، وذكروها في بعض أشعارهم، وها هو ذا امرؤ القيس يعرج على حماة وعليها حين قصد إمبراطور الروم طالباً المعونة للأخذ بثأر أبيه:

فلما بدت حوران، والآل دونها
نظرت، فلم تنظر بعينيك منظرا

نقطع أسباب اللبانة والهوى

عشية جاوزنا حماة **فشيزرا**

[illegible]

أخو الجهد لا يلوي على من تعذرا

إلى أن كان عام (١٧هـ ــ ٦٣٨م) حين دخلها **الصحابي الجليل أبو عبيدة عامر بن الجراح** قائد الجيش العربي الإسلامي بعد أن فتح حمص وحماة، فخرج أهلها لاستقباله، وسرهم أن عقد معهم صلحاً يتفق في شروطه العامة مع صلح أهل حماة: أي الجزية لرؤوسهم والخراج على أرضهم، وجعلت شيزر من أعمال جند حمص.

ونلمح شيزر من جديد في ثنايا شعرنا العربي في العصر الأموي حوالي عام (٨١هـ ــ ٧٠٠م)، وذلك في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات حيث يقول:

قفوا وانظروا بي نحو قومي نظرة

فلم يقف الحادي بنا وتغشمرا

فواحزناً إذ فارقونا وجاوروا

سوى قومهم أعلى حماة **وشيزرا**

بلاد تعود الناس لم يولدوا بها

وقد غنيت منها معاناً ومحضرا

وفي تلك الفترة (أي أواخر القرن الأول الهجري ــ السابع الميلادي) استوطنها جماعة من المسيحيين الموارنة عند انتشارهم في وادي العاصي.

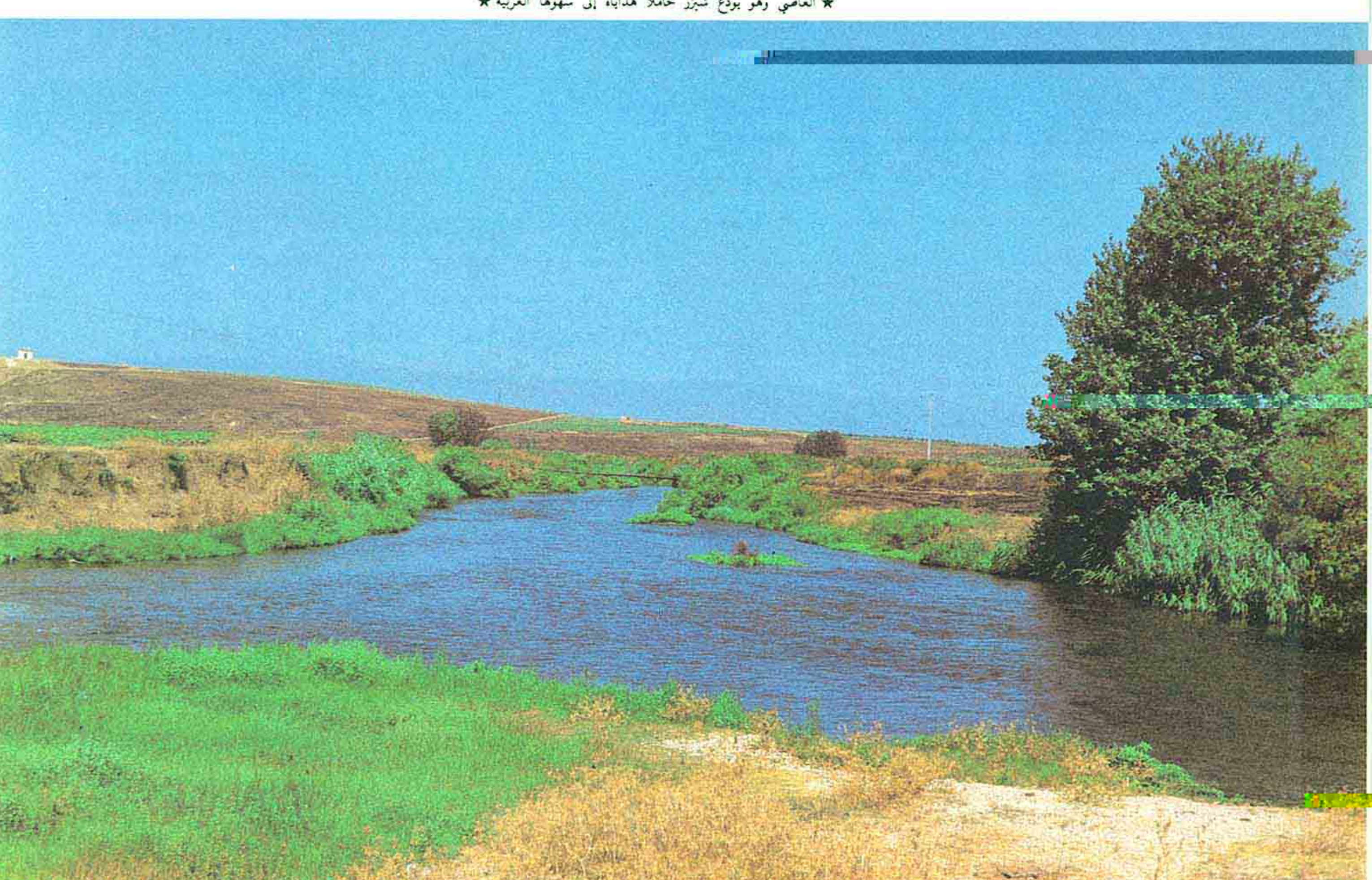
ويذكر **اليعقوبي** في «كتاب البلدان» أن سكانها في القرن الثالث [illegible] زاها في نهايته **القرامطة**، وما يزال فيها تل يعرف باسمهم لنزولهم فيه.

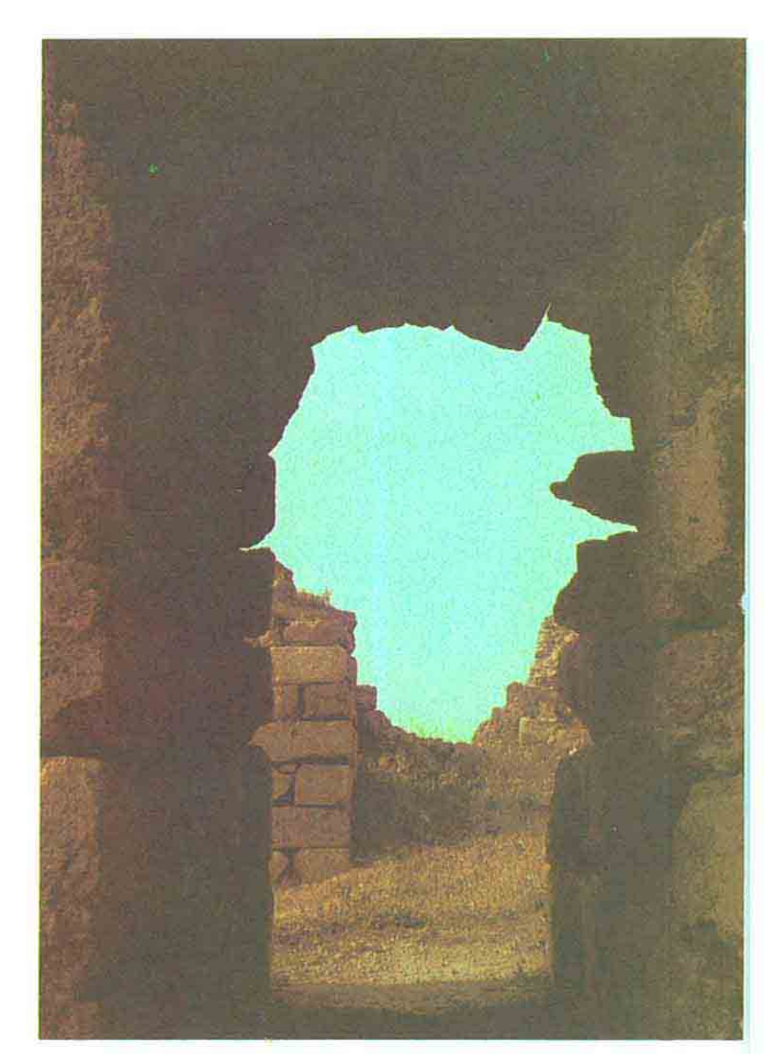
وبما أن شيزر وجارتها **أفامية** تقعان على طريق التجارة والغزو وتتسلطان على وادي العاصي فقد كانت لهما مكانة جليلة وهامة، **وكانت شيزر بخاصة تعد مفتاح بلاد الشام**، ولهذا ظلت عرضة لهجمات الروم البيزنطيين المتتابعة.. ففي سنة (٣٣٩هـ ــ ٩٥٠م)، يذكر **ابن الوردي** في تاريخه أن **بسيل** ملك الروم خرج بعسكره فنزل على أفامية وجمع عظام القتلى وصلى عليها، ودفنها، وفتح شيزر بالأمان لقلة رجالها.

وفي عام (٣٥٦هـ ــ ٩٦٧م)، زحف **القيصر نقفور الثاني فوكاس** على جوف بلاد الشام محاذياً طريق نهر العاصي، ومضى إلى الاستيلاء على المدن الكبيرة ونهبها الواحدة تلو الأخرى حتى وصل إلى **مدينة حلب**، فلم يجد أميرها **سيف الدولة الحمداني** ملجأ يعتصم به أفضل من شيزر، لكنه أصيب فيها بمرض شديد نقل على أثره إلى عاصمة إمارته حلب حيث توفي فيها في نهاية العام نفسه ودفن في ميافارقين.

وفي عام (٣٥٧هـ ــ ٩٦٨م)، وصل نقفور إلى شيزر واستولى

★ العاصي وهو يودع شيزر حاملاً هداياه إلى سهولها الغربية ★





★ منحدرات شيزر التي بنيت عليها القلعة الحصينة التي صمدت في وجه الغزاة ★

عليها ، وأحرق جامعها ، وأقام فيها حامية رومية . . وبعد فترة اصطلح مع **قرعويه** متولي حلب من قبل **سعد الدولة ابن سيف الدولة الحمداني** على عشرة قناطير ذهب : ثلاثة عن حق الأرض ، وسبعة عن خراج بلاد عديدة منها **شيزر وحلب وقنسرين وحماة وحمص ومعرة النعمان وكفرطاب** . . . يحملها إليه قرعويه كل سنة ، وعلى ألا يمكن قرعويه أهالي تلك البلاد من النزوح عن مواطنهم ليبتاع الروم منهم ما يحتاجون إليه حين غزوهم تلك البقاع من جديد . . ولكن سعد الدولة رفض الاعتراف بهذه المعاهدة المُذلّة ، وظل في معرة النعمان ، وسعى بكل إمكاناته للتخلص منها ، فقام الروم بتخريب مدينة حمص ليضطروه إلى الإذعان ، فثبت على موقفه ، بيد أن الخوف والحذر أحاطا به من زحف الفاطميين من مصر ونواهم من ملكه . . ولذا أذعن وأدى الجزية في عام (٣٧٣هـ ــ ٩٨٣م) .

ولقد حدث ما خشي منه سعد الدولة إذ أقبل جيش الفاطميين بقيادة **منجوتكين** في عام (٣٨٢هـ ــ ٩٩٢م) ، وحاصر شيزر واستخلصها من قائدها **سوسن الحمداني** بعد أن أمّنه على حياته وماله مثلما استخلص أفامية وغيرها ، فما كان من **أبي الفضائل** ابن سعد الدولة الحمداني إلا أن استنجد **بالقيصر الرومي باسيليوس الثاني** لينقذه من منجوتكين فلباه ، وزحف في عام (٣٨٣هـ ــ ٩٩٣م) ، وحاصر العديد من المدن والقرى ، وكانت شيزر من بينها ، واستطاع تخليصها من **قائدها الفاطمي منصور بن قراديس** ، وأقام فيها حامية قوية من جند الروم .

ولكن شيزر ما لبثت أن عادت إلى سيادة الفاطميين حين زحف **القائد الفاطمي حبيش بن الصمصامة** والي دمشق إلى شمالي سورية ، واحتل في طريقه كل شيء ، حتى وصل إلى شيزر وتمكن من احتلالها ، واستمر زاحفاً نحو أفامية حيث جرت معركة هائلة بينه وبين الروم بقيادة **دميانوس دالسينوس (دوق أنطاكية)** ، انتهت بمقتل الدوق وانكسار جيشه وذلك في عام (٣٨٧هـ ــ ٩٩٨م) ، ومن ثم سلم ابن الصمصامة شيزر لقائد اسمه **حلمان بن قراديس** ، ولعله أخو منصور الذي كان واليها من قبل . . وعاد إلى دمشق عاصمة ولايته .

وفي العام التالي قام القيصر باسيليوس بقيادة حملة ضخمة وتوجه إلى شيزر ، وحاصرها ، وضرب القناطر المعلقة التي كانت تأتي بالماء إلى القلعة ، ودافعت حاميتها دفاعاً مجيداً ، إلا أن فقدان الماء اضطرها أخيراً إلى الاستسلام على أن تؤمن على أرواحها وأموالها ، وأن تخرج من القلعة دون أن تذل نفسها بالسير أمام القيصر سير المهزومين على ما جرت به عادة الروم حين انتصارهم في معركة ما ، ورضي باسيليوس بهذه الشروط ، وسقطت القلعة في يد الروم . . ونزح أكثر السكان المسلمين ، فأقام القيصر مكانهم جالية مستعمرة من الأرمن واستقرت شيزر وأعمالها في أيدي الروم البيزنطيين نحو (٨٢) عاماً إلى أن ظهر **بنو منقذ** الذين سيسجلون في رحابها أنصع الصفحات وأسماها .

شيزر وبنو منقذ

وفي عام (٤١٦هـ ــ ١٠٢٥م) **أقطع صالح بن مرداس** صاحب حلب بني منقذ البلاد المجاورة لشيزر ، وأما شيزر فقد ظلت بيد الروم . . . **ويرق نسب بني منقذ إلى العرب القحطانية** ، فهم من **قبيلة كنانة** وهي كثيرة العدد ، كانت تسكن قبيل الإسلام حول **مكة المكرمة** ، فلما جاء الفتح انتقلت من القبائل ، وتفرقت في الممالك المفتوحة ، ونزلت في الشام وغيرها ، وكانت ــ كما يقول **الدكتور سامي الدهان** ــ تحمل معها مفاخرها القديمة في اعتزاز ، فقد كان منها شجعان وفرسان وعلماء ، فيهم **ربيعة بن مكدم** فارس العرب وحامي الظعينة ، **وأبو ذر الغفاري** الصحابي الكبير ، وفيهم **أبو الأسود الدؤلي** العالم اللوذعي . . . وظلت على سيرة الأجداد في الإباء والعزة والشهامة ، وحافظ أبناؤها وفروعها على عادات العرب في الفروسية والبطولة والنجدة ، وخط بنو منقذ للقبيلة صفحات في تاريخ سورية تقف للفخار العربي القديم ، وتصل بين الماضي والحاضر ، فلقد اشتهر منهم رجال كبار ، كل منهم فارس شجاع أو شاعر أديب ، وذاع صيتهم خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، وكانت مساكنهم بين حلب وحماة ، وهم بتلك الأراضي الأملاك الثمينة ، والدور النفيسة ، وكانوا أمراء هذه الأطراف يكرمهم ملوك الشام في ذلك العهد ويجلون قدرهم ، ويقصدهم شعراء عصرهم ويمدحونهم ، ومن أبرزهم

الشاعران ابن الخياط وابن سنان الخفاجي.

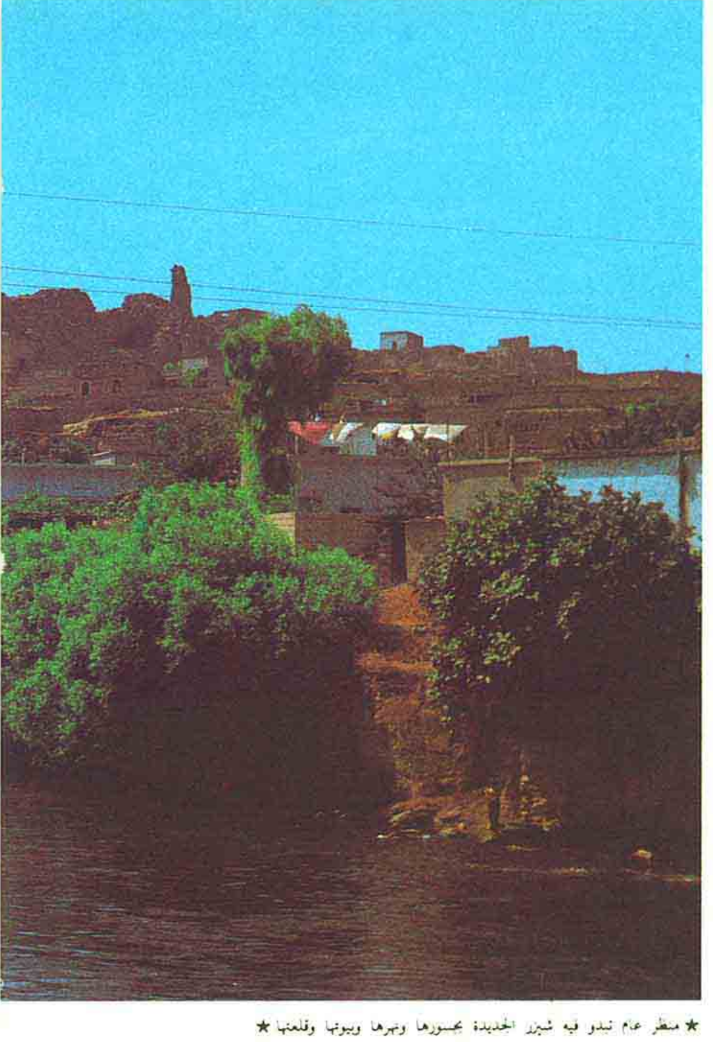
وأول من عرف من بني منقذ واشتهر هو **أبو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ** الذي استولى على كفرطاب بجوار شيزر عام (٤٣٣ هـ ــ ١٠٤١ م)، وكانت حدود أملاكه تصل جنوباً إلى نهر العاصي، وهو الذي بنى رأس الجسر المعروف بجسر بني منقذ غربي شيزر **(جسر العشارنة الآن)** وذلك ليمنع وصول المدد إلى شيزر من أفامية التي كانت بيد الروم.

وفي عام (٤٥٠ هـ ــ ١٠٥٩ م)، توفي الأمير مقلد في حلب، وحمل جثمانه إلى كفرطاب، وخلفه ابنه **أبو الحسن علي بن مقلد الملقب سديد الملك**، وكان ينزل بجوار شيزر وبقرب الجسر الذي بناه والده، وكانت القلعة ما تزال في يد الروم البيزنطيين، فحدثته نفسه بالاستيلاء عليها، وشرع في عام (٤٦٨ هـ ــ ١٠٧٦ م)، في عمارة حصن الجسر ليمنع عن شيزر وقلعتها المدد والمؤن فتضطرا إلى التسليم، وقام في الوقت نفسه باحتلال **حصن الجراص** المجاور فأضحت الأطواق محكمة مما دفع مطران البارة المقيم في شيزر حين بلغ به الضيق مبلغه إلى مراسلة الأمير علي عارضاً عليه تسليم حصن شيزر مع بذل أموال ضخمة مقابل سماح الأمير المنقذي للحامية الرومية البيزنطية بالخروج منه آمنة على أرواحها وأموالها دون أن تتعرض للمذلة والمهانة.. وتم ذلك في عام (٤٧٤ هـ ــ ١٠٨١ م)، وها هو ذا الأمير علي يكتب إلى **الخليفة الناصر العباسي** في بغداد واصفاً عمله الجليل:

«.. نظرت إلى هذا الحصن فرأيت أمراً يذهل الألباب، يسع ثلاثة آلاف رجل بالأهل والمال ويمسكه خمس نسوة، فعمدت إلى تل بينه وبين حصن الروم يعرف بالجراص، فعمرته حصناً، وجمعت فيه أهلي وعشيرتي، ونفرت نفرة على حصن الجراص فأخذته بالسيف من الروم، ومع ذلك فلما أخذت من به من الروم أحسنت إليهم وأكرمتهم، ومزجتهم بأهلي، فرأى أهل شيزر فعلي، فأنسوا بي، ووصل إليّ منهم قريب نصفهم، فبالغت في إكرامهم، ووصل إليهم **مسلم بن قريش العقيلي** فقتل من أهل شيزر نحو عشرين رجلاً، فلما انصرف مسلم عنهم سلموا الحصن إليّ..».

ويظهر من كلام الأمير علي أن شرف الدولة مسلم بن قريش العقيلي صاحب الموصل وحلب كان يطمع في فتح شيزر، وأنه حاول وكان الفشل حليفه، ولهذا حسد الأمير المنقذي على نجاحه في الاستيلاء عليها، وقام بتجهيز جيش في حلب بقيادة أخيه **مؤيد الدولة علي بن قريش** الذي زحف باتجاه شيزر واجتاح في طريقه **حصن أسفونا** التابع لابن منقذ نفسه.

وكانت شيزر وحصنها حينذاك في حالة تأهب دائب، وحمل الأمير المنقذي من الجسر إلى حصن شيزر ما يكفي لمن فيه مدة طويلة من مختلف الحاجيات، ووصل جيش العقيلي، وحاصر شيزر وحصنها مدة تقارب الشهر دونما فائدة إلى أن جاء **شرف الدولة مسلم** بنفسه عام (٤٧٥هـ ــ ١٠٨٢ م)، وقاد الحصار ولم يصل إلى نتيجة، فترك عسكره في الحصار ورحل إلى حمص خائباً سعيه في انتزاع شيزر من قبضة الأمير



★ منظر عام تبدو فيه شيزر الجديدة بجسورها ونهرها وبيوتها وقلعتها ★

المنقذي الذي استطاع بصبره ورباطة جأشه وحنكته من إنهاء الحصار حين هدأ من ثورة العقيلي بإيفاد وفد على مستوى عال حمل الهدايا الثمينة إليه في حمص.

وفي السنة نفسها توفي الأمير علي، فخلفه ابنه عز الدولة **أبو مرهف نصر بن علي** وكان ورعاً كريماً مغرماً بالفنون، ولقد بلغت إمارة شيزر في عهده أقصى امتدادها إذ حوت بين جنباتها أفامية وكفرطاب واللاذقية ومعرة النعمان ومصياف...

وفي عام (٤٧٩هـ ــ ١٠٨٦ م)، وصل جيش **السلطان ملكشاه ابن ألب أرسلان السلجوقي** صاحب أصفهان إلى حلب واستولى عليها، ومن بعده عزم على الاتجاه إلى شيزر، فما كان من الأمير نصر إلا أن أرسل إليه وفداً يعلمه طلب دخوله في طاعته، فأجابه السلطان إلى طلبه، وثنى الجيش عن متابعة المسير وأقر الأمير المنقذي على شيزر.

ومع هذا كله فقد تعرضت شيزر في عهد الأمير نصر إلى الغزو والحصار غير مرة.. وكانت فيه جميعاً صورة مثلى للصمود، ولم ينل أحد منها طائلاً، ففي عام (٤٨١هـ ــ ١٠٨٨ م)، قام **قسيم الدولة آق سنقر (والد عماد الدين زنكي)** صاحب حلب بتجهيز جيشه، وسار على رأسه قاصداً حصار قلعة شيزر، وأقام عندها أياماً، وضيق على أميرها نصر. ونهب ما حولها من بيوت ومساكن، لكنه لم يتمكن من احتلالها، فكان لا بد من الصلح.. وعاد أدراجه إلى حلب.



واستمرت الأمور على هذا المنوال إلى أن توفي الأمير نصر دون عقب في عام (٤٩١هـ ــ ١٠٩٨ م) ، بعد زمن قليل من استيلاء الصليبيين على أنطاكية ، وكان قد عهد بالإمارة من بعده إلى أخيه مجد الدين أبي سلامة مرشد والد أسامة الأديب الشاعر والفارس البطل ، ولكن مرشداً كان ولوعاً بالخط والصيد . . وهو الذي كان يحض أسامة على ركوب الأخطار ، ويعلمه طرق الإقدام ، ويصطحبه معه في رحلات صيده ــ كما أعلمنا أسامة في كتابه الاعتبار ــ وهو الذي كان صاحب خط مليح لم ينسلخ به سوى **القرآن الكريم** ، وعندما حضرته الوفاة رغب إلى أبنائه أن يضعوا تحت خده في القبر المساطر التي كتب عليها ختمات الكتاب الكريم ، فكانت ــ كما يذكر أسامة ــ ثلاثاً وأربعين منها ختمة كبيرة كتبها بالذهب ، وكتب فيها علوم القرآن الكريم : قراءاته ، وغريبه ، وعربيه وناسخه ، ومنسوخه ، وتفسيره ، وسبب نزوله ، وفقهه . . بالحبر والحمرة والزرقة وسماه « **التفسير الكبير** » وهذا جميعه رفض تولي إمارة الحصن وما حوله قائلاً :

« والله لا وليته ، ولأخرجن من الدنيا كما دخلتها . . » ، وتنازل عن الإمارة إلى أخيه الأصغر **عز الدين أبي العساكر سلطان** الذي حكم شيزر وما حولها مدة (٥٧) عاماً حفلت ساعاتها ودقائقها بالخطير والجليل من الحوادث والأمجاد ، وبخاصة كون إمارته أضحت خط الدفاع الأول أمام الصليبيين في سبيل وصولهم إلى قلب سورية ، ولهذا باشر بمساعدة أخيه الأمير مرشد ومشورته في اتخاذ طريق الهجوم ، وعمدا معاً إلى غزو أفامية مما أجبر الصليبيين على إبقاء نقطة مراقبة دائمة في الجبل المواجه لشيزر لتخبرهم عن تحركات أصحابها .

شيزر والأحداث الكبار

وتوالت الأحداث بكثرة بالغة ، والتي سأذكر البارز منها والهام في هذه العجالة التاريخية ، ففي العام التالي لتولي الأمير سلطان تعرضت مدينة معرة النعمان لاحتلال الفرنجة الصليبيين واستبيحت أياماً عسيرة ، وتهيأت شيزر للقتال ، ولكن الصليبيين لم يتابعوا السير نحوها ، فسلم أهلها والذين التجأوا إليها .

وفي عام (٥٠٠ هـ ــ ١١٠٦ م) ، اغتيل أمير أفامية ، واستنجد سكان المدينة من الأرمن بالقائد الصليبي **تانكريد دي هوتفيل** أمير أنطاكية الذي مضى بجيشه نحو الجنوب ، وشرع في حصار أفامية ، ولكن والي المنطقة العربي **أبا الفتح السرميني** تمكن من إعادة الأمن إلى نصابه ، وساعده أميرا شيزر وحماة ، فلم يسع تانكريد إلا الانسحاب بعد حصار استمر ثلاثة أسابيع متوالية .

وتمكن الصليبيون في نهاية العام نفسه من احتلال أفامية ، ثم تابعوا سيرهم نحو كفر طاب ، وتمكنوا من احتلالها كذلك ، ونصبوا عليها فارساً اسمه **تيوفيل** والذي لم يلبث ــ على حد تعبير المؤرخين الإفرنج ــ أن اصبح مصدر رعب وحذر وتوقع للمسلمين في شيزر .

وفي عام (٥٠٢ هـ ــ ١١٠٨ م) ، وصل جيش صليبي ضخم بقيادة تانكريد إلى أطراف شيزر ، وشدد عليها الحصار ، ولكن دون طائل ، فما كان منه إلا أن قتل جماعة صغيرة من رجالها أوقع بهم في مغارة ، ثم ارتد إلى عاصمة إمارته . . وفي العام التالي أغار ثانية على شيزر ، وحين سمع الأميران سلطان ومرشد بذلك خفّا للقائه ، ولكن الأعداد الهائلة من الصليبيين غير المتوقعة جعلت المنقذيين يعودان إلى حصن القلعة ويتحصنان به مع الشيزريين إلى أن فشل الحصار ، وانتهى بتوقيع معاهدة هدنة لبضعة شهور .

وفي عام (٥٢٧ هـ ــ ١١٣٣ م) ، جاءها **شمس الملوك إسماعيل ابن بوري بن طغتكين** صاحب دمشق بعد أن حاصر حماة في تلك السنة واستولى عليها ، وحاصر شيزر وحصنها ، وقام بنهب البلدة ، فكان لا بد للأمير سلطان من مصانعته وتقديم مبالغ من المال له ، فعاد عن الحصار وقفل راجعاً إلى دمشق .

وفي عام (٥٣١ هـ ــ ١١٣٧ م) رحل قيصر الروم **يوحنا الثاني كومنينوس** قاصداً معرة النعمان ، ثم تحول عنها إلى شيزر وكفرطاب ، وكان على رأس جيش جرار بعدده وعُدده ، وحين اقترب من شيزر نصب على **جبل جريجس** القائم على الضفة الشرقية لنهر العاصي والمشرف على القلعة (الحصن) ثمانية عشر منجنيقاً هائلاً أتى بها معه من بلاد الروم ، وتبلغ حجرها ما لا تبلغ النشّابة ، وترمي الحجر عشرين وخمسة وعشرين

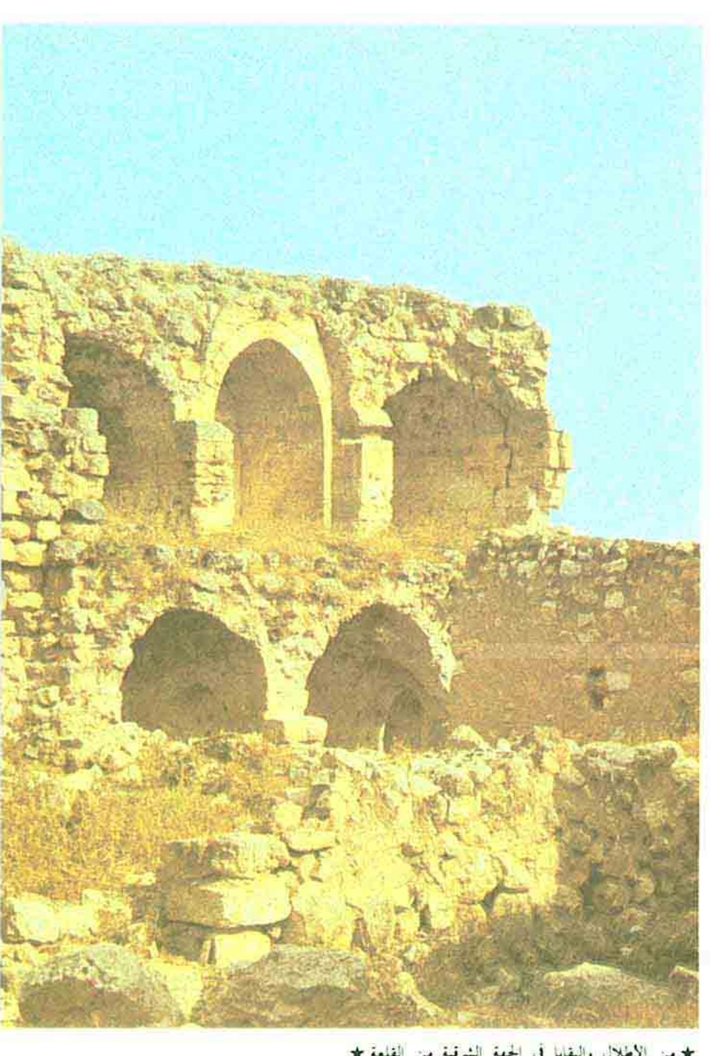
رطلاً كما أخبرنا الأمير أسامة بن منقذ الذي شارك في الدفاع والقتال ، وحين تفاقم الحصار أرسل الأمير سلطان رسولا إلى عماد الدين زنكي أتابك الموصل يستنجده ، فنزل زنكي على حماة ، وشرع يركب كل يوم في عساكره ، ويسير إلى شيزر بحيث يراه قيصر الروم ، ويرسل السرايا يتخطف من يخرج من عساكره للميرة والنهب ، ثم يعود آخر النهار . . وبينا هم على تلك الحال وصل جيش صليبي ونزل شرقي شيزر داعماً جيش الروم في هذا الغزو ، وعانت قلعة شيزر من منجنيقات الروم والصليبيين معاناة كبيرة ذكرها الأمير أسامة في كتابه « الاعتبار » وقاوم الشيزريون بقيادة بني منقذ هذا الحصار الهائل الذي دام أربعة وعشرين يوماً ببسالة وشجاعة وإيمان تدعمهم حصانة قلعتهم وصخور شيزر الشديدة الانحدار ، بالإضافة إلى أعمال عماد الدين زنكي ومراسلاته وقيامه بإيقاع الشحناء بين الروم والصليبيين الذين نزلت بهم الهزيمة ، فارتد القيصر عن القلعة وحاول الاستيلاء على المدينة السفلى (أي شيزر) ولكنه لم يستطع ، فانسحب وترك المجانيق وآلات الحصار في مكانها ، ولم يستطع حملها معه لثقلها ، فغنمها عماد الدين ، وكان المسلمون في بلاد الشام قد اشتد خوفهم وعلموا أن الروم والصليبيين إن ملكوا حصن شيزر لا يبقى لمسلم منهم مقام ، ولا سيما مسلمي مدينة حماة لقربها .

ولم يقنع صليبيو أنطاكية بهذه النتيجة فنزلوا ثانية على شيزر بقيادة **الأمير برتداند** ، وكان ماء العاصي بينهم وبين شيزر عظيماً لا يمكن خوضه ، وما وجدوا سبيلاً إلى شيزر وقلعتها ، فلما تبينوا ذلك انتشروا في الأرض ، ودخلوا البساتين يرعون خيلهم ، فجاء نفر منهم إلى البستان وناموا ، فتجرد رجال من بني منقذ ، ونزلوا من سرداب القلعة المتصل بالعاصي ، وسبحوا إليهم فقتلوا منهم ، وجرحوا بعضهم ، وانتشر الصياح في الصليبيين وهم في خيامهم ، ففزعوا وجاءوا مثل السيل ، كل من ظفروا به قتلوه ، وانتهى بعضهم إلى **مسجد أبي المجد ابن سمية** ، ودخلوه ، ثم خرجوا منه ، وانصرفوا بعد ذلك عن شيزر خائبين .

وفي عام (٥٣٥ هـ ــ ١١٤٠ م) ، وثب جماعات من **الإسماعيلية** على حصن مصياف الذي كان لبني منقذ ، واحتالوا على عاملهم فيه وقتلوه ، وملكوا الحصن ، وتمادى بهم الحال فقصدوا شيزر في وقت كانت فيه القلعة خالية من أمراء بني منقذ الذين ذهبوا إلى مشاهدة الاحتفال بعيد القيامة المسيحي في حماة ، وتمكنوا من ملك القلعة ، وبادر أهل المدينة السفلى إلى باشورة القلعة (مدخل الحصن ومربط الخيول) وأصعدهم النساء بالحبال من الطاقات ، وأدركهم أمراء بني منقذ على أثر وصول الخبر إليهم ووضعوا السيف في المحتلين فلم يسلم منهم أحد .

وكانت شيزر إلى ذلك جميعه قاعدة لأمير همذان في حربه ضد الصليبيين ، ومقراً للأسرى والرهائن من الروم والصليبيين ، كما تعرضت لهجمات الأمير الصليبي **بوهمند الثاني** غير مرة ولم ينل منها أي طائل ، كما أعلن ريموند أمير أنطاكية الصليبي انتماءه إلى القيصر الرومي ، وحاول أن يحصل على إمارة تتألف من حلب وشيزر وحماة بمشورة القيصر ، ولكن خاب فأله .

ولعله من المؤسف أن نفرة حصلت بين الأمير سلطان وأخيه الأمير



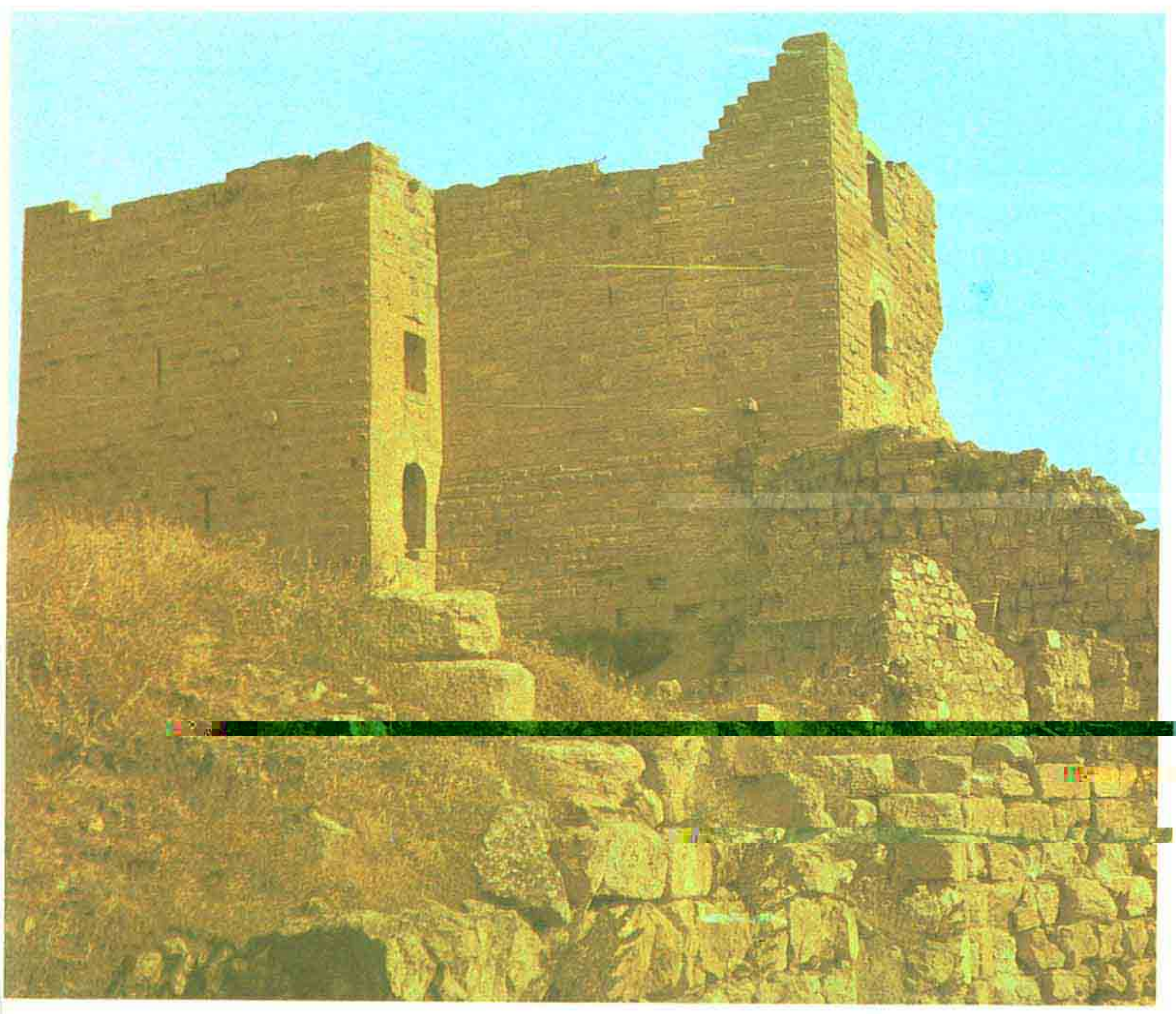
★ من الأطلال والبقايا في الجهة الشرقية من القلعة ★

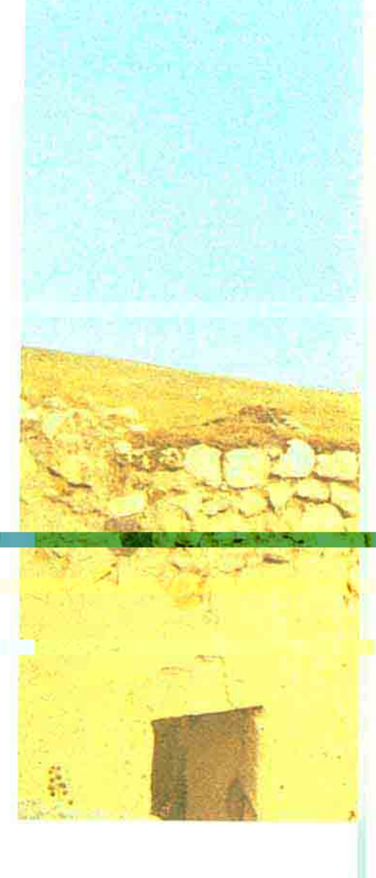
مرشد بسبب أولادهما ، ولهذا فإن سلطان عقب وفاة أخيه في عام (٥٣١ هـ ــ ١١٣٧ م) بادأ أولاده : علي وأسامة ومحمد بالسوء ، وأخرجهم من شيزر ، فقصدوا نور الدين محمود في دمشق ، وشكوا له ما لقوا من عمهم ، فغاظه ذلك ، ولكنه لم يتمكن من مساعدتهم لاشتغاله بالجهاد ضد الصليبيين .

مأساة بني منقذ المروعة

وفي عام (٥٤٨ هـ ــ ١١٥٤ م) ، توفي الأمير سلطان ، وخلفه ابنه الأمير تاج الدولة ناصر الدين محمد الذي هلك في الزلزلة الهائلة التي حدثت سنة (٥٥٢ هـ ــ ١١٥٧ م) ، وخربت كثيراً من مدن الشام الشمالية ، وأهلكت العباد ، وكان أشدها بمدينة حماة وحصن شيزر ــ كما قال ابن الأثير ــ فإنها خربا بالمرة ، ويذكر أبو الفداء في مختصره أن بعض المعلمين في حماة فارق المكتب لأمر مهم ، فجاءت الزلزلة فأخربت الدار ، وسقط المكتب على الصبيان جميعهم فماتوا لساعتهم . . والعجيب أنه لم يأت أحد يسأل عن صبي له في المكتب ، مما يدل على أن الزلزلة أخذت أولياءهم كذلك .

ومن المصادفات القاسية والمروعة أن بني منقذ كانوا مجتمعين كلهم في وليمة ختان ، فسقطت القلعة عليهم ، ولم تبق على أحد منهم ، اللهم إلا





★ البرج الجنوبي ، وجزء من سور القلعة الغربي ★

امرأة أخرجت من الردم ، ومما يروى أنه بينما كان أحد أبناء منقذ فاراً من الزلزال حتى إذا وافى باب القلعة رمحه الحصان فمات على الفور ، وبهذا لم ينج أحد من آل منقذ الذين هم داخل القلعة .

وأما الأمير أسامة بن منقذ فكان وقتها في دمشق ، وعندما تناهى إلى أسماعه ما حل بقومه وذويه هُرع إلى شيزر ، وطفق يطوف بين خرائبها وأطلالها باحثاً عن إخوته ولداته وعشيرته . . فلم ير سوى الموت والعدم ، ولم يملك سوى دموعه وأبياته في هذا المصاب الجلل .

لم يترك الدهر لي من بعد فقدهم
قلباً أجشمه صبراً وسلوانا
فلو رأوني لقالوا مات أسعدنا
وعاش للهم والأحزان أشقانا
بادوا جميعاً وما شادوا . . فواعجباً
للخطب أهلك عماراً وعمدانا
هذي قصورهم أمست قبورهمُ
كذاك كانوا بها من قبل سكانا
سقى ثرى أو دعوه رحمة ملأتْ
مثوى قبورهم روحاً وريحانا
وألبس الله هاتيك العظام ، وإن
بلين تحت الثرى ، عفواً وغفرانا

ولقد حاول الصليبيون من طرف ، وإسماعيلية مصياف من طرف آخر أن يملكوا قلعة شيزر المهدمة المهجورة ، وتمكن الإسماعيليون من ملك القلعة وقاموا بطرد الصليبيين من المدينة السفلية وكانوا قد تمركزوا بها ، مفكرين في تكوين إمارة فيها باسم بيت المقدس .

شيزر من بعد

ولم تنقض سوى أيام حتى وصل نور الدين محمود بن زنكي وطرد الإسماعيليين من شيزر ، وقام بترميمها وتجديد حصنها خشية انقضاض الصليبيين والروم ، ولكنه تناسى ـ على حد قول **المؤرخ ابن واصل الحموي** ـ أن أعداءه كانوا هم الآخرون يخشون انقضاضه فراحوا يعملون على ترميم حصونهم وتجديدها في الوقت نفسه . . . وبعد أن انتهى نور الدين من الترميم والتجديد بالنسبة لحصون المنطقة كلها أقطع شيزر وحصنها إلى أخيه في الرضاعة **مجد الدين أبي بكر ابن الداية** . . ولكن القلعة ما لبثت أن تهدمت وتصدعت ثانية عام (٥٦٦ هـ ـ ١١٧٠ م) ، نتيجة الزلازل الجديدة التي اجتاحت وسط

سورية وجنوبها وقضت على أعظم ترميمات نور الدين ، وكان لا بد لبد الترميم من العودة إليها من جديد .

وبعد وفاة أبي بكر ابن الداية انتقلت شيزر لأخيه شمس الدين علي ، وبعد استيلاء صلاح الدين الأيوبي على شمالي سورية سنة (٥٧٠ هـ — ١١٧٤ م) ، بعد وفاة نور الدين زنكي ، إذ انتزعه من يد إسماعيل بن نور الدين البالغ الحادية عشرة من سني عمره .. وولى من قبله سابق الدين عثمان الذي ظل فيها وفي حصن أبي قبيس إلى ما بعد وفاة صلاح الدين ، وصار من بعد من عمال ابنه الملك الظاهر غازي صاحب حلب ، وبعد وفاة سابق الدين انتقلت شيزر لابنه **عز الدين مسعود** ، ومن بعده لحفيده **شهاب الدين يوسف** الذي جاهر بالعصيان ضد الأيوبيين في عام (٦٣٠هـ — ١٢٣٢ م) ، فجاء **الملك العزيز محمد بن الظاهر الغازي** ، وحاصره واسترد شيزر وأبا قبيس منه ، وألقيت جثته في نهر العاصي من أعالي القلعة .

ثم كان الغزو المغولي الذي اجتاح كل مكان بقيادة **هولاكو** ، والذي وصلت جحافله إلى وسط سورية في عام (٦٥٩هـ — ١٢٦٠ م) ، وفر الملك ناصر الدين يوسف صاحب حلب من وجههم ، ودمر قلاعه عن آخرها أثناء فراره ، وكانت شيزر من هذه القلاع .

ولقد أعاد الملك **الظاهر بيبرس البيرقداري** بعد استيلائه على عرش مصر بناءها وترميمها ، وبعد أن طرد المغول في سنة (٦٦٠هـ — ١٢٦١ م) ، ولم يلبث أن قام بزيارة لها بعد سبع سنوات خلال تطوافه في سورية .

ولما جلس **السلطان المنصور قلاوون الصالحي** على عرش مصر في عام (٦٧٩هـ — ١٢٨٠ م) ، ظلت شيزر كجارتها أفامية مدة في يد **الأمير سنقر الأشقر** الذي عصى ، ونازع السلطان قلاوون السلطنة ، واستطاع قلاوون استرجاعها منه صلحاً بعد عام واحد على أن تبقى في يده مناطق جسر الشغور فقط ، وقام قلاوون بترميم بعض أركان شيزر وحصن القلعة .

وظلت شيزر في حوزة خلفاء قلاوون المماليك ، وكانت في عهدهم نيابة من أعمال حلب ، ونائبها أبو عشرة وصارت تظهر في التواريخ بإشارات عابرة ، منها أن نائب حلب **ناصر الدين بن المحسني** سافر عام (٧٤٨هـ — ١٣٤٧ م) ، لتسكين فتنة ببلد شيزر بين العرب والكرد ، قتل فيها من الكرد خمسمائة نفس ، وتمكن من قمع الفتنة .. ومنها أنها كانت من البلاد التي تعرضت للويلات الفاجعة من أعراب البادية الذين غزوها ، وفتكوا بأهلها وبما يحيط بها ، فقد هاجمها **نعير بن جبار أمير آل فضل** في عام (٧٩٣هـ — ١٣٥٢ م) ، وكان حليفاً لمنطاش الثائر على الملك الظاهر برقوق ، وشريكاً في اشعال هذه الفتنة الكبرى .

ويبدو للمؤرخين والباحثين أن خراب حصن شيزر قد بدأ منذ تلك الفتنة ، وظل على هذه الحال إلى أن احتل العثمانيون سورية في عام

★ الشيخ المصري داخل حانوته العتيق الذي يقطنه منذ ٧٥ عاماً ★





★ بلدة شيزر السفلية (الجديدة) وسهولها كما تبدو من باب القلعة الرئيسي ★

(٩٢٢هـ ـ ١٥١٦م) . . وبعدها لم يعد هناك من حاجة للدفاع ووجود القلاع ذات الصفة والمكانة الحربية ، وغدت شيزر قرية صغيرة يعتصم بها أهلها والمجاورون لها أيام الفتن خوفاً من المغيرين ، ولقد أقام بها العثمانيون حامية من العسكر بالتناوب كما هو الحال في القلاع جميعها ، وكانت حاميتها تتألف من ثلاثين نفراً محافظة على الأمن .

وتابعت شيزر بقسميها التقلص حتى كان الحكم العربي في سورية عام (١٣٣٣هـ ـ ١٩١٨م) ، والذي التف حوله نفر من أبناء شيزر وانضموا إلى ركب العاملين في سبيل دعمه وتثبيته ، ولكن **الانتداب الفرنسي** جاء بخيله ورَجْله بعد حوالي عامين وبدد الأحلام والآمال . . وكانت سنوات قاسية من الصراع والثورات إلى أن كان فجر الجلاء في عام (١٣٦٦هـ ـ ١٩٤٦م) ، حيث انضمت شيزر إلى شقيقاتها من مدن سورية العربية لتسطير صفحات الاستقلال والحرية والمجد .

قلعة شيزر (الحصن)

بنيت قلعة شيزر (الحصن) على الأكمة الصخرية المتشامخة المسماة (عرف الديك) وهي الآن مخربة في أكثر أقسامها ما عدا قسميها الشمالي والجنوبي اللذين ما يزالان سالمين إلى حد ما ، وأما أسوارها وبقية أبراجها الأربعة عشر فقد اندثرت خلا بقايا في قسميها الشرقي والغربي .

والقلعة تعد إحدى القلاع الضخمة في بنائها ومساحتها ، ويقع بابها الرئيسي في الناحية الشمالية ، وعلى الزائر أن يجتاز جسراً حجرياً مبنياً فوق واد ضيق وعميق ، وكان هذا الجسر في العصور الوسطى خشبياً متحركاً يرفع عند اللزوم ، وأما الحالي فحجري يعلو طبقتين من القناطر ، ونظراً لشدة انحداره فقد جعل ممشاه مدرجاً وعلى جانبيه درابزين واق .

وبعد الجسر يصل الزائر إلى المدخل الذي يقع في البرج الشمالي ذي الطوابق الثلاثة ، وفي صدر هذا المدخل باب ذو عتبة عليا مستقيمة ، وتعلو المدخل قوس منكسرة ، وفوق القوس كتابة عربية مطولة فيها اسم الملك المنصور قلاوون الذي رمم هذا المكان عام (٦٨٩هـ ـ ١٢٩٠م) ، وهي منقوشة على أحجار الجدار الظاهرة ، وفوق الكتابة بقليل كوتان لرمي السهام ونافذة مستطيلة الشكل ، وفي الطابق الأعلى كانت هناك نافذة أخرى يعلوها مسندا مرمى لحماية المدخل وبابها كان متحركاً ، وتستعمل لصب السوائل المحرقة على المهاجمين ، وقد تهدم البرج إلى ما تحت سوية هذين المسندين .

ويحمي هذا المدخل من جانبيه غرف الحرس من الأدنى ، وغرف الدفاع من الأعلى ، ويصعد للأخيرة بسلم حجري . . وعلى يمين برج المدخل كتلة هرمية الشكل (قلّة) ، وهي في غاية المنعة ، وقد أقيمت على الصخر المقطوع بشكل عمودي ورهيب ، وترتكز على سفح عريض مبلط يلتصق في جانبه الشمالي بفسحة المدخل ، وبأعلى هذه الكتلة بقايا



★ جانب من أطلال القلعة .. وجانب من شيزر الجديدة ★

شرفات دفاعية مطلة للأمام وقد تهدم أكثر أقسامها .

وبعد اجتياز المدخل يرى الزائر على يمينه ساباطاً معقوداً (طريقاً مسقوفة) بطول (٧٠) متراً ، وهو الباشورة التي تؤدي إلى داخل القلعة ، وهو في الوقت نفسه الطريق الرئيسية للقلعة ، وقد استعملها السكان الذين قطنوها بعد خرابها مأوى لدوابهم .. وبعد الباشورة نصل عبر طريق ضيقة إلى ساحة القلعة المملوءة ببقايا بلدة شيزر العليا وأطلالها وخرائبها ، وقد كان يتخللها حتى وقت قريب قطع أثرية سلوقية ورومانية وكتابات يونانية نقل أكثرها إلى مدينة حماة ، وعرض أبرزها وأهمها في متحفها .. وتؤدي الطريق الضيقة التي تجتاز هذه الأطلال والآثار إلى البرج الجنوبي .

والبرج الجنوبي أشهر آثار شيزر الآن ، وأحسنها حفاظاً على وضعه السابق ، وقد شيد بناؤه بعناية خاصة وطراز دفاعي متميز لأنه البرج المتقدم للدفاع الذي يقع في أضعف نقطة من القلعة فوق الخندق الاصطناعي . وجدرانه مبنية بقطع حجرية بارزة بينها أعمدة لتشد ارتباطها مع الأقسام الداخلية من البرج .. وشكل هذا البرج رباعي بارز قليلاً في جبهته الشمالية حيث يوجد المدخل الذي جعل في محرق القذائف المتشابكة التي تلقى من طوابق البرج العليا .. وعلى جدار هذا البرج كتابة باسم الملك العزيز محمد صاحب حلب عام (٦٣١هـ ـ ١٢٣٣م) .

ويتميز في هذا البرج قسمان : غربي منخفض قليلاً عما يجاوره ، وكان طابقين تهدم العلوي منه ، وتعلوه من الجانبين كتابتان عربيتان تذكران الباني نور الدين زنكي وتؤرخان البناء بُعَيْد حادث الزلزال الرهيب عام (٥٥٢هـ ـ ١١٥٧م) ... وشرقي وهو البرج الشاهق الجميل ، وينتصب فوق نهر العاصي من جهة ، ويسيطر على الخندق الجنوبي من جهة أخرى ، وهو يعد من أمتن الأبراج الدفاعية ومن أكمل قواعد الهندسة العربية في المباني العسكرية .

والصاعد من درج المدخل يصل إلى طابق تحته أقبية معقودة .. وهذا الطابق الأول مؤلف من غرفتين كبيرتين وعلى الجدران فتحات لدخول النور ، وأما الطابق الثاني فيصعد إليه بسلم حجري ، وهو صورة عن الطابق الأول ... وكان هناك السطح الذي تهدم ، ويصعد إليه بدرجين داخلي وخارجي إضافي ، وما تزال بقايا الشرفات الدفاعية ماثلة حتى اليوم .

ومن الجدير بالذكر أن عامة الناس منذ زمن بعيد وحتى يومنا هذا تسمي هذا البرج (**قصر البردويل**) ، ولقد تساءل باحثون عن البردويل هذا ولم يصلوا إلى نتيجة ، على حين ظن آخرون أنه **بغدوين أو بلدوين** أحد ملوك الصليبيين .. وهذا وهم وبعد عن الحقيقة لأن الصليبيين ما توصلوا يوماً إلى ساحة القلعة ، فكيف بأكبر أبراجها

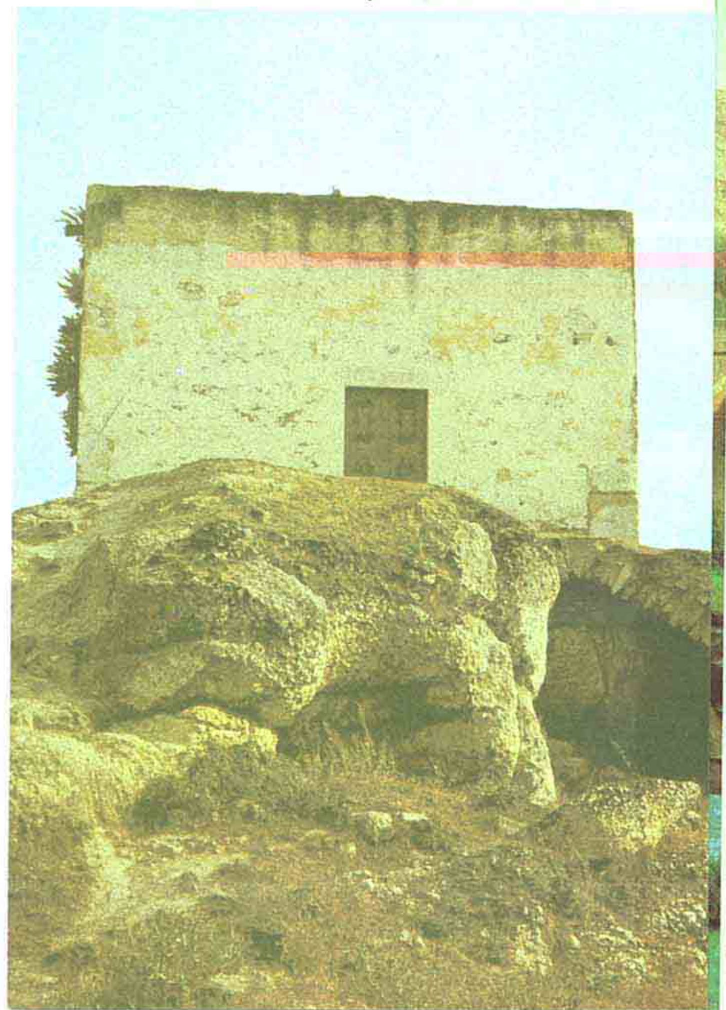
الدفاعية وأمتنها وأحصنها . . ؟ ! ، وأما البحاثة المرحوم **إحسان العظم** فقد توصل إلى أنه أحد أمراء حاشية **السلطان صلاح الدين الأيوبي** [illegible] ترميم بعض أركان القلعة وبخاصة البرج الجنوبي ، ونزل فيه مدة .

ومن الآثار الباقية في هذه القلعة **باب السر** أو السرداب الخفي ، وهو يصل القلعة بنهر العاصي مباشرة عبر خندق ذي قناطر متباعدة ويخترق الصخور الرهيبة ، وذلك لتأمين أخذ الماء من النهر عند الحاجة بشكل لا يُرى فيه الإنسان من الخارج ، وكان الفارس الممتطي جواده يتمكن من عبور السرداب كاملاً ، ولكنه الآن متهدم ، وقد تراكمت الأتربة والبقايا والحجارة في ثناياه فاقتربت من أعالي القناطر في بعض أقسامه بحيث لا يتمكن الزائر من عبورها إلا زحفاً .

أحاديث ومشاهدات

ولقد روى لي **الشيخ محمد حسين المصري** أكبر معمر في شيزر (١١٥) عاماً ، والذي يقطن حانوتاً عتيقاً كان طاحوناً في نهاية الجسر القديم من جهة الشمال منذ أكثر من (٧٥) عاماً ، كيف كانت البيوت في القرن الماضي منتظمة في القلعة على الجانبين الشرقي والغربي ، ومأهولة بالمئات من الناس الذين هجروا المدينة السفلى ، وعمدوا إلى إعمار بعض البيوت الخربة من حجارة الأبراج والأسوار المتهدمة . . وكانت ملكاً لعائلة

★ مسجد القلعة . . البناء الوحيد الذي مايزال قائماً بتكامله على الصخور المرتفعة ★



السيجري (الشيزري) . . ووصف لي كيف كانت النسوة ينزلن عبر السرداب يومياً إلى نهر العاصي للاستسقاء ونقل الماء إلى بيوت القلعة في أوعية واسعة كبيرة تدعى (**خلقين**) — أي المرجل الضخم — ويحملن هذه الخلاقين على رؤوسهن دون أن يدعمنها بمسك أيديهن ، ويصعدن بها المرتفعات المنحدرة دون خوف أو حذر ، ويتابعن هذه العملية الشاقة غير مرة في اليوم ، فلقد كان نهر العاصي وما يزال المورد الرئيسي لشيزر في أغلب أمور الحياة اليومية . . وأردف أن البيوت الترابية في البلدة السفلى كانت معدودة وقليلة . . [1] .

ومع مطلع القرن العشرين (١٩٠٥ م) ، كما تذكر **الباحثة السائحة جرترود لوثيان بل** في كتابها (الصحراء والواحات) المطبوع في لندن عام (١٩٠٧ م) . . لم يكن حول القلعة سوى بضع قباب ترابية متناثرة بجانب الجسر القديم يسكنها أعراب من قبيلة السماطية على حين أربى عدد سكان القلعة على (٥٠٠) نسمة بإدارة نفر من آل السيجري (الشيزري) ، وقد قامت السيدة (بِلْ) بزيارة القلعة والتقت ببعض مالكيها وأعجبت بنسائها وشهدت بجمالهن وأناقة لباسهن البدوي وأغطية رؤوسهن التي تتدلى منها المجوهرات والحلي الذهبية ، كما شهد أجدادها الصليبيون — حسب قول أسامة بن منقذ — ببسالتهن وإقدامهن وإثارتهن غيرة الرجال حين اشتداد المعارك .

ويزور **الشيخ طاهر النعساني** شيزر وقلعتها في عام (١٩٢٧ م) ، ويقول : « ولا تزال بعض جدران شيزر مائلة تهزأ بالعواصف القواصف وتدل على عظمة الأقدمين وتفننهم في تشييد البنيان ورفعه ، وهي اليوم لا يكاد يوجد فيها خمسون مزارعاً — يقصد البلدة السفلى — وهي موبوءة مستوبلة أمراضها فتاكة . . » .

ويزورها **المهندس الزراعي الباحث أحمد وصفي زكريا** في عام (١٩٣٢ م) ، ويكتب قائلاً : « . . والبلدة ذات السور والأبواب الثلاثة التي كانت في أسفل القلعة قد عفت رسومها ، ولم يبق منها إلا بعض أسس الجدران وكسور الأحجار والأعمدة ، وصار مكانها بضع قباب حقيرة بين الجسر وباب القلعة يقطنها العمال في أزوار شيزر ، والبلدة العليا التي كانت في داخل القلعة خربت وصار مكانها قرية بنيت بركام الأنقاض يقطنها فلاحو الأرض العذية (الطيبة) ، ولا يزيد عدد الجميع عن الأربعمائة . . » .

ويتحدث إلي **مدير مدرسة شيزر الريفية هاشم القاسم** الذي صحبني في أغلب زياراتي للقلعة والمدينة السفلى . . ويقول : « . . إن سكان القلعة — وهو واحد منهم — قد أربى عددهم في عام (١٩٥٨ م) على الستمائة نسمة . . وفي نهاية هذا العام بدأ النزوح من القلعة إلى السفوح الغربية لأسباب متعددة أبرزها اشغال الأراضي وتملكها ، ولقد تم هذا النزوح على مراحل ، واستمر سبعة أعوام حيث لم يبق بعدها أي إنسان في القلعة ، وقد هدموا مع نزوحهم سقوف بيوتهم وأخذوا أعمدتها الخشبية لاستعمالها في بيوتهم الجديدة ، بالإضافة إلى أن بعض البيوت تهدمت من تلقاء ذاتها ، وما زال السكان يبنون وينتشرون على آثار المدينة القديمة السفلية حتى امتد عمرانهم على مساحة (٣٢) هكتاراً ، وزاد

عددهم في نهاية العام الماضي على (٢٤٠٠) نسمة . . » .

وخلال زياراتي المتعددة في سبيل إعداد هـذه الـدراسة خـلال عـامي (١٩٨٠ ــ ١٩٨١ م) ، وجدت أن البلدة السفلى ــ الجـديدة ــ تنتشر على يمين الطريق الواصلة بين حماة ــ محردة ومنطقتي طار العلا والغاب ، وشرعت تغزو يسار الطريق على استحياء ، وهي مكونة من بيـوت بسيطة ذات طابق واحد أو طابقين وفسحة سماوية كبيرة ، وما يـزال هنـاك بعض القباب الترابية القديمة ، وهي جميعاً تـتسلق سفوح القلعة الغربية وتـتداح في المنبسط غرباً ، ويشق تلك البيـوت دروب تـرابية متعـرجة ضـيقة ومتوسطة ، وليس فيها أثر للنظافة والتسوية والعنـاية . . . ولقـد أنـيرت البلدة بالكهرباء وسرت أنابيب المياه العـذبة في حنـاياها ، ولـكن نهـر العصي ما يزال يستقبل العشرات من نسائها وبناتها وأنعـامها صـباح مساء .

وأما القلعة ــ كما شاهدتها ــ فهي خواء ، وأطلال ، وبقايا ، ولعل البرجين الشمالي والجنوبي والكتلة الهرمية والمدخل مـا بـرحت في حـالة مقبولة ولا سيما أن يد العناية والترميم امتدت إليها من قبل المديرية العـامة للآثار والمتاحف منذ سنوات ، ولقد عاينت آثار الترميم فيها جميعاً ، وهـي ما تزال بحاجة ماسة إلى الكثير منه ، وبخـاصة الـكتلة الهـرمية . . على أن من أبرز ما لفت نظري ضمن الأبنية المتهدمة بناء ما يـزال متـكاملاً بـكل أركانه وأثاثه الداخلي ويقع شمالي البرج الجنوبي وعلى نشـز مـن الأرض ، وهو **مسجد القلعة** الذي تعلو بابه حجارة نقش عليها ما يلي : « **بسم الله الرحمن الرحيم ــ تم بناء هذا المسجد في عـام ١٢٧٨هـ** » ، واسترعى انتباهي اندثار منارة هذا المسجد الخشبية الذي لم تمتد إليه أيدي النازحين حين هجروا القلعة نهائياً منذ نيف وعشرين عاماً .

ولقد درس **الباحث الأثري فان بـرشم** آثـار القلعـة وأطـلالها ووصل إلى أنها عربية بحتة ومن آثار مهندسي العرب دون سواهم والـذين تميزوا بالبراعة في تشييد القلاع والحصون وإحكام وسائل الدفاع والحصار فيها مـما يستدعي علماً غزيراً وخبرة واسـعة في فنـون الحـرب والهنـدسة والبنيان . . كما أكد أن تاريخ الـبرج الشمالي ومـدخل القلعـة يـرجع إلى عصر نور الدين زنكي على الرغم من الكتابات الحديثة الـتي تـزينه ، وأن القسم الشمالي الغربـي والسفح الخـالي مـن العنصر الكتابـي يعـودان إلى عصر الظاهر بيبرس ، وأما الـبرج الجنوبـي فـيرجع تـاريخه إلى عهـد نور الدين زنكي مع بعض الترميمات التي تمت من قبل الملك العزيز محمد .

بقايا أخر من الماضي

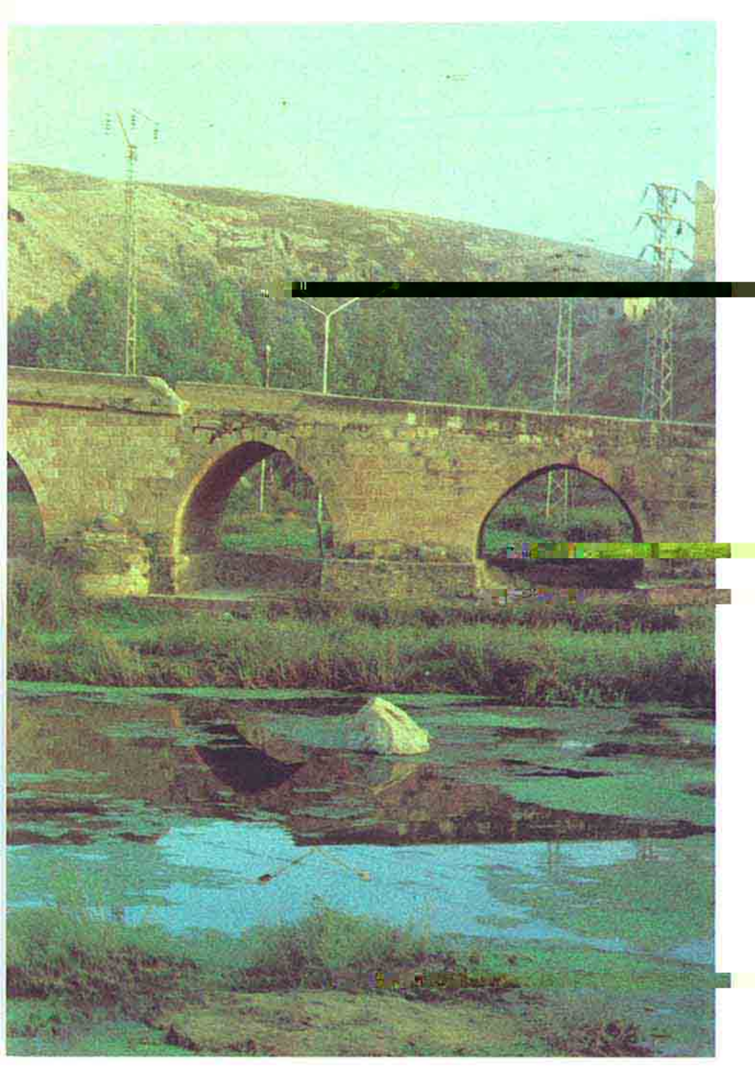
وشيزر ما برحت تحتوي أنماطاً أخرى من بقايا الأوابد الأثرية أبرزها : **الجسر القديم** ، وهو بقواعده مـن العهـد الـروماني (القـرن الأول الميلادي) ، **وبقناطره** مـــن العهـــد الأيوبـي (القـــرن الســـادس الهجري ــ الثاني عشر الميلادي) ، وقد رممه **الملك الأشرف أحمد بن سليمان بن غازي الأيوبي** صاحب حصـن كيفـا في القرن التـاسع الهجري (الخامس عشر الميـلادي) . . ولـكنه تعـرض في عـام (١٣٦١هـ ــ ١٩٤١ م) ، لفيضان نهر العـاصي العـارم ، فتهـدم القسـم الأوسط منه ، وأعيد من ثم بناء هذا القسم في العام التـالي فغـدا جـديداً بين قديمين .

وهناك **الطاحون** التي تقع على الجانب الغربي من الجسر القـديم ، ولقد تعرضت هي الأخرى لفيضان العاصي نفسه فانهار قسم منهـا ، ولم تمتد إليها يد الترميم والتجديد ، وما تزال أحجـارها تـتساقط وتغـزوها يـد العدم يوماً بعد يوم .

ونصل إلى الحمام القديمة التي تـتوضع قريباً من الجسر القديم فنرى أن طراز بنائها أيوبـي ، وهي تحتوي حجرات وتمديدات للماء الذي كان يأتيها من ناعورة الخرطلة (القلعيات) ، ولقد دعا سكان شيزر المتـأخرون هـذه الحمام « القهوة » واستعملت على مدى طـويل خـاناً لإيـواء الـدواب والرواحل .

وأما **سد الخرطلة** الذي ذكره أبو الفداء في كتابه « تقويم البلـدان » حيث يقول في معرض حديثه عن شيزر : « . . وينحـدر العـاصي عنـدها على سكر (سد) ارتفاعه يزيد على عشرة أذرع يسمونه الخرطلة . . » فقد تهدم في عـام (٧٤٥هـ ــ ١٣٤٣ م) ، وفي ذلك يقـول ابـن الـوردي في تاريخه : « وزاد نهر حماة وأغرق دوراً كثيرة ، ولطم العاصي خرطلة شيزر

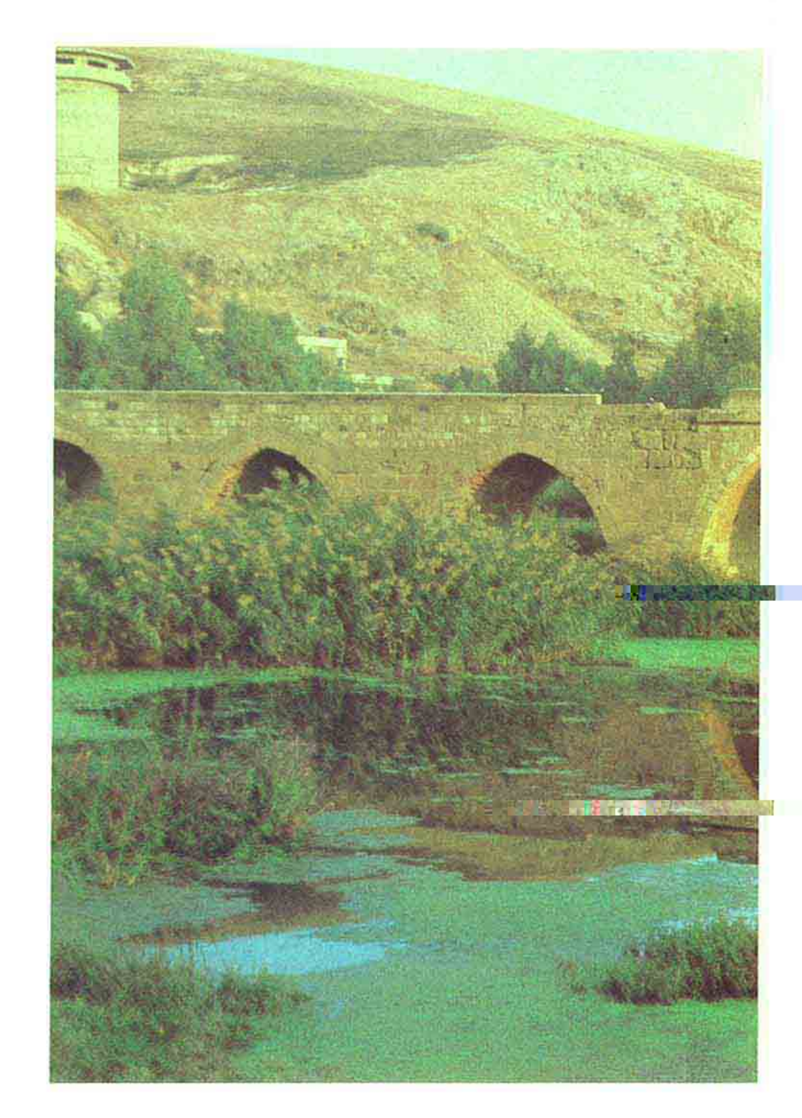
★ الجسر القديم ★



فأخذها، وتلفت بساتين البلد لذلك، وتحتاج إعادتها إلى كلفة كبيرة».

وهذا السد هو الذي كان يجعل مياه نهر العاصي تقترب من فتحة باب السرداب لأنه يحجز الماء خلفه في الخانق والمجرى الصخري، وأما بقاياه فقد استعملت سداً بسيطاً وأقيمت على جانبه الجنوبي ناعورة الخرطلة أو القلعيات نسبة للقلعة التي تقع **الناعورة** تحت مدخلها الشمالي.. ولقد جرفت كذلك في فيضان العاصي في أربعينات هذا القرن، وبقيت حجريتها مدة، كما تبدو في الصور القديمة، ثم اندرست معالمها إلا قليلاً في هذه الأيام، كما اندرست معالم سبع نواعير أخريات أخوات لها.. **فنواعير شيزر معروفة مشهورة كنواعير حماة، وقد أطنب المؤرخون والرحالة بذكرها، ولكن، للأسف الشديد، لم يبق منها في أيامنا سوى ناعورة زور النبي أيوب الصغيرة** التي تقع غربي البلدة وتروي الأراضي المتاخمة بغزير المياه صيفاً وشتاء، وتهب المنطقة الرواء والجمال، وأمامها **حجرية ناعورة زور الحمداني** التي صارت إلى العدم منذ حوالي عشرين عاماً.

وهذا كله.. غيض من فيض.. ومما لا شك فيه أن كل حجر في شيزر يخفي تحته آبدة أثرية، وكل بيت شيّد حديثاً قد أخفى صفحة تاريخية، وكل حبة تراب تتحدث عن الماضي العريق.



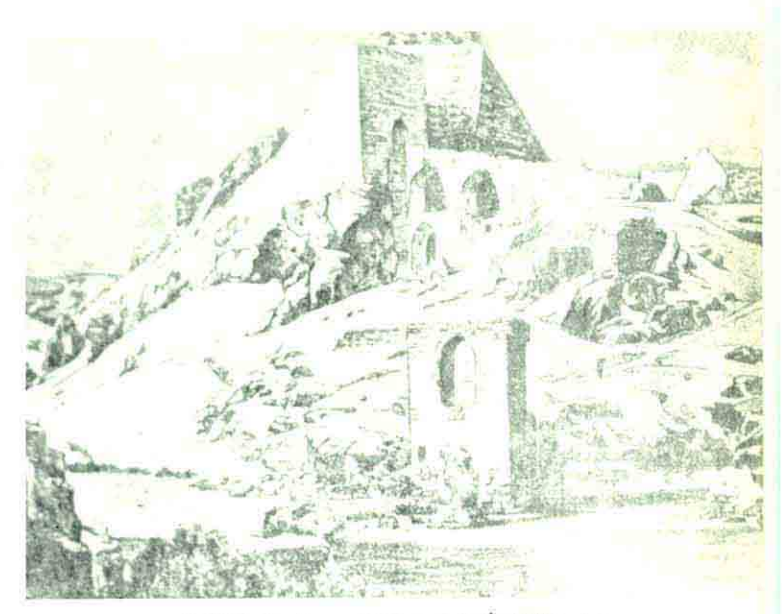
شيزر والأدب والفكر..

حفل تاريخ شيزر بالعطاء الأدبي والفكري في أمسها الغابر، ففي ثراها حيي البيان وسقت أفنانه، وفي رياضها تفتحت أزهاره وغردت بلابله، ومن ثنايا صخورها انبجست أمواهه وترقرقت غدرانه، ولا عجب في ذلك فآل منقذ كلهم أصحاب فروسية وأدب، قلّ منهم الخامل، وكثر فيهم العامل، وذاع صيتهم في الآفاق، وتناقلت أنباءهم الركبان، وقصدهم الشعراء والأدباء، وحفظت لنا أسفار الأدب والتاريخ والتراجم كثيراً من أشعارهم وخطبهم وكتبهم... وأكتفي بذكر نفر من هؤلاء الأدباء والشعراء على سبيل المثال لا الحصر وفي مقدمتهم: **علي بن مقلد - سلطان بن علي - مرشد بن علي - إسماعيل بن سلطان - إسماعيل بن مبارك - المبارك بن كامل - عبد الرحمن بن محمد - مرهف بن أسامة**... على أن علمهم ومنارتهم هو الأمير مؤيد الدولة **أبو المظفر أسامة بن منقذ**، بل هو في طليعة رجال زمنه أدباً وتصنيفاً، فلقد كان رجل سيف وعنان، وأدب وبيان، قلّ أن يجتمعا لمثله من الأمراء الصيد الميامين.. ويقول فيه **ابن العماد**: «أسامة كاسمه في قوة نثره ونظمه، تلوح في كلامه أمارة الإمارة، ويؤسس بيت قريضة عمارة العمارة..»، وتروي لنا كتب التاريخ والأدب أنه كان يحفظ أكثر من عشرين ألف بيت من أشعار الجاهليين.. ولقد باشر الحرب وهو ابن خمس عشرة سنة، إذ ولد في عام (٤٨٨ هـ - ١٠٩٥ م)، واستمر فارساً سياسياً، وكاتباً شاعراً إلى أن نيف على التسعين إذ ودّع الحياة في عام (٥٨٤ هـ - ١١٨٨ م)، وكان له الدور المشرف في الوقائع ضد غزاة شيزر وغيرها.. ولقد قام المؤرخون بتعداد وقائعه الكبار فكانت تسع عشرة موقعة عدا الغزوات الصغيرة، والمعارك المحدودة.. وكان خلال سني حياته كلها عزيز النفس بحيث بلغ بها منزلة ليس فوقها مرتقى همة، واشتهر بأنه كان ينأى عن الضيم ويبعد أن يسام الخسف والهوان:

ألسامُ خسفاً ثم لا	آبى، فلستُ إذاً أسامه
هيهات.. لا ترضى المعا	لي صاحباً يرضى اهتضامه

وأما كتبه فهي كثيرة قاربت العشرين في مختلف مناحي الحياة بحيث تدل على ثقافته واطلاعه وإمكاناته، على أن أبرزها وأعلاها مقاماً:

الاعتبار - لباب الآداب - العصا - البديع - المنازل والديار - مختصر مناقب العمرين لابن الجوزي - تاريخ القلاع والحصون - أخبار النساء - التاريخ البدري، وقد جمع فيه أسماء من شهد بدراً من الطرفين... بالإضافة إلى ديوانه الشعري الذي اختار قصائده وأبياته ورتبه بنفسه، والذي حققه وقدم له **الدكتور أحمد أحمد بدوي والأستاذ حامد عبد المجيد** عام (١٩٥٣ م)، في القاهرة، وانتهى الدكتور بدوي بعد دراسة الديوان إلى أن: «أسامة في عصره يوضع في مقدمة الشعراء الذين جددوا شباب الشعر، وكسوه حلة من الفخامة



★ صورة للقلعة مأخوذة عن لوحة زيتية .. حوالي عام ١٩٢٠م ★

والقوة والجلال » ، ولهذا ليس بدعاً أن تسمى شيزر باسمه ، وأن يكون عنواناً لأمجادها ومفاخرها .

ونتابع تقليب صفحات التاريخ ، فتصافح نظراتنا أسماء عديدة برزت في شيزر منها : **القاضي أبو المجد ابن عبد الله ، وأبو اليسر شاكر ابن عبد الله بن محمد ، وأبو المعالي صاعد بن مدرك بن علي** . . . من أدباء القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، **وأبو السمح إبراهيم بن عبد الرحمن ، والقاضي أبو سهل عبد الرحمن بن مدرك ، وأبو الحسن علي بن مرضي بن مدرك ،**

والقاضي أبو مرشد سليمان بن علي .. وهم من عطاء القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) . . كما لا يفوتنا ذكر **الحسين بن سعيد بن مهند بن مسلمة بن علي الطائي الأنصاري الشيزري** الذي حدث عن **أبي بكر ابن يوسف البانجي وأبي عبد الله ابن خالويه النحوي وأبي حسن أحمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري** . . وغيرهم ، وروى عنه **أبو سعيد السمعاني وأبو الحسن الجنابي ، وعلي بن الخضر السلمي** . . وغيرهم ،

والحسين الشيزري هذا من رجال القرن الخامس الهجري . . ونذكر أخيراً **الأمير المحدث علي بن أحمد بن محمد بن علي العباس** ، وهو ابن خطيب شيزر في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) والذي كان مع أختيه من أبرز المحدثين الذين ظهروا في شيزر ، واستطاع الوصول إلى منصب والي القدس .

ومن الطريف أن **القاضي الفقيه والأديب الشاعر ابن الوردي (زين الدين عمر بن المظفر)** صاحب اللامية المشهورة في الحِكَم قد ولي القضاء في شيزر .

تلك هي البيئة الممتازة التي أنجبت خلال قرنين من الزمن هذه النخبة المختارة . . ولكن الزلازل والأحداث والنكبات لم تدع — فيما بعد — مجالا لبوح أديب أو صداح شاعر . . وتتلفت اليوم فلا نكاد نعثر على أية موهبة أدبية . . اللهم إلا بعض المحاولات الشعرية عند **الأستاذ محمود الصطوف** الذي يضن على المطابع بنشر شذرات منها .

فواكه شيزر

ذكر المؤرخون والرحالة أن شيزر وغياضها مشهورة ببساتينها وفواكهها ، فهذا أبو الفداء يقول في تقويم البلدان : « وهي ذات أشجار وبساتين وفواكه كثيرة أشهرها الرمان . . » ، وكانت تروى بمياه العاصي والقنوات ، وأشهرها **القناة الرومانية** التي تقع الآن تحت المحطة الكهربائية الحديثة ، وهي محفورة بجوف الأرض وتحت قريتي العريض وأبي عبيدة ، ومصدرها **جسر الباشية** ، وتنفذ من أمام شيزر وتروي الأراضي الشمالية جميعاً وفي مقدمتها جنائن الفواكه المتنوعة المتميزة ، وتُحدث شلالا رائعاً عند منفذها من الجبل ، فأسماها السكان « **شلقة شيزر** » ، وأسماها آخرون « **السراب** » .

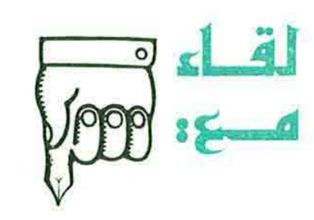
ولكن ذلك جميعه قد اندثر مع تتابع الأزمنة ، ويذكر أحمد وصفي زكريا في عام (١٩٣٢ م) ، أن : « هناك قليلاً من الرمان ، وحالة الأزوار والبساتين وسطى . . . » ، ويا ليت هذا بقي أيضاً ، فمع انتشار زراعة القطن عمد فلاحو هذه المنطقة .ككثيرين غيرهم إلى اجتثاث الأشجار المثمرة التي كانت ملاعب أسامة بن منقذ ومراتع صيده ولهوه ، وحولوها من غابات ظليلة إلى حقول لزراعة القطن ، ثم حولوا قسماً منها لزراعة الحبوب والخضروات . . . وأما الفواكه ، وبخاصة **الرومان والتفاح واللوز والدراق والإجاص** . . . التي كانت حديث الناس حتى عهد قريب لندرتها وجودتها فقد أضحت أثراً بعد عين .

وبعد

لقد كانت جولتنا في ربوع شيزر وماضيها على شيء من الشمول والتقصي . . ومن خلال أطلال قلعتها ، وبقايا أوابدها الأثرية ، وأنين ناعورتها الجميلة . . كنا نعانق طيفين لا أحلى ولا أسمى : طيف المدينة الحصينة ، وطيف الشاعر الفارس اللذين سجلا الأمجاد والمفاخر في فترة من أحرج فترات التاريخ العربي الإسلامي وأخطرها . . ثم غابا ، وخلفا للأجيال المتلاحقة سيرة مثلى ، وعبرة تتلى . . ستبقيان أغرودة في فم الزمن حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

الهوامش

(١) : زرت الشيخ المصري مرتين في شهر كانون الأول (ديسمبر) (١٩٨٠ م) ، وفي شهر شباط (فبراير) من عام (١٩٨١ م) ، قصدته ثالثة فإذا به قد قضى نحبه ، وعهدي به صحيح الجسم منتصبه وقويه وكأنه في الستين من عمره لا في ضعفها ، فرحمه الله رحمة واسعة وإنا لله وإنا إليه راجعون .



عبد السلام هارون



إعداد وتقديم:
د. يوسف نوفل

ذخائر التراث وكنوزه ونفائسه ... كلمات وامضة تحتل مكانتها في رصيدنا الثقافي والحضاري في أصداء وجدانية بعيدة الجذور في أعماق كل مسلم وكل عربي، بل كل من اهتم بحضارتنا من مستشرقين وباحثين.

وسر هذا الوميض المتجدد والصدى الوجداني البعيد يكمن في أن هذا التراث محصلة رؤية حضارية لأجيال مضت تمثل لبنة من لبنات الحضارة المعاصرة بشكل مباشر أو غير مباشر.

وقد سهر على هذه الذخائر والكنوز والنفائس علماء أجلاء منذ مطلع عصر النهضة الثقافية في تاريخها المعاصر في بقاع شتى من أنحاء العالم الإسلامي، بل في عواصم العالم كله.. وتفاوتت قيمة تلك الجهود بقدر ما تنوعت وتباعدت.

في تلك المسيرة المباركة تبرز أسماء عديدة بلا جدال من بقاع شتى، نلتقي ـ من بينها ـ بعالم فاضل أغنى وجدان أمتنا وأثراه بمتابعاته الجادة، وحرصه الدؤوب، وسهره المتواصل، وحذقه لفن تحقيق المخطوطات ونشرها، ووقوفه على أسراره...

ذلكم هو **العلامة الأستاذ «عبد السلام هارون» الذي حصل على جائزة الملك فيصل العالمية في الأدب لعام ١٤٠١هـ.**



حضارتنا.. وإحياء ذخائر التراث

فن تحقيق المخطوطات

★★ أسأل أستاذنا العلامة عبد السلام هارون عن المسيرة التي قطعها فن تحقيق المخطوطات ونشرها؟

● إن ما تم تحقيقه ونشره من المخطوطات لا يعدو أن يكون فرعاً صغيراً من شجرة باسقة ممتدة الفروع وارفة الظلال. فمنذ **ظهرت الطباعة العربية في إيطاليا في أوائل القرن السادس عشر الميلادي**، وقيام عدة مطابع في الشرق العربي تتصدرها **مطابع بولاق ودار الكتب المصرية** في مصر، **والمطبعة الكاثوليكية** للآباء اليسوعيين في بيروت، منذ ذلك الحين إلى الآن لم يستوعب التحقيق والنشر شيئاً يُذكر بالنسبة إلى ما تزخر به مكتبة التراث العربي من كنوز.

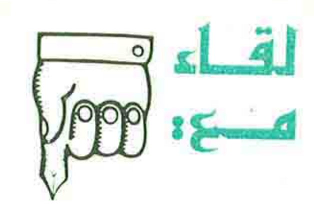
والملحوظ أن الكتب التي ظفرت بالنشر والإحياء معظمها من الكتب الصغيرة. أما الكتب ذوات المجلدات الكبيرة فإن عبء نشرها يحتاج إلى جهد علمي ومادي لا تقوى عليه دور النشر التي تسعى دائماً إلى الحصول على عائد مادي سريع، والدول العربية مشغولة بقضاياها السياسية والاقتصادية عن الاهتمام بهذه الناحية العلمية. كما أن قلة عدد المحققين الأصلاء، من العوامل التي تقف بعجلة الإنتاج عند هذا الموقف الرتيب.

معوقات التحقيق

★★ وأسأل الأستاذ هارون عن أهم المشكلات التي تعترض مسيرة تحقيق المخطوطات ونشرها؟

● أهم المشاكل التي تواجهها دنيا التراث العربي هو **التنظيم الجماعي**، ونحن نرى أمام أعيننا **معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية**، ودور الكتب العامة في مصر وغيرها، لا ترابط بينها، وليس هناك مصب واحد يستوعب هذه الروافد، فالباحث عن مخطوط معين لا يستطيع أن يهتدي إلى أماكن وجود نسخة إلا بصعوبة بالغة، وبطريقة ظنية صرفة. ويجب أن يعالج هذا الأمر بتنظيم جماعي على نحو ما هو متبع في **نظام «اليونسكو»**.

والمشكلة الثانية: هي صعوبة الحصول على مصوَّرات المخطوطات، فكثير من دور الكتب في الشرق وفي الغرب يتبع الطريقة الاحتكارية التي تمنع خروج صور المخطوطات إلا في حدود ضيقة وبشروط



قاسية ، والمفروض أن يُيَسّر للباحثين ــ ولا سيما الـذين ينتمــون إلى هيئات علمية معترف بها ــ سبيل الوصول إلى صور المخطوطات بدون ما قيد ولا شرط .

والمشكلة الثالثة : ندرة المشتغلين بإحياء التراث ممن هم في الطبقة العلمية والخلقية الجديرة بأن يعتمد عليها في نشر التراث ، ولعل مرجع ذلك عدم تناسب المكافأة التي يحصل عليها المحقق مع الجهد الشاق الذي يبذله ، وهو الأمر الذي يثبّط عزائم مَنْ يتصدون للتحقيق .

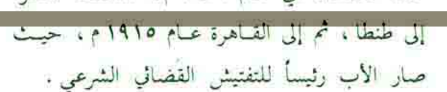
والمشكلة الرابعة : المطبعة ؛ فإن دور النشر المعاصرة تجعل همها الأول والأخير هو الحصول السريع والمضاعف على العائد المادي الذي ينجم عن إخراج الكتاب ، ولا نستطيع قسر هذه الدور وإجبارها على نشر كتب التراث إلا بمعونة كبيرة ، كثيراً ما يتطرق إليها التلاعب .

أسس العمل

★★ انطلاقاً من التعرف على المشاكل .. ما الأسس التي ينبغي أن تتحقق للعالم في هذا المجال ؟

● أول تلك الأسس هي إيمان مَنْ يتصدى لتحقيق التراث إيماناً كاملاً به ، مع احترامه له وتقديره ؛ فإني أعتقد أن التراث الفكري بالنسبة إلى أي إنسان كان ، يُعَدّ بمثابة المهد الأول لتفكيره ولصوغ نفسه .

وكما أن الوطن هو المهد الأول لجسم الإنسان ، يحنّ إليه كلما بعد به المطاف في بلاد الله ، ويشعر في قرارة نفسه دائماً بحبه وتفديته ، كذلك التراث الفكري ، هو المهد الأول الذي يصنع تفكيره ويشكل نفسه . وأي انفكاك بين المرء ووطنه ، أو بين المرء وتراثه يخلق من امرأ تتجاذبه أطراف الضياع وفقدان النفس .





العلامة الأستاذ
عبد السلام هارون .. في سطور

● ولد بالإسكندرية في ١٨ يناير (كانون الثاني) عام ١٩٠٩ م ، في بيت علم ودين ، وفي [illegible] إلى طنطا ، ثم إلى القاهرة عام ١٩١٥ م ، حيث صار الأب رئيساً للتفتيش القضائي الشرعي .

● بدأ التحقيق منذ عام ١٩٢٥ م ، ثم بدأ تحقيق خزانة الأدب عام ١٩٢٨ م ، وبرزت جهوده ضمن لجنة إحياء ذكرى أبي العلاء التي كرسها طه حسين عام ١٩٤٣ م ، ومضى في مجال التحقيق .

● أتم دراسته في تجهيزية دار العلوم عام ١٩٢٤ م ، والبكالوريا عام ١٩٢٨ م ، ودار العلوم العليا عام ١٩٣٢ م . عمل بالتدريس بالمدارس الابتدائية فكلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، فكلية



ولقد كان التراث العربي بمختلف فروعه في جيلنا الذي عشنا فيه موضع اهتمام، يتمثل في التراث الديني الذي كانت كتبه ميسرة لنا، وكذلك التراث الأدبي واللغوي الذي كان لكل منا قدر كبير من الاطلاع عليه، وتمثله، حفظاً أو قراءة أو رواية. وكذلك التراث التاريخي الذي كنا نملأ به المجالس مذاكرة ومساجلة، والتراث القصصي متمثلاً في **قصص عنترة بن شداد، وسيف بن ذي يزن، وألف ليلة وليلة، وإعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس للإتليدي، ونحوها، هذا مضافاً إليه دواوين فحول الشعراء كأبي تمام، والبحتري، والمتنبي، وأبي العلاء**. ولم يكن في جيلنا من لا يحفظ **للحريري** أكثر من مقامة، وكانت الكتب المدرسية حافلة بعيون التراث الأصيل نستظهر منه جياد القصص وحسان الخطب.

دار العلوم جامعة القاهرة، فكلية الآداب بجامعة الكويت رئيساً لقسم اللغة العربية ومشاركاً في إنشاء الجامعة آنذاك، ثم أستاذاً غير متفرغ بكلية البنات بجامعة عين شمس. وقد اختير عضواً بمجمع اللغة العربية عام ١٩٦٩م.

● حصل على جائزة مجمع اللغة العربية للتحقيق العلمي عام ١٩٥٠م، بتحقيق أول سلسلة مكتبة الجاحظ وهو (الحيوان)، وعن تحقيق (مجالس ثعلب)، ثم توالت جهوده فحقق فيما بين ١٣٥٥هـ/١٩٣٨م، و ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ١١٤ عنواناً في ٤٢٧٧١ صفحة.

● كما ألف أول كتاب في تحقيق المخطوطات ونشرها عام ١٣٧٤هـ، إلى جانب بحوث ومقالات متنوعة في التحقيق واللغة والأدب، وإشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه، وإلقاء للمحاضرات بحكم عمله الجامعي.

● فاز بجائزة الملك فيصل العالمية في الأدب العربي لعام ١٤٠١هـ.

والأمر الثاني الذي ينبغي أن يتحقق في ناشر التراث، هو أن يكون على صلة وثيقة به في جميع فروعه، فنحن لا نستطيع أن نضع في يد عالم كيميائي أو طبيب عبقري مخطوطاً أدبياً ليقوم بتحقيقه، ولكننا نستطيع أن نضع في يد أديب مرموق هذا المخطوط مهما يكن نوعه، ليعالج إخراجه على وجه مرضي، ونستطيع أيضاً أن نقدم إليه مخطوطاً دينياً أو فلسفياً أو لغوياً، أو تاريخياً، أو جغرافياً ليقوم بنشره. ذلك لأن **التراث العربي الإسلامي متواشج الأطراف متداخل الضروب والأنواع، فالصلة الوثيقة الواسعة بالتراث شرط ضروري لمن يتصدى للجهاد في هذا الميدان**.

والأمر الثالث أمر خلُقي يتمثل في أمرين: الأمانة، والصبر. فكما تشترط الأمانة فيمن تكلفه استثمار مالك والتصرف فيه، تكون الأمانة شرطاً فيمن يعهد إليه أمر مخطوط ما، كل كلمة منه وكل حرف بمثابة أجزاء الآثار ودقائقها التي يحافظ العلماء والمؤرخون على كل قطعة منها مهما يكن قدرها. وثمرة هذه الأمانة تأدية فكر المؤلف وأسلوبه، وتأدية فكر عصره الذي عاش فيه، والجو الذي لابس المادة العلمية أو الأدبية لهذا المخطوط.

أما الصبر فهو من تمام الأمانة أيضاً، فالتعجل في تحقيق المخطوط ينتهي بلا ريب إلى الإخلال بالأمانة العلمية التي تقتضي التريث في الحكم على الصورة الصحيحة التي ينبغي أن تمثل النص في أوج سلامته ومطابقته للحقيقة.. هذا هو مجمل الأسس التي ينبغي أن تتحقق للعالم.

الموازنة بين صور التحقيق

★★ تعددت صور التحقيق لكثير من المخطوطات.. هل نستطيع أن نقف ـ من خلال موازناتنا بين صور التحقيق المختلفة ـ على أهم عيوب هذا الفن؟

● فن التحقيق من الفنون الجمالية الأدبية، ونستطيع ـ لأول وهلة ـ أن نحكم على الكتاب الذي يقع بين أيدينا بأنه قد أخذ من الجمال نصيباً، قلّ ذلك أو كثر، كما نستطيع أن نحكم عليه بأنه فقد الجمال كله، أو دخل في منطقة السوء، وذلك على مقدار العيوب الفنية التي تتسرب إليه.

وقد أصبحت قواعد التحقيق معروفة ومتفقاً عليها، ولا سيما بعد كتابي الذي ظهرت طبعته الأولى سنة ١٣٧٤هـ، أي منذ نحو ربع قرن،



وهو كتاب (**تحقيق النصوص ونشرها**) . ومن تلك القواعد : **كيف نرجح رواية على أخرى؟ وكيف نصحح الأخطاء والتحريفات؟ وكيف نضبط النصوص؟ وكيف نعلق عليها؟ وما مدى أهمية علامات الترقيم؟ وما المكملات الحديثة التي ينبغي أن يظهر بها الكتاب؟** وغير ذلك كثير.

ولعل أشنع ما يقع في هذا الفن أن يخرج الكتاب مجرداً من **الفهارس الفنية** ، أو توضع له فهارس غير ذات جدوى ، أو يطيل المحقق في تعليقاته وحواشيه ، أو يتزيّد في تقديمه للمخطوطة بصورة تطغى على صورة الكتاب نفسه .

مقترحات في سبيل تحقيق علمي

★★ من واقع ممارساتكم العلمية .. ما مقترحاتكم في هذا الفن؟

● لا تزيد مقترحاتي في هذا الفن على الأضواء الكاشفة التي سلطتُها عليه في كتابي (تحقيق النصوص) الذي وُلد ثمرة لتجاربي الشخصية التي ضممتُ إليها تجارب شيوخي وأقراني وزملائي ، وذلك منذ أكثر من نصف قرن .

فالمهم ـ بصفة عامة ـ أن تخرج لنا النصوص التراثية في صورة أقرب ما تكون إلى الصحة ، وفي ثوب مناسب من مجاراة العصر ، وعلى وجه تتحقق به أقصى فائدة يحصل عليها القارئ والباحث عند دراسته لهذا المخطوط.

الغائب في مكتبة التراث

★★ هناك وجوه غائبة في مكتبة التراث .. وذخائره ... من هنا أسأل .. ما الوجه الغائب من مكتبة التراث؟

● كنت أحب أن تقول : ما هي الوجوه الغائبة من مكتبة التراث؟ إذ نستطيع أن نقول : إن هناك وجوهاً كثيرة غائبة من مكتبة التراث . ولقد حاول **قدماء المستشرقين** من قبل أن ينشروا كل كتاب أو جزء من كتاب يقع بين أيديهم ، ونظرة إلى **كتاب (المستشرقون) للأستاذ نجيب العقيقي** تظهرنا على مختلف الاهتمامات التي كانت تسترعي نظر هؤلاء العلماء ، فلم يكن عندهم إيثار لضرب من ضروب التراث على آخر ، بل كان همهم ، وهم المكفيُّون أمر معاشهم وحياتهم أن ينشروا كل شيء ، وذلك لتستكمل صورة التراث ، ولتبدو ظاهرة من مختلف جوانبها ونواحيها .

ولكن الذي نلحظ في عصرنا هذا هو العناية بناحيتين اثنتين فقط ، هما الناحية الدينية ، والناحية الأدبية واللغوية ، أما النواحي العلمية أو الاجتماعية أو الفلسفية ، أو الحضارية الصرفة ، أو الفنون القديمة ، من فنون الحرب ، أو الصيد ، أو علم الحيل ، والآلات الحربية ، وآلات الرصد ، والبيزرة ، والبيطرة ، وتدبير المدن والمنازل ، والسياسة ، والصيدلة ، والطبخ ، وعقود الأبنية ، والفلاحة ، والمرايا المحرقة ، والموسيقى القديمة ، والنبات ، والهندسة القديمة ، وغيرها ، فالمنشور منها معدوم ، أو لا يكاد يذكر ، ولا ريب أن في نشر هذه الكنوز فائدة حضارية وفكرية .

ولقد كانت الفكرة الخيالية التي عالجها **عباس بن فرناس** في الأندلس ، وحْياً وإثارة لابتداع فن الطيران ، الذي حقق اليوم نجاحاً حضارياً عظيم القدر . ومن يدري؟ .

إعداد المحقق

★★ .. وكيف نعد المحقق؟

● لعل إجابتي عن السؤال الثالث تمتد فوق مساحة كبيرة من هذا السؤال . وهناك محاولة في القاهرة في دار الكتب المصرية ، هي في الواقع إحياء لما كان يسمى في الماضي «القسم الأدبي» وإن لم يبلغ في مستواه الآن ما كان عليه هذا القسم الذي نهض بعبء كبير ناجح موفق كان له أثره العظيم ، والأمل معقود أن يضاعف الجهد في (**مركز إحياء التراث**) بدار الكتب ، وأن يلقى عناية خاصة من المسؤولين .

وإني لأرجو وأدعو برجاء صادق ، أن يكون في كل بلد عربي مركز لإحياء التراث ينتظم في سلكه من درسوا منهج تحقيق النصوص وكانوا على مستوى علمي وخلقي يؤهلهم لهذا العمل ، على أن يغدق عليهم من المكافآت ما يشجعهم على المضي قدماً في هذا الميدان .

ومما يثلج صدري حقاً أني أرقب عن كثب مدى نجاح فكرة الدراسة لنهج تحقيق النصوص ، وأثره الفعال في ميل كثير من طلاب الدراسات العليا إلى صنع رسائلهم في الماجستير والدكتوراه على ضوء (تحقيق النصوص) في جميع أقسام اللغة العربية بالجامعات ، وكذلك أقسام



الجغرافيا والتاريخ والفلسفة . وهو أمر دعوت إليه قديماً منذ ثلاثين سنة في النشرة الأولى من (**نوادر المخطوطات**) في المجلد الأول [ص ٣] . وكذلك كتابي السابق ذكره . وكان مما قلت :

« وعسى أن يأتي اليوم الذي يكون فيه هذا الأمر ضريبة علمية لا بد من أدائها » .

التحقيق .. والطباعة

★★ كيف يفيد هذا الفن من المنجزات الفنية في عالم الطباعة ؟

● الذي يقارن بين المنجزات الفنية الآن في عالم الطباعة ، وما كانت عليه بالأمس يجد البون شاسعاً حقاً من حيث المظهر العام لإخراج الكتاب ، ونظام إخراجه . ونظرة إلى ما يسمى بالكتب الصفراء تعطينا الحكم القاطع بالوثبة السريعة ، والنهضة العالية لعالم الطباعة الحديث .

وقد جدّت أمور كثيرة وهامة في الناحية الشكلية للكتاب ، فلم يعد مستساغاً ولا مقبولاً أن يخرج كتاب لمؤلف محترم ، أو من دار نشر محترمة ، خالياً من الفهارس الفنية أو التحليلية ، أو أن يظهر في ثوب قميء من الورق ، أو مبعثر الأوراق خالياً من التغليف والتجليد المناسب . ونحن نرى بأعيننا كيف يُخرج الأوروبيون ونحوهم كتباً توحي باحترام المؤلف كما توحي باحترام دار النشر التي أخرجت الكتاب .

ولعلك تذكر أني حينما أخرجت كتابي (**الميسر والأزلام**) — وهو كتيب صغير — لا تتجاوز صفحاته ٩٦ صفحة لم أستطع أن أخرجه مجرداً من الفهارس ، فوضعت له خمسة فهارس في عشر صفحات ، جرياً على ما ينبغي أن يكون عليه الكتاب المعاصر ، من تمكين القارئ والباحث أن ينتفع بالكتاب غاية النفع .

وقد ظهر في عالم الطباعة أيضاً **فن الطباعة بالتصوير** ، وبذلك يتاح للمؤلفين التمكن من تكرار طبعات الكتب الناجحة ، ولا ضير في ذلك إذا التزم المؤلف والناشر برعاية الكتاب وتنقيحه طباعياً كلما طرأ تفكير في إعادة نشره ، وبذلك تتسع رقعة انتشار الكتاب النافع .

نشاط العالم في التأليف والتحقيق

★★ هل نستطيع أن نسجل نبذة تاريخية موجزة عن نشاطكم في عالم التأليف والتحقيق ؟

● أمامك ثبت (قائمة) بالإنتاج العلمي من سنة ١٣٥٥ — ١٤٠٠ هـ ، (١٩٣٨ — ١٩٨٠ م) يتمثل في ١١٤ عنواناً من التأليف والتحقيق ، وبعض تلك العناوين يشمل ثمانية مجلدات ، أو ستة مجلدات ، أو أربعة مجلدات . وبلغ عدد صفحاتها ٤٢٧٧١ اثنين وأربعين ألفاً وسبعمائة وإحدى وسبعين صفحة . وأرجو أن تسمح لي أن أقول بكل اعتزاز وفخر : إن هذا رقم قياسي فريد لم يتح لمؤلف معاصر عربي أو غربي .

الكتاب الأول

★★ هل لنا أن نرجع إلى تاريخ بعيد ... فنعرف عنوان أول كتاب ظهر عليه اسم « عبد السلام هارون » ؟

● أول كتاب أخرجته المطبعة مقروناً باسم عبد السلام هارون هو كتاب (**متن الغاية والتقريب للقاضي أبي شجاع أحمد بن الحسين بن أحمد الأصفهاني**) وذلك في سنة ١٣٤٥ هـ/١٩٢٥ م ، وكتب عليه ما نصه : « ضبط وتصحيح ومراجعة الشيخ عبد السلام محمد هارون » وذلك عندما كنت طالباً صغيراً بالأزهر بالسنة الثالثة الأولية ، في سن السادسة عشرة ، وذلك قبل أن أتوجه بدراستي إلى (دار العلوم) . ومن عجب أن هذا الكتاب كان في **فقه الشافعية** ، وكنت في ذلك الحين أدرس الفقه على **مذهب الحنفية** . ولك أن تتصور مدى فرحة طالب صغير بظهور اسمه على كتاب مقرر رسمياً على الطلاب في ذلك الوقت المبكر .

كتاب يعتز به

★★ وإذا سألنا عن الكتاب الذي يحتل مكانته في مسيرتك العلمية ، وتعتز به ؟

● كتبي بمثابة أبنائي لا أستطيع أن أوثر أحدهم أو أحدها على أخيه . فالجهد الصادق الذي بذلته في كل كتاب لا يقل عن أخيه ، وقد ذكرت لك من قبل أني بذلت جهداً غير عادي في تأليفي لكتاب (الميسر والأزلام) وعنيت به وهو أصغر كتبي بالقدر الذي بذلته لكتاب (**الحيوان**) وهو أكبر كتبي . **ولعل أشهر الكتب التي ذاعت بين الناس وعرفت بها بين الأدباء هو كتاب الحيوان للجاحظ ، وكتاب البيان والتبيُن ، ومجالس ثعلب ، ومقاييس اللغة لابن**



فارس ، والألف المختارة من صحيح البخاري ، وتهذيب سيرة ابن هشام ، وشرح وتحقيق ديوان الحماسة للمرزوقي ، وكلها أعيد طبعه أكثر من مرة ولا سيما (تهذيب سيرة ابن هشام) الذي طبع أكثر من عشر مرات .

وأحب ـ بهذه المناسبة ـ أن أنبّه على خطأ تاريخي ، في نسبة تحقيق شرح الحماسة للمرزوقي . والناس يخطئون فيجعلون هذا التحقيق مشتركاً بيني وبين **الأستاذ أحمد أمين** . وإنما المشترك بيني وبين الأستاذ أحمد أمين هو عملية النشر والإعداد فقط ، كما هو ظاهر بارز ومكتوب على وجه الكتاب . وأما التحقيق فهو خاص بي باعتراف الأستاذ أحمد أمين فيما كتبه بقلمه في الصفحة الخامسة من المقدمة . وقد كان في ذلك أميناً حقاً .

وأنا مع ما أسلفت أستطيع أن أعلن اعتزازي الخاص بكتابي (تحقيق النصوص ونشرها) لأنه حقق لي سبقاً تاريخياً ، وهو ابتداع فن علمي متكامل لم يكن موجوداً من قبل ، فكان هذا الكتاب أول كتاب كامل جامع في هذا الفن يوضح مناهجه ويعالج مشكلاته . وهو يعد إلى الآن الدستور الوحيد في هذا الفن .

وقد علمتُ بعد إخراجي لهذا الكتاب أن بعض المستشرقين تناول بالكتابة بعض أمور التحقيق ، ولكني لم أعلم أن مستشرقاً أو غير مستشرق صنع كتاباً متكاملاً من قبل . وهذا ما حملني أن أكتب في مقدمة الطبعة الثانية من هذا الكتاب رداً على بعض الأدباء :

« هذه هي الطبعة الثانية من (تحقيق النصوص ونشرها) أقدّمها مغتبطاً بها وبما كان لسابقتها من صدى متواضع في أرضنا العربية . . بله بلاد المستشرقين ، الذين كتبوا إليّ مهنئين ، وإن كان بعض إخواننا الدمشقيين ممن كنا نتوسّم فيه النجابة ، زعم بضعف نفسه ، وبما يشعر به أمثاله من ذلة علمية ، أني لم أطلع على ما كتب المستشرقون فوضع بذلك على هامتي كليلاً أعتز به ، إذ أمكنني ـ بعون الله وحده ـ أن أضع علماً متكاملاً لم أسبق إليه ، دون أن أتطفل على مائدة كثيراً ما وُضع فيها للعرب صحاف مسمومة ؛ وموائد العرب حافلة بالجهود الوثيقة ، والأمانة العلمية المرموقة » .

التبيُّن . . والتبيين

★★ سمعتكم تقولون ـ في حفل التكريم المنعقد في فندق الكونتننتال ـ « البيان والتبين » ، كما رأيتكم الآن تكررون في الإجابة السابقة عبارة « التبين » . . وقد كان المتداول لدى الكثيرين « التبيين » . . . ما تفسيركم لذلك ؟

● هذه ملاحظة وجيهة بلا ريب . . . وأنا معك في أن المعروف المتداول في اسم هذا الكتاب هو « البيان والتبيين » ـ بياءين ـ ولكن طبيعة الأمور ترى أن هذه التسمية لا تتمشى مع المنطق ، فإن البيان هو التبيين بعينه ، ونحن نربأ **بالجاحظ** أن يقع في مثل هذا العيب في تسمية أشهر كتبه وأسْيَرها . والدارس لهذا الكتاب يرى أنه ذو شقين متداخلين : الشق الأول هو ما اختاره الجاحظ من النصوص والأخبار والأحاديث والخطب والوصايا ، وكلام الأعراب والزهّاد ونحو ذلك ، وهو ما يعنيه الجاحظ بكلمة « البيان » . والشق الثاني هو النقد الأدبي في صورته المبكرة ، فللجاحظ في هذا الكتاب نظرات فاحصة في نقد نصوصه ، وفي الكلام بصفة عامة ، تسمى بعد ذلك بفن « النقد » . فهذه النظرات وهذه القواعد التي ساقها الجاحظ هو ما عناه بكلمة « التبيُّن » .

هذا من ناحية ، وهناك ناحية أخرى تاريخية وثائقية فإن النسخ العتيقة من هذا الكتاب ـ وقد أثبتُ صورتها في تقديمي للكتاب ـ تقطع بأن عنوانه هو « البيان والتبيُّن » وهذا ما يجده القارئ بوضوح في مصورة **مخطوطة كوبريلي المحفوظة بدار الكتب المصرية** تحت رقم (٤٣٧٠ أدب) ، وتاريخ كتابتها هو سنة ٦٨٤ هـ . وكذلك نقرأ هذا العنوان بوضوح في مصورة **مخطوطة مكتبة فيض الله ، وهي في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية** تحت رقم (٨٨٧) وعندي بحمد الله صورة أخرى منها . وهذه النسخة مكتوبة بخط **أبي عمرو محمد بن يوسف بن محمد بن حجاج اللخمي** . وقد قرأها وراجعها على **الإمام أبي ذر ابن محمد بن مسعود الخشني** في سنة ٥٨٧ هـ ، وكتب هذا الناسخ أنه وجد في آخر السفر الذي نسخ منه الثلث الثالث من هذا الكتاب ما نصه :

« كتب هذا السفر ، وهو مشتمل على جميع كتاب البيان والتبيُّن من نسخة **أبي جعفر البغدادي** ، وهي النسخة الكاملة ، فتم بعون الله وتأييده في غرة ربيع الآخر من سنة سبع وأربعين وثلثمائة » . أي بعد وفاة الجاحظ بمدة لا تزيد على ٩٢ سنة .

وسأعيد هذه التسمية الصحيحة إلى نصابها في الطبعة الخامسة إن شاء الله .



المكونات الأدبية

★★ هناك مكونات بعيدة تؤتي ثمارها في المحقق .. ما المكونات البعيدة في حياتكم الأدبية ؟

● عن المؤثرات في بدء نشاطي الثقافي والتأليفي أستطيع أن أسجل للتاريخ أن الفضل الأول فيه يرجع إلى عامل الوراثة وإلى **شقيقي الأكبر الأستاذ محمد أبو الفضل محمد هارون** مدَّ الله في عمره .

فقد ولدت في بيت كل أهله مؤلفون : جدي المغفور له **الشيخ هارون عبد الرازق شيخ رواق الصعايدة بالأزهر** ، خرجت إلى الدنيا ووجدت اسمه مقروناً بكتاب كان مشهوراً جداً في ذلك الوقت ، ولا يزال إلى الآن معروفاً متداولا ، وهو كتاب (**عنوان الظرف في علم الصرف**) ومقروناً بكتاب آخر هو كتاب (**المبادي النافعة في تصحيح المطالعة**) وهو كتاب نحوي موجز أتمنى أن يعاد طبعه لطلاب المدارس ، وبكتاب آخر يدعى (**عنوان النجابة في قواعد الكتابة**) ، وآخر يدعى (**حسن الصياغة في علوم البلاغة**) ، ومما هو مسجّل معروف أنه قام بالإشراف على التحرير الكامل لكتاب (**الخطط التوفيقية**) **للعالم المؤرخ علي باشا مبارك** .

ووالدي المغفور له الشيخ محمد هارون الذي كان قاضياً لقضاة السودان كنت أقرأ من مؤلفاته (تلخيص الدروس الأولية في السيرة المحمدية) في جزءين كانا مقررين علينا في السنتين الأولى والثانية الأوليتين في جميع المعاهد العلمية الدينية ، وكنت أحفظهما عن ظهر قلب ، وله أيضاً كتاب (دروس في آداب اللغة العربية) .

ومما استرعى نظري بعدما شددت أني وجدت له تحقيقاً سابقاً لأوان التحقيق ، وهو تحقيق كتاب (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) لابن أبي الديبع الشيباني .

أما أخي الأكبر محمد أبو الفضل فقد قام بصنع حاشية لكتاب جَدِّي (عنوان الظرف) .

هذا هو الفضل الروحي الذي أوحي إليَّ أن أقتدي بهؤلاء القوم .

أما الفضل العملي في انغماسي في هذا التيار فهو فضل أخي (محمد أبو الفضل) الذي كانت له مكتبة في المنزل جمع فيها مختارات جيدة من الكتب الأصيلة التي كانت تظهر في ذلك الوقت ، وكان يشجعني على قراءتها ، ويحملني على حضور مجلسه للمذاكرة مع إخوانه ، وأذكر أنه كان قد رصد لي مكافأة (ساعة جيب) أحصل عليها إذا أتممت حفظ **المعلقات** . وفي تلك السن المبكرة حفظت **المعلقات السبع** مع شيء من شروحها في نحو ثلاثة أشهر فقط حفظاً جيداً . وهذا فتح أمامي باب الولوع بالأدب وباللغة ، وباب التفكير في التأليف .

أما المؤثرات في استمراري في عالم التأليف والتحقيق فهو النجاح الذي لقيته في إخراج كتابي (الحيوان للجاحظ) و (مجالس ثعلب) حصلت بهما على الجائزة الأولى للتحقيق العلمي سنة ١٩٥٠ م ، من مجمع اللغة العربية ، فكان هذا أمراً مشجعاً وحافزاً على أن أستمر فيما عزمت عليه من قبل ، وهو تحقيق ونشر «مكتبة الجاحظ» التي بلغ عدد مجلداتها ١٨ مجلداً ، وهي الحيوان في ثمانية ، والبيان في أربعة ، والرسائل في أربعة ، والعثمانية والبرصان في مجلدين .

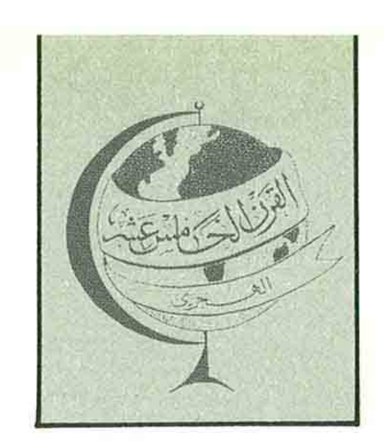
ومن هذه العوامل أيضاً قلة عدد الذين كانوا يشتغلون بالتحقيق اشتغالا جاداً ، إذ كانوا في جيلنا لا يتجاوزون أصابع اليدين ، وفي مقدمتهم المغفور له **الشيخ أحمد محمد شاكر ، والأستاذ محمود محمد شاكر ، والأساتذة مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، والسيد أحمد صقر** . فكنا جميعاً كالجنود الذين تركوا وحدهم في الميدان يدافعون عن الحوزة ، وكنت ممن آثروا الصمود في هذه الجبهة ، ولله الحمد .

خزانة الأدب

★★ عن «خزانة الأدب» .. ماذا تم في إكمال تحقيقه ؛ وقد حققتم الجزء الأول منه سنة ١٩٢٨ م . وماذا في نيتكم غير هذا المصدر ؟

● بين يديّ الآن الجزء العاشر من **خزانة الأدب للبغدادي** أسعى جاهداً في تحقيقه وإعداده للنشر ، وبظهوره إن شاء الله يبقى من الخزانة جزءان ، منهما نصف جزء لبقية النص ، والباقي للفهارس الفنية للخزانة ، كما أن بين يدي مطبوعاً نادراً لم أعثر على مخطوط له ، وهو كتاب (**مجموعة المعاني**) **لمؤلف مجهول** ، وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ هـ ، أي منذ قرن كامل ، وهو يُعَدّ في كتب الحماسات الجيّدة الاختيار النادرة النصوص .

وهذا كله غير الإشراف على إعادة الطبع لبعض كتبي التي تحتاج إلى الإعادة .





الإسلام .. والمعوقون

بقلم: عبد الله السيد شرف

أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً بأن يكون عام ١٩٨١ م ، هو عام المعوقين ... ولست أدري ما المقصود بعام المعوقين ؟! ... أهو الاحتفال المؤقت بالمعوقين عن طريق إصدار القرارات والتوصيات ، وإلقاء الكلمات الرنانة وسط المحافل الدولية فقط ... ثم ينسى كل شيء بعد مرور العام ؟ ... أم أنهم يبحثون فعلاً عما يفيد المعوقين ؟ ...

وهل العالم بمادياته المتطاولة ، وبمذاهبه المختلفة ، يسعى حقاً إلى سيادة الخير ، والحب ... والسلام ... أم أنها شنشنة معروفة من أخزم .. ليس إلا !! .

عموماً .. نحن لا نعيب على الأمم المتحدة اهتمامها بالمعوقين ، ولكن .. كنا نود أن تهتم بالحروب الدائرة ، باعتبارها منبعاً من منابع الإعاقة .. ولو أنها فعلت هذا .. لكان أجدى من هذه الشعارات الجوفاء .

على أي الأحوال .. إذا كان الغرب ، ينادي اليوم بتكريم المعوقين .. فمن الحق أن نقول إن الإسلام ، منذ أربعة عشر قرناً ، قد نادى بالمحافظة على هؤلاء المعوقين وأعطاهم حقوقهم كاملة ، في إنسانية أخاذة ، ورفق جميل ، مما أبعد عن المعوقين ، شبح الخجل .. وظلال المسكنة .. بل إن الإسلام — النور — لم يقصر نداءه الإنساني على المعوقين فقط ، بل امتد النطاق فشمل المرضى عامة ، واستطاع المريض — أياً كان مرضه — أن يستظل براية الإسلام التي تحمل في طياتها الرأفة والرحمة والخير ، وأن يتنسّم عبير الحياة ، في عزة وكرامة ، **كما أن الإسلام لم يقصر هذا النداء على عام دون آخر .. لأن القواعد التي أرساها الإسلام ، سارية المفعول منذ أن جاء بها المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، وإلى أن يرث الله الأرض .. ومن عليها .**

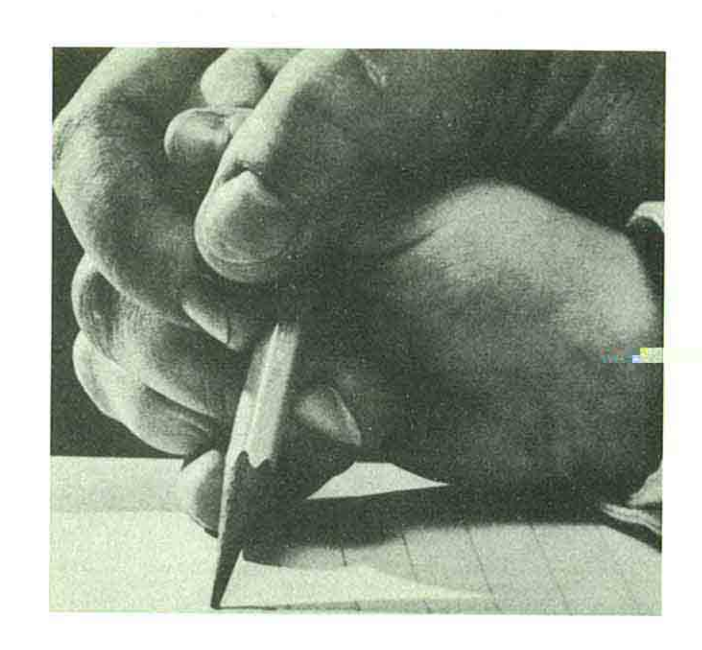
المعوق .. والمجتمع

عرفت الموسوعة الطبية المعاقة بأنها — كل عيب جسماني أو عقلي يمنع المرء من أن يشارك بحرية في نواحي النشاط الملائمة لعمره .. ويحس المصاب — بمعاقة — عندما يكبر ، بصعوبة الاندماج في المجتمع[1] .

ولهذا .. فإن نفسية المعاق تختلف اختلافاً كلياً عن صنوه المعافى ، ويرجع هذا إلى الشعور الداخلي للمعاق نفسه .. فهو يشعر بعجزه عن الاندماج في المجتمع نظراً لظروفه المرضية ، مما يجعله يؤثر الحياة داخل قوقعة داكنة اللون ، مغلفاً حياته بالحزن .. والأسى . وكلما تذكر المعاق إصابته ، كلما اتسعت الهوّة بينه وبين مجتمعه ، مما يجعله يزداد نفوراً وتقوقعاً ، وقد شعر بهذا الفرق **الشاعر أوس بن حجر** فقال :

وما ينهض البازي بغير جناحه
ولا يحمل الماشين إلا الحوامل
ولا سابق .. إلا بساق سليمة
ولا باطش ما لم تعنه الأنامل[2]

هذه هي نظرة المعاق إلى المجتمع ، ونلاحظ أنها نظرة يغلفها الخجل والحياء من الانخراط في دائرة المجتمع المتسعة ، كما أن المجتمع نفسه لا ينظر إلى المعاق نظرته إلى الشخص السليم المعافى ، بل على أساس أنه عالة عليه ، وهذا يضاعف من عزلة المعاق وانكماشه ، — ففي المجتمعات البدائية ينظر الناس إلى العجزة نظرتهم إلى شر مستطير ، يجب تجنبه ، وحتى الآن يشيح البعض بوجوههم إذا مروا بهم اتقاء الأذى[3] — ، ومؤكد أن المعاق يتأثر من هذه النظرات ، التي يشيعها به المجتمع أنّى وجد .. فيزداد إحساساً بالعجز والقصور ، ويصور **السيّاب** ذلك في



أبيات فيقول، بعد أن تمنى الموت:

فهنا لا يشمت بي جاري.
أو تهتف عاهرة مرت من نصف الليل على داري.
بيت المشلول هنا، أمسى لا يملك أكلاً.. أو شربا.
وسيرمون غداً بنتيه.. وزوجته دربا[٤].

وسواء أكانت هذه الحادثة قد وقعت فعلاً، وسمعها السياب، أو كانت إسقاطاً فكرياً، فهي تؤكد في الأولى استخفاف المجتمع بالمعاق.. وفي الثانية تؤكد خوف المعاق من المجتمع.. وشعوره بالعجز.. ولهذا نجد المعاق ــ غالباً ــ ما يتمنى الموت لاعتقاده أنه الخلاص الوحيد من واقعه الأليم،.. يقول أبو راشد الضبي وكان أعرج.. ثم عمي.. ثم أقعد من رجليه:

وفي الموت للزمنى.. جمال وراحة
وفي القبر ستر للفقير الخامل[٥]

وعلى هذين الركنين، أعني الخجل الداخلي من مواجهة المجتمع، ونظرة المجتمع القاسية إلى المعوقين.. تتشكل نفسية المعاق.. مما يجعله ينظر إلى المجتمع والحياة نظرة الخوف.. والسخط.. والغضب..

العصر الجاهلي

كان المبدأ السائد في العصر السابق لظهور الإسلام، هو مبدأ القوة.. والبقاء للأقوى. فالغارات متكررة.. والكر متواصل.. والحروب دائمة.. وتصرّ القبائل القوية على الفتك بجاراتها الضعيفة.. فمن لا يظلم الناس يظلم.. وما دام هذا هو شأن المجتمع، فمن الممكن أن نحدد إذن موقع المعاق على خارطته. فالمعاق بالطبع لن يستطيع أن يحمل سيفاً، أو يمتطي جواداً ليذود عن قبيلته خطر الإغارة المفاجئ..

والمتكرر.. لهذا كانت النظرة إلى المرضى ــ عامة ــ نظرة احتقار وازدراء، فهم كمٌّ مهمل، ليس لوجودهم فائدة تذكر، يضاف إلى هذا، الخوف المنتشر من مخالطة المرضى خوف العدوى، واستقذاراً لهم.. وها هو **عمرو بن هند** ــ الملك ــ تقول الأخبار إنه كان ــ لا يطيق أن يملأ عينه من رجل به بلاء ــ[٦]. أما عامة الشعب، فهم ليسوا بأحسن حال من هذا الملك.. فقد كانت العرب قبل المبعث تتجنب الأكل مع أهل الأعذار، فبعضهم كان يفعل ذلك تقذراً لجولان اليد من الأعمى ولانبساط الجلسة من الأعرج، ولرائحة المريض وعلاته[٧].

ونستطيع أن نلمح المعاملة القاسية التي كان المجتمع الجاهلي يتعامل بها مع المرضى، من خلال هذه الحادثة التي يسوقها **الجاحظ** نقلاً عن **ابن الكلبي**، إذ إنها تبين بوضوح مكانة المعاق في المجتمع الجاهلي، والمعاملة غير الإنسانية التي كان المجتمع يلاحقه بها، قال ابن الكلبي ــ سمعت أبي، وأبا مسكين قالا: كان عمرو بن وهيب أصابه برص فسقي بطنه، فأخرجته قريش من مكة مخافة العدوى ــ وهم يخافون الجذام والبرص، والجرب، والصفر، والعدسة، والجدري ــ، فكان إذا جنّ عليه الليل آوى إلى شعاب في تلك الجبال، فإذا حميت عليه الشمس استذرى بظلال الأشجار، فلما طال عليه البلاء أخذ مدية فوجأ بها جنبه ليموت فيستريح، فسال ذلك الماء، وذهب ما كان به من برص[٨].

تلك إذن كانت النظرة السائدة، فالرجل مطرود من بيته دون إثم اقترفه، أو ذنب جناه، وتتعدد صور القسوة، والازدراء.. فنرى الزوجة وهي تعير زوجها لأن المرض أصابه.. وها هو **أبو طالب بن عبد المطلب** يقول عن زوجته ولها:

قالت عرجت.. فقد عرجت فما الذي
أنكرت من جلدي.. وحسن فعالي[٩]

أما سلمى زوجة **صخر بن عمرو بن الشريد**، فقد ضايقها مرض زوجها، بعد أن طال به الرقاد، وبدأ الملل يتسرب إليها، ولم تستطع أن تكتم هذا الضيق، فراحت تصرّح لزوّار زوجها بأنه ــ لا هو حي فيرجى.. ولا ميت فينسى ــ ويسمعها صخر فيشق ذلك عليه ويتألم، فينفث ألمه في شعره محاولا التخفيف عن نفسه وقع هذا السوط اللاهب.. فيقول:

أرى أم صخر لا تجف دموعها
وملت سليمى مضجعي ومكاني[١٠]

تلك إذن كانت نظرة المعاق إلى المجتمع، ونظرة المجتمع إلى المعاق.. ولكن.. هل كان العرب وحدهم أصحاب هذه النظرة القاسية، والقلوب المتحجرة نحو المرضى؟.. من الواجب أن نعترف بأن العرب لم يكونوا وحدهم أصحاب هذه العادات.. بل لعلهم أخف وطأة من غيرهم.. فقد **كانت ــ إسبرطة تقضي بإعدام الأولاد الضعاف أو المشوهين عقب ولادتهم**، أو تركهم في القفار طعاماً للوحوش والطيور[١١].

العصر الإسلامي

جاء الإسلام ليصحح المسار الخاطئ للبشرية كلها ، وليوضح لهم الطريق الذي ينبغي أن يتبعوه ، واستطاع **الرسول صلى الله عليه وسلم** أن يزرع القيم الطيبة في النفوس ، وأن يقتلع كل ما هو فاسد وقبيح ، وتمكن المرضى في ظل التعاليم الإسلامية السمحة أن ينعموا بهدوء البال ، وراحة النفس ، خاصة بعد أن فتح الرسول صلى الله عليه وسلم الباب على مصراعيه أمام المرضى ، ليطلون من خلاله على الحياة ، وتطل الحياة عليهم من خلاله ، فعندما قرر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ــ **لا عدوى .. ولا صفر .. ولا هامة** ــ هدم الركن الأول الذي كانت حياة المعاق تتشكل عليه ، ليس المعاق وحده ، بل المريض عموماً .. إذ إن الحديث ، كان إيذاناً للمجتمع بمخالطة المرضى دون خوف من العدوى .

ويسأل الأعرابي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قال الرسول : « لا عدوى . ولا صفر . ولا هامة » .. يا رسول الله .. فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء .. فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها .. فيرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم قائلاً : « فمن أعدى الأول »[12] .

وهكذا يوضح الرسول المفهوم الخاطئ عند الناس ، فإذا كان المرض ينتقل عن طريق العدوى ، من المريض إلى السليم ، فمن أين جاء المرض للأول ؟ ..

وما دامت العدوى لا تنتقل بذاتها .. فلم الخوف إذن .. ولم الانحجار والدنيا رحبة ، وكل ما هو مقدر كائن لا محالة ..

وتشرئب أعناق المرضى ، وتسعد نفوسهم ، لولا هذا الخجل الداخلي النابع من إحساسهم بالعجز .. ويأتي الرسول صلى الله عليه وسلم فيعطيهم جرعات متتالية ، فيها الشفاء من كل وساوسهم ، ويجعلهم يخلعون مخنارين الشرنقة الكالحة التي ألبسوها لأنفسهم إلباساً . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم ليخفف وقع المرض على المصاب ــ إن الله عز وجل قال : « إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منها الجنة » .. يريد عينيه[13] . ويقول : « ما من مسلم يصيبه أذى .. شوكة فما فوقها إلا كفَّر الله بها من سيئاته وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها »[14] . وتتعدد الأحاديث الطيبة التي يقولها الرسول صلى الله عليه وسلم ، والتي تعطي للمريض ــ عامة ــ الثقة في نفسه ، وتمحو عنه دوامات الحزن والأسى .. كي يستطيع أن ينخرط في المجتمع ، وينغمس فيه ، فالضعيف أمير الركب .. وما دام الأمر كذلك فما حاجة المريض إذن إلى التقوقع وهو إن خرج سيكون أميراً للركب ، وسيتصدر القافلة ، وفي هذه الأحاديث ، هدم للركن الثاني .. أعني خوف المعاق من المجتمع .

وتتجلى عظمة الإسلام ــ العظيم ــ في الحديث القدسي الذي جاء ليعطي للمريض الراحة والهدوء والأمن الذي كان يفتقده قبل مجيء هذا الدين القويم ، يقول **أبو هريرة** رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم .. مرضتُ فلم تعدني .. قال يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين ؟ .. قال .. أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ؟ .. أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده »[15] .

أي عظمة تلك .. وأي شيء كان يتمناه المريض أكثر من هذا التكريم ، وقد شرفه الله سبحانه وتعالى ، وأضاف المرض إلى نفسه إكراماً للمريض ــ سبحانه وتعالى جل شأنه ــ إنه الإسلام ذلك الدين المتين الذي يدعو إلى الرأفة والرحمة كي يعيش الإنسان في سعادة وهناء .

وإذا نظرنا إلى الدين الإسلامي ، نجده في تعرضه للمسائل يتعرض لها من كل جوانبها ، بحيث لا يدع بالمشكلة موضع البحث ثقباً تنفذ منه ريح الأقاويل والألاغيط اللهم إلا ما يتركه الرسول صلى الله عليه وسلم ــ عمداً ــ رأفة بنا ورحمة .

فالمعاق لن يستطيع أن يؤدي الفروض كما يؤديها السليم ، ولهذا فقد خففت الفروض بالنسبة لهم ، **فالصلاة** للمريض تجدي وإن كان راقداً .. وله عليها الأجر شأنه كشأن السليم ، ما دام ملتزماً بشروطها وأركانها .. **والصيام** إن خيف عليه منه فعليه الإفطار ، حتى يبرأ أو يفدي .. **﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾** (سورة البقرة ، الآية ٢٨٦) . بقي **الجهاد** ، وهو شرف لا يدانيه شرف ، وترك الجهاد قد يترك في نفس المعاق أثراً ما .. لهذا يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم ويبعد هذا الأسى من نفسية المريض .. ويشعره أن له الأجر وإن لم يشارك المشاركة الفعلية .. يقول **جابر الأنصاري** : كنا مع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم .. حبسهم المرض .. وفي رواية ــ إلا شركوكم في الأجر »[16] .

وبالنظر في **القرآن الكريم** ، نجد أن الله سبحانه وتعالى عند تحدثه عن القاعدين عن الجهاد لعذر يقول **﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً . درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيماً ﴾** (سورة النساء ، الآيتان ٩٥ ، ٩٦) .

يقول **زيد بن ثابت** رضي الله عنه : لما نزلت ــ لا يستوي القاعدون ــ قام **ابن أم مكتوم** ــ وكان رجلاً أعمى ــ فقال يا رسول الله فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين .. فنزلت **﴿ غير أولي الضرر ﴾** .. الآية كلها[17] .

ونلاحظ أن الله سبحانه جل شأنه ، قد فضَّل المجاهدين على القاعدين من أولي الضرر درجة واحدة ، وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين من غير عذر درجات .. وقيل المراد بلفظة ــ وكلاً ــ المجاهدون وأولو الضرر[18] . ولا شك أن الفرق كبير بين من يحبسه المرض ، وبين من يتقاعد ، تماماً كالفرق بين الدرجة الواحدة ، والدرجات المتعددة ، ولهذا فقد أبعد الإسلام عن المريض شبح التأنيب

وظلال التقصير . يضاف إلى هذا كله ما جاء في الخبر من أنه — إذا مرض العبد قال الله تعالى . . اكتبوا لعبدي ما كان يعمله في الصحة إلى أن يبرأ أو أقبضه إليَّ[١٩] .

ثم يأتي الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول : « إن أعظم الجزاء من عظم البلاء . . وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم . . فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط »[٢٠] ، وأمثال هذا الحديث كثر ، وكلها تحثّ المؤمن على الصبر ، وقد استطاعت هذه الأحاديث أن تغير من النظرة السيئة عند المعوقين تجاه المجتمع ، فقد أصبحوا سعداء بما حل بهم ، طالما أن هذا سيقربهم إذا صبروا من الجنان ، لذلك نراهم رغم سقوط التكليف عنهم يسارعون في بذل أنفسهم في سبيل إعلاء كلمة الله ، فيخرج عبد الله بن أم مكتوم في **غزوة أحد** ويطلب أن يحمل اللواء[٢١] كما كان **عمرو بن الجموح** في أول الجيش ، وهو أعرج ، ويراه الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول له : « إن الله قد عذرك » ، فيقول والله لأحفرن بعرجتي هذه في الجنة . . . بل إنه كان يؤتى بالرجل يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف[٢٢] ، إنه نوع من الاعتراف بالجميل لهذا الدين الذين منحهم الشجاعة على مواجهة الحياة دون خجل مما أصابهم ، كما أعطاهم الحق في أن يعيشوا حياتهم في عزة وكرامة ، فنراهم وقد قرت أنفسهم ، راضين بما حل بهم . يقول **ابن عباس** رضي الله عنهما **لعطاء بن رباح** : ألا أريك امرأة من أهل الجنة . . . قال بلى . . قال ابن عباس . . هذه المرأة السوداء . . أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إني أصرع . . وإني أتكشف . . فادع الله تعالى لي . . قال إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك فقالت أصبر . . ثم قالت . . إني أتكشّف فادع الله لي أن لا أتكشف . فدعا لها[٢٣] هكذا فعل الإسلام . . وهذه هي أخلاقه .

على أن الأمر لم يقف عند حد الأحاديث فقط . . بل تعداها إلى حيز الفعل ، ليكون له أعمق الأثر في نفوس المرضى . . . فها هو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . . ينيب عنه على المدينة المنورة ، عبد الله بن أم مكتوم الضرير ، عندما كان الرسول يغادرها لشأن من الشؤون . . ونراه في مرة أخرى . . يختار **معاذ بن جبل** من بين المسلمين وهم كثر ، ويرسله إلى اليمن عاملاً له عليها ، بل ويكتب لأهلها : إني بعثت عليكم خير أهلي . . وكان معاذ أعرجاً[٢٤] .

ويضيف **الرسول صلى الله عليه وسلم** إلى الأحاديث السابقة حديثه الذي يبعد فيه فكرة تمني الموت التي كانت تداعب المرضى من قبل ، لاعتقادهم أن الموت راحة للزمنى ، فيقول **الرسول صلى الله عليه وسلم** : لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان لا بد متمنياً فليقل اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي[٢٥] . ثم يحثّ **الرسول صلى الله عليه وسلم** ، الناس على عيادة المريض فيقول عائد المريض في مَخْرَفَة الجنة حتى يرجع[٢٦] ، وقيل عن مخرفة الجنة . هي السكة بين صفين يجتني من أيهما شاء .

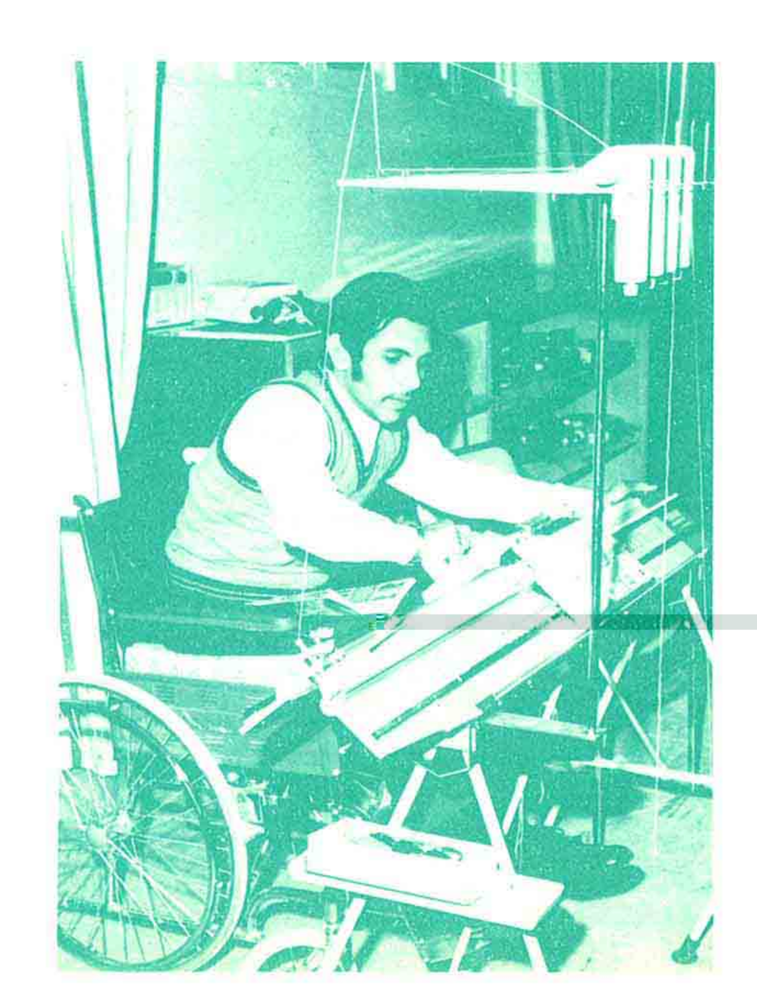
وبهذا الحديث يكون **الرسول صلى الله عليه وسلم** قد أتم وضع الأسس القوية للأخلاق الكريمة التي يجب أن يعامل بها المرضى في شتى الأنحاء ، وعلى مدار القرون ، كما أنه يكون قد أذاب عن المريض ثلوج الجفوة التي كانت تغلف حياته ، فلا خوف من المجتمع ولا حزن لما أصابه ما دام هذا سيقربه إلى الله ، وسيدني إليه الجنة طالما أنه صابر راض .

ولهذا . . يقبل المرضى في الإسلام على المجتمع ، وصدورهم منشرحة ، مكونين مجتمعاً يسوده الحب ، وترفرف عليه السعادة . كما أن الإسلام أعطاهم حق المطالبة بحقوقهم فأعلنوا عنها في شجاعة ، ورباطة جأش . . تقول الأخبار . . بينما **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** جالساً إذ أقبل أعرج يقود ناقة تظلع حتى وقف عليه فقال :

إنك مسترعى . . . وإنا رعيّه
وإنك مدعو بسماك يا عمر
أرى يوم شرٌ . . شرّه متفاقم
وقد حملتك اليوم أحسابها مضر

فيقول عمر . . لا حول ولا قوة إلا بالله . . ثم يشكو له الرجل عرج رجله ، وظلع ناقته فيقبض عمر الناقة ويحمله على جمل ويزوّده[٢٧] .

وإذا كان الإسلام قد أعطاهم حقوقهم كاملة ، في عزة وكرامة ، ودون منٍّ أو استعلاء ، فقد فتح لهم أيضاً **بيت المال** . ليأخذوا منه عند الإعسار ما يكفيهم ، ولم يكتف الخليفة العادل عمر بن الخطاب بهذا . . وهو الأمين على أرواح المؤمنين فنراه يضرب المثل الحي لما يجب أن يكون عليه خليفة الله في أرضه . قال **طلحة بن عبد الله** . . خرج عمر ليلة



في سواد الليل . فدخل بيتاً . . فلما أصبحت ذهبت إلى ذلك البيت فإذا عجوز ــ عمياء ــ مقعدة . . فقلت لها . . ما بال هذا الرجل يأتيكي ؟ . فقالت . إنه يتعاهدني مدة كذا . . وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى ! ![٢٨] .

وشتان بين هذا الخليفة العادل . . وبين من كان لا يطيق أن يملأ عينه من رجل به بلاء . . وقد شعر المرضى بهذه المعاملة الطيبة التي جاء بها الإسلام ، فاجتهدوا في إقامة شعائر الله كما فرضت ، حباً واعترافاً بهذا الدين . . فقد جاء **سلمان بن ربيعة** إلى عمر بن الخطاب (من العراق إلى المدينة) . . وقال له . . يا أمير المؤمنين . . إني رجل أعرج . ولا قوة لي على المشي إلى المسجد . . فيكتب عمر إلى **سعد بن أبي وقاص** . . أن أقطعه أقرب المواضع إلى المسجد . . فيلبي له سعد طلبه[٢٩] .

لقد أحبوا هذا الدين الذي أكرمهم الله به ، فما كان منهم إلا أن حرصوا على التمسك به .

إن الإسلام ذلك النور . . لم يقصر الأمر ــ كما قلنا ــ على المعوقين وحدهم . . بل شمل المرضى عامة ، كما أن دعوة الإسلام إلى تكريم المرضى . . لم تكن حكراً على عام دون آخر بل إن الإسلام أرسى القواعد الصحيحة لبناء المجتمع الأمثل لكي يسود الحب . . والإخاء فلم يشعر المرضى في ظل الإسلام بالضياع ، بل قدروا لأرجلهم مواضع الخطو ، فكان منهم العلماء ، والقواد والفرسان والأدباء مما تمتلئ به بواطن الكتب . . لتكون شاهدة على أن الإسلام هو السبّاق إلى كل خير .

★ ★ ★

ماذا تريد إذن الجمعية العامة للأمم المتحدة ؟ . ألا تعرف الأمم المتحدة أن الحروب الدائرة الآن على رقعة الكرة الأرضية ، لتضاعف بالتأكيد من كمية العجزة والمشوّهين . . فماذا فعلت الأمم المتحدة أمام انتشار الحروب ، والغزو الهمجي المتكرر على الدول الضعيفة ؟! . .

« إن خلاص البشرية من آلامها لا يولد من فوهات المدافع ، ورؤوس الصواريخ ، وفتائل القنابل . . وإنما من خلال ما توفره ــ حكومات العالم ــ لشعوبها من وسائل العيش الكريم ، والحياة الخالية من الأمراض . . والجوع . . والجهل »[٣٠] .

المراجع

(١) الأحاديث القدسية : محيي الدين النووي ، تحقيق مصطفى عاشور ، مكتبة الاعتصام ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٨ م .

(٢) الأصمعيات : تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٦ م .

(٣) البداية والنهاية : ابن كثير ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨ م .

(٤) البرصان والعرجان والعميان والحولان : الجاحظ ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، دار الاعتصام ، ١٩٧٢ م .

(٥) تفسير القرطبي : لأبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي ، دار الشعب ، بدون تاريخ .

(٦) الحياة العربية من الشعر الجاهلي : د. أحمد الحوفي ، دار نهضة مصر ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٢ م .

(٧) خزانة الأدب : عبد القادر البغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٩ م .

(٨) رياض الصالحين : محيي الدين النووي ، تحقيق عبد الله أبو زينه ، دار الشعب ، ١٩٨١ م .

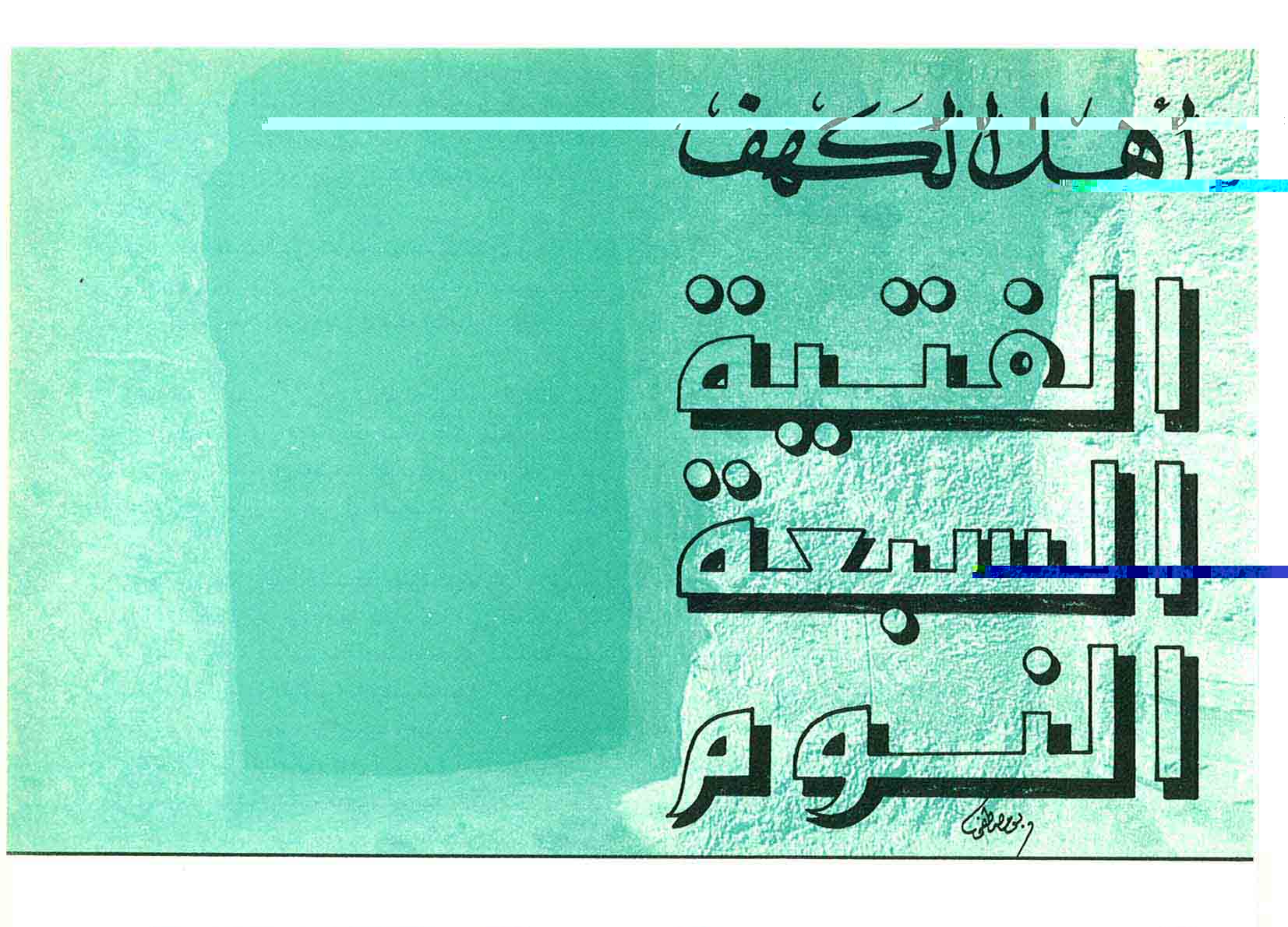
(٩) شناشيل ابنة الجلبي : بدر شاكر السيّاب ، دار الطليعة ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٧ م .

(١٠) صحيح مسلم : تحقيق عبد الله أبو زينه ، دار الشعب ، بدون تاريخ .

(١١) الموسوعة الطبية : لفيف من الأطباء ، مؤسسة سجل العرب ، بدون تاريخ .

الهوامش

١ ــ الموسوعة الطبية ــ معاقة ــ ١٢/١٧٦٦ .
٢ ــ خزانة الأدب ، ٤/٣٨٠ .
٣ ــ الموسوعة الطبية ، ١٢/١٧٦٦ .
٤ ــ شناشيل ابنة الجلبي ، ١١٩ .
٥ ــ البرصان والعرجان ، ١٢٥ .
٦ ــ المصدر السابق ، ٢٤ .
٧ ــ تفسير القرطبي ، ٦/٤٧٠٥ .
٨ ــ البرصان والعرجان ، ٥٢ .
٩ ــ السابق ، ١٨ .
١٠ ــ الأصمعيات قصيدة رقم ٤٧ ، ١٤٦ .
١١ ــ الحياة العربية ، ٢٢٧ .
١٢ ــ صحيح مسلم ، ٥/٧٢ .
١٣ ــ رياض الصالحين ، ١/٢٤ .
١٤ ــ السابق ، ١/٢٥ .
١٥ ــ الأحاديث القدسية ، ١/٦٢ .
١٦ ــ رياض الصالحين ، ١/١٠ .
١٧ ــ تفسير القرطبي ، ٣/١٩١٣ .
١٨ ــ السابق ، ٣/١٩١٤ .
١٩ ــ السابق ، ٣/١٩١٣ .
٢٠ ــ رياض الصالحين ، ١/٢٦ .
٢١ ــ ٢٢ تفسير القرطبي ، ٤/٣٠٦٥ .
٢٣ ــ رياض الصالحين ، ١/٢٤ .
٢٤ ــ البرصان والعرجان ، ٢١٣ .
٢٥ ــ صحيح مسلم ، ٥/٥٣٧ .
٢٦ ــ السابق ، ٥/٤٣٢ .
٢٧ ــ البرصان والعرجان ، ٢٢٠ .
٢٨ ــ البداية والنهاية ، ٧/١٣٥ (المجلد الرابع) .
٢٩ ــ البرصان والعرجان ، ٢١٠ .
٣٠ ــ من مقال ــ المعوقون والصمت القاتل ــ لعلوي طه الصافي مجلة « الفيصل » ع ٤٦ ، ص ٢١ .



قصة أهل الكهف وكهفهم ومعجزة ظهورهم

بقلم: د. فواز أحمد طوقان

كهف أهل الكهف.. القصة والمكان

سورة الكهف، سورة مكية. جاء في أخبار السلف من أسباب نزولها قصةٌ رواها كثيرون من مفسّري **القرآن الكريم**. فقد ذكر **محمد ابن جرير الطبري** في كتابه (جامع البيان في تفسير القرآن) عن **عبد الله بن عباس** رضي الله عنهما، أن قريشاً اتصلت بأحبار اليهود في المدينة المنورة قبل الهجرة طمعاً في أخذ علم عنهم يحرجون به الرسول عليه الصلاة والسلام. فأشارت أحبار يهود على قريش أن اسألوه عن قصة **أهل الكهف** وعن **ذي القرنين** وعن **الروح**. وقال اليهود إن أجاب محمدٌ عنها جميعاً فهو نبي. فلما سألت قريش الرسول الكريم عنها، طلب امهاله بضعة أيام ليجيب عن القصتين وعن الروح. يقول الطبري:

« فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يُحدث الله إليه في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبريل عليه السلام. حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألنا عنه، وحتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومكث الوحي عنه. وشقّ عليه (أي الرسول) ما يتكلم به أهل مكة. ثم جاء **جبريل عليه السلام** من الله عز وجل بسورة أهل الكهف، فيها

معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية ، والرجل الطوّاف (أي ذي القرنين) وقول عز وجل ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾ .

ويتفق رواة الحديث النبوي الشريف ، والمفسرون للقرآن الكريم ، في هذا الخبر الذي رواه الطبري ، وهو سبب نزول سورة الكهف . فلقد كان نزولها إفحاماً جليلاً لكفار قريش في مكة ولأحبار اليهود في يثرب (المدينة المنورة بعد ذلك) .

وقصة أهل الكهف ، كما وردت في القرآن الكريم ، لا تختلف عن أسلوب القصص القرآني . فلقد وردت مجملة ، تذكر بضعة تفصيلات مهمة . ذلك لأن القصد من القصص القرآني ليس الإخبار بقدر ما هو الوعظ والتمثيل على ما يراد ترسيخه في أذهان السامعين من الوعد والوعيد .

أما تفاصيل قصة الفتية ، فقد سردها مفسرو القرآن الكريم بشيء من الاختلافات الطفيفة ، إلا أنهم جميعاً متفقون في مجمل الحكاية .

وتتلخص الحكاية في أمر ملك روماني حكم **مدينة عمان** (فيلادلفيا آنذاك أو مدينة دقيانوس) واضطهد النصارى أيما اضطهاد ، وأجبرهم بالقوة وأحكام الموت ، وبالتعذيب بالحرق ، لأن يسجدوا لأصنام آلهته . هذا الملك هو « **تراجان** » الذي أصدر عام ١١٢ ميلادي مرسوماً يقضي بمحاربة النصرانية وتعقب معتنقيها في سائر البقاع .

في عهد تراجان تبدأ قصة الفتية أصحاب الكهف . فقد فروا من المدينة بدينهم واتجهوا إلى الغابات والأحراش الكثيفة التي كانت تحيط بعمان . جاء في سورة الكهف على لسان الفتية : ﴿ **هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً** ﴾ (سورة الكهف ، الآية ١٥) .

والتقى الفتية في طريقهم راعياً مع كلبه . كان هذا الراعي هو الآخر على دين النصرانية . ويبدو أنه كان يعرف مكاناً سرياً للعبادة اتخذه النصارى للانقطاع فيه والتهجد .

وأوى الفتية إلى الكهف . هنا تحدث المعجزة الإلهية . جاء في القرآن الكريم : ﴿ **فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً** ﴾ (سورة الكهف ، الآية ١١) ، أي أنامهم الله في الكهف مدة طويلة حفاظاً عليهم وأماناً لهم ، إلى أن يبدل الله ما كان من أمر الطاغية تراجان .

وتتجلى عظمة المعجزة الإلهية في إبقاء الفتية ، والراعي ، والكلب ، على حال من الصحة وسلامة الأبدان . فقد كانوا يتقلبون في نومهم ذات اليمين وذات الشمال لئلا تأكل الأرض التي ينامون عليها أجسامهم . وتظهر عظمة المعجزة مرة أخرى في حفظ أجسامهم من البلى . تقول الآية الكريمة : ﴿ **وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه** ﴾ (سورة الكهف ، الآية ١٧) ، وقد فسرها ثقاة المفسرين على أن الشمس تشرق عن يمين الكهف وتغرب عن شماله . وبالتالي يكون باب الكهف متجهاً إلى الجنوب . أما ميل الشمس عن الكهف في الصباح وارتفاعها عن الباب في الظهيرة وتركها إصابة أجسام الفتية قبل الغروب ، والفتية في متسع من الكهف ، فلكي لا يصيبهم حرّها ، بل ينالهم روح الهواء وبرد النسيم فلا يحسون كرب الغار الذي هم فيه .

واستمر اضطهاد النصارى على يد الرومان بعد اختفاء الفتية إلى مدة طويلة . وفي وقت لاحق ، حكم مدينة عمان طاغية روماني آخر هو « **دقيانوس** » أو **داقيوس** . وفي حكمه عثر على الكهف وعلى الفتية الذين فيه . كان ذلك بعد مضي مائة وثمان وثلاثين سنة على اختفائهم .

وهنا تتجدد المعجزة الإلهية . جاء في القرآن الكريم : ﴿ **وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً** ﴾ (سورة الكهف ، الآية ١٨) . ولم يستطع الطاغية دقيانوس أن يدخل الكهف أو أن يجبر أحد رجاله على ذلك . ولعل دقيانوس عندما نظر بداخل الكهف حاور الفتية وطالبهم بالخروج ، فظلوا صامتين . فأراد الطاغية أن يقتص منهم ، فأمر ببناء سدّ على باب الكهف . إلا أن البنائين الممتلئين رعباً لم يستطيعوا إحكام السد . فظلت فيه فجوة كافية لدخول الهواء .

وتنقضي على نومة الفتية ثلاثمائة وتسع سنوات . وتتغير في هذه الأثناء أحوال البلاد . ويصير على المنطقة ملك صالح هو « **ثيوذوسيوس الثاني** » الذي كثرت في زمانه المجادلات الدينية بين فئة النصرانية المعروفة **باليعقوبية** وبين الفرقة الأخرى النصرانية المعروفة **بالنسطورية** فبعث الله سبحانه وتعالى الفتية من نومهم .

تقول الآية القرآنية الكريمة : ﴿ **ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً** ﴾ (سورة الكهف ، الآية ١٢) .

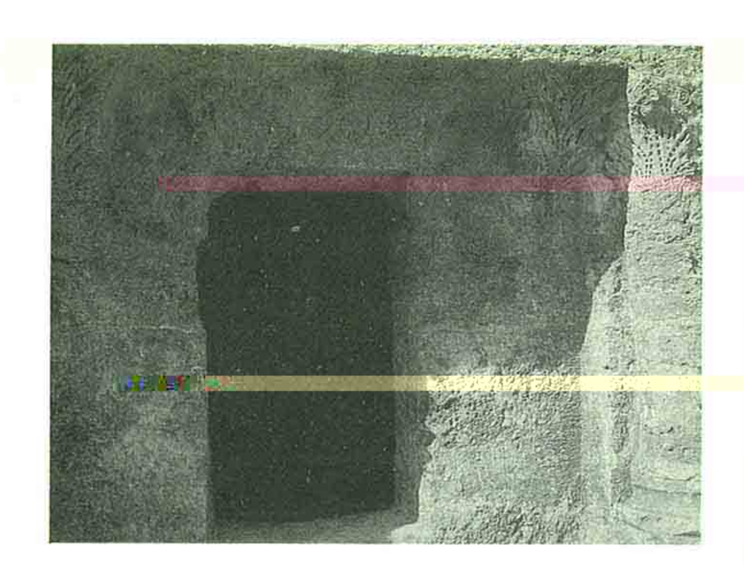
أما الفتية ، فقد تعجبوا من نومهم ، وظنوا أنهم لبثوا يوماً أو بعض يوم . ولما كان الخوف ما زال مسيطراً عليهم ، انتخبوا أحدهم ليذهب إلى المدينة يحمل نقودهم حتى يتخيّر لهم طعاماً طاهراً زكياً يأكلونه . وأوصوه أن يتلطف كي لا يُشعِر بهم أحداً .

ولكن نقود هؤلاء الفتية دلّت عليهم . فقد كان الفتى الذي أرسل إلى المدينة يحمل قطعاً من عملة ترجع إلى عهد تراجان ، أي إلى قبل ثلاثمائة وتسع سنوات .

أما الحكمة الإلهية في بعث الفتية من رقادهم في ذلك الظرف بالذات فلسبب . تقول الآية الكريمة : ﴿ **وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها** ﴾ .

ويشاء الله سبحانه وتعالى أن يتوفى الفتية بعد انبعاثهم بقليل . ويختلف الناس في أمرهم مرة أخرى . أما فريق فلم يؤمن بالمعجزة ، وجعل يتنازع أمر الفتية مع الفريق الآخر الذي آمن بالمعجزة . قال الفريق الأول حسب ما جاء في القرآن الكريم : ﴿ **ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم** ﴾ وقال الفريق الثاني الذي آمن بالمعجزة وشعر بالنصر : ﴿ **لنتخذن عليهم مسجداً** ﴾ .

وهكذا أسدل الستار على هذه المعجزة الإلهية التي كانت مصدر إلهام وطمأنينة للمؤمنين .



★ صورة للكهف التقطتها عدسة المجلة ، ويحتمل أن يكون كهف أصحاب الكهف ★

تاريخ الكهف

قصة أهل الكهف معجزة إلهية تمثلت أحداثها في منطقة عمان ، الأردن . وما زالت آثار الكهف ، والأضرحة التي فيه ، وآثار المسجدين المبنيين عنده ، وآثار أخرى ، ما زالت ماثلة للعيان حتى اليوم .

ولقد عثر على هذا الأثر النفيس بعد أن نسيه الناس ، عام ١٩٦٤ م ، وجرت في موقعه تنقيبات أثرية بإشراف **دائرة الآثار الأردنية** . وقد تم العثور بداخل الكهف على ثماني جماجم ، وفك لحيوان أقرب ما يكون إلى الكلب السلوقي . ووجدت كذلك قطع عملة قديمة ، وقطع فخار . وترجع هذه القطع بتاريخها إلى عهد **جوستنيان الأول** الذي حكم عمان ما بين عامَيْ ٥١٨م و ٥٢٧م .

أما آثار المسجدين عند الكهف ، فيرجعان إلى العهد الأموي . ولعل زمنها هو خلافة **عمر بن عبد العزيز** .

لقد عرفت قصة أهل الكهف قبل الإسلام . وشاعت أخبارها في **الإمبراطورية البيزنطية** ضمن المناطق العربية ، أي في بلاد الشام . وقد نظم القصة شعراً باللغة السريانية ، أحد رهبان النصارى واسمه « **جيمس الساروغي** » الذي عاش ما بين عامي ٤٥٢م و ٥١٨م .

وكانت قصة أهل الكهف معروفة لدى العرب في جاهليتهم ، إلا أنهم كانوا مختلفين في تفاصيلها . ولعل ذلك عائد إلى أن مصادر معلوماتهم كانت من الفئات والطوائف النصرانية المتنازعة . قال **أمية بن أبي الصلت** الشاعر المخضرم :

وليس بها إلا الرقيم مجاوراً
وصيدهم ، والقوم في الكهف هجد

وفي صدر الإسلام ، وخلال حركة الفتح الإسلامي لبلاد الشام ، تعرف عدد من الصحابة إلى الكهف ، وتعرفوا إلى البُلَيْدة المعروفة بالرقيم أو الجبل الذي بهذا الاسم . فقد جاء الاسم في القرآن الكريم : **﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً ﴾** .

رأى الكهف وجبل الرقيم من الصحابة عبادة بن الصامت ، وكان في طريقه إلى بيزنطة لدعوة ملك الروم إلى الإسلام . وذكر هذا الصحابي أن في الكهف الذي في الرقيم أجساداً غير بالية يقوم على العناية بها رهبان في صومعة مبنية فوق الكهف .

وفي إحدى غزوات الفتوح ، مرّ الصحابي الجليل **عبد الله بن عباس** بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف . وكان قائد الغزاة **معاوية بن أبي سفيان** ، فطلب معاوية أن يكشف له عن الفتية لينظر إليهم . إلا أن ابن عباس قال : « ليس ذلك لك . قد منع الله تعالى من هو خير منك . فقال : لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً » .

وجاء في تفسير القرطبي للقرآن الكريم أن عبد الله بن عباس غزا مرة أخرى في الفتوح مع **حبيب بن مسلمة** ، فمرّوا بكهف الرقيم ، فإذا فيه عظام الفتية . وتصنيف الرواية أن أحد رهبان النصارى هناك تعجب من معرفة المسلمين لقصة أهل الكهف .

وأما قصة **الصحابي المجاهد سعيد بن عامر** في ذكر خبر نجدته للمسلمين قبيل **معركة اليرموك** ، فأكثر الروايات تفصيلاً عن اطلاع المسلمين الأولين على كهف أهل الكهف وجبل الرقيم . ومن هذه القصة نتأكد أن منطقة الكهف كانت ذات أحراش ملتفة موحشة .

يروي **الواقدي** في كتاب (**فتوح الشام**) خبر نجدة سعيد بن عامر بجيش من المسلمين خرجوا من المدينة المنورة باتجاه اليرموك ، وضلّ سعيد بن عامر بالجيش في الطريق ، بالرغم من أنه سلكها كثيراً ، وخاف على المسلمين ، ثم تراءى له جبل عظيم فيمم شطره . وما كاد يصله حتى أجنهم الليل . فدخل بالجيش في واد فيه شجرة عظيمة كبيرة ، عرفها سعيد . فقد كان يقصد الشام من هذه الطريق مرة أو مرتين في العام ، فاستقى القوم من عين غزيرة هناك . وتعرف سعيد إلى المكان ، فإذا به جبل الرقيم ، فقصد الغار الذي فيه وحكى للمسلمين حديث الرقيم . ثم صلى هو والمسلمون في الكهف ، ومضوا بعدها إلى مدينة عمان ، ثم انضموا للمسلمين في اليرموك .

وقد حظي الكهف والرقيم باهتمام الخلفاء الأمويين . كان **الخليفة يزيد بن عبد الملك** يقيم في المنطقة ، وله فيها قصران ضخمان هما **القسطل والموقر** ، ورد ذكرهما ، وذكر الرقيم في الشعر الذي مُدح به عندما أتته الخلافة ، قال شاعرهم كثيّر عزّة :

يَـزُرْنَ على تنائيه يـزيداً
بـأكناف الموقّر والرقيم

تهنّئه الوفود إذا أتوه
بنصر الله والمُلْك العظيم

وذكر **الأحوص الشاعر الأنصاري** الرقيم ، وقرنه إلى الموقر ، كما صنع غيره من الشعراء الذين ذكروا المنطقة . قال الأحوص :

وشاقك بالموقر أهل خاخ
فلا أمَمٌ هناك ولا قريبُ

لعمـــري أنـي بـــرقيم قيس
وجارة أهلهـا ، لأنـا الحــريـبُ

مشيراً إلى أن المنطقة كانت مأهولة بالقبائل القيسيّة .

وزار كهف أهل الكهف في العصور التالية كثيرون ، وذكره الجغرافيون العرب والرحالة .

فأسامة بن منقذ ، أحد قُوّاد **نور الدين زنكي** ، ومن بعده **صلاح الدين الأيوبي** ، وابن آل منقذ أصحاب **قلعة شيزر** على العاصي في مدينة حماة ، زار الكهف وصلى فيه هو ورهط ممن كانوا معه . وكتب عن ذلك في مذكراته المعروفة بكتاب (**مواعظ الاعتبار**) .

وورد ذكر كهف أهل الكهف وجبل الرقيم في أغلب كتب الجغرافيين العرب على أن هذين الموضعين عَلَمان مقترنان إلى مدينة عمان ، أو منطقة البلقاء . فقد أشار **المقدسي** في (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) إلى الرقيم بأنها قرية على فرسخ من عمان وعلى تخوم البادية ، فيها مغارة لها بابان صغير وكبير ، وفي المغارة ثلاثة قبور .

وذكر **ياقوت الحموي** في (معجم البلدان) أن عمان هي مدينة الطاغية دقيانوس وبالقرب منها الكهف والرقيم . ويذكر **زكريا بن محمد القزويني** في كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد) أن البلقاء كورة في بلاد الشام وبها الكهف والرقيم . وأما **عبد المؤمن بن عبد الحق البكري** فيؤكد في كتابه (مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع) ، يؤكد ما ذهب إليه ياقوت الحموي في أن عمان هي مدينة دقيانوس وبقربها الكهف والرقيم .

وخلال القرن الماضي ، عندما كثرت رحلات المستكشفين الأوروبيين إلى بلاد العرب ، زار الكهف أكثر من واحد ، وكتبوا عنه ، ووصفوا آثاره ، والطريق الموصلة إليه . أما أول عمل استكشافي جرى على الكهف ، فقد تم على يد موظفي دائرة الآثار العامة الأردنية .

هل هناك كهف غيره؟

تنازع شرف نسبة كهف أهل الكهف عدة مواقع غير كهف الرقيم . فقد ظن بعض علماء المسلمين القدامى ، نقلاً عن مصادر غير إسلامية ، إن **مدينة سلع (البتراء)** في جنوب الأردن ، هي موضع كهف أهل الكهف . ولكن القرائن جميعاً لا تقيم أية حجة لذلك الادعاء .

ويقال إن هنالك كهفاً في إحدى البلدان الإسكندنافية فيه سبعة موتى جثثهم غير بالية كان البرابرة يقدسونهم . ولكن هذا الزعم لا يتفق مع الوقائع . فتلك البلاد لم تكن قط ضمن الإمبراطورية الرومانية ، ولم تصل المسيحية إلى هناك إلا بعد عدة قرون من زمان الفتية والطاغية تراجان الذي لاحقهم .

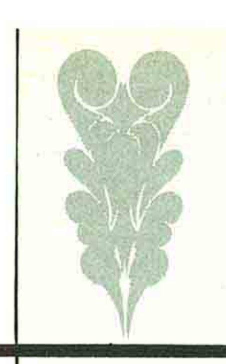
أما أكثر الكهوف شهرة بأنه كهف الفتية فهو بالقرب من **أفسوس** ، **المدينة الأثرية التركية في بلاد الأناضول** . فقد عثر على جملة كهوف في كتف جبل هناك من جهته الشمالية الشرقية . كما وجدت مئات الأضرحة المبنية من الطوب المشوي ، ولا أثر لكنيسة أو مسجد عند الكهف أو فوقه . إنّ الموجودات الأثرية في كهف أفسوس هي الدليل الواضح على أنه ليس كهف أهل الكهف . فكهف الرقيم فوقه بناء ديني ، وكهف أفسوس ليس عليه بناء دينيّ . وكهف الرقيم بداخله ثمانية أضرحة ، بحسب عدد الفتية والراعي ، أما كهف أفسوس ففيه مئات الأضرحة . وباب كهف الرقيم ، بحسب الآية القرآنية الدالة على المعجزة الإلهية ، يفتح إلى الجنوب . أما كهف أفسوس فاتجاه بابه إلى الشمال الشرقي ، مما يخالف نص الآية القرآنية ﴿ **وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه** ﴾ . ولذلك فمن المستبعد أن يكون كهف أفسوس في الأناضول هو كهف أهل الكهف .

ومهما يكن من أمر الكهوف التي تتنازع الشهرة لهذه المعجزة الإلهية ، فإن الأدلة الأثرية ، والقرائن التاريخية ، تشير بالإجماع إلى كهف أهل الكهف في جبل الرقيم ، جنوب شرقي عمان ، في الأردن .

ولنا بعد كلمة !

واليوم ، وفي خضم عناصر التكنولوجيا ، وبين هدير محركات الديزل التي تمر على الطريق الاسفلتي بقريب من كهف جبل الرقيم ، وهزيم طائرات الجامبو التي تعبر من فوقه ، وفي منتصف دوامة الحديد والصلب وصفائح القصدير والرافعات وصناديق البضائع المكدسة غير بعيد عن الكهف في **منطقة القويسمة الجمركية** ، اليوم ، يكاد بريق المعجزة الإلهية تلك يمّحي بالفعل . فقلما يلاحظ المسافر بالطائرة من فوق كهف الرقيم ، أو من جنبه بالسيارة ، أو بالقاطرة الحديدية ، قلما يلاحظ المسافر مسرح قصة من أجمل القصص الديني المشترك بين الديانتين العالميتين ، النصرانية والإسلام . لقد حدثت المعجزة في الرقيم ، جنوب شرقي مدينة عمان ، في الأردن ، واستمرّت تحدث على مدار ثلاثمائة وتسع سنوات ، فكانت شاهداً متصل الوقوع على أن وعد الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها .

إن زيارة كهف أهل الكهف في الرقيم جنوب شرقي مدينة عمان ، قد لا يبعث في نفس الزائر ما تبعثه في نفسه من دهشة وانبهار أماكن دينية كقبة الصخرة المشرفة ، والمسجد الأقصى المبارك ، والمسجد الجامع لبني أمية في دمشق ، لأن كهف أهل الكهف ، وما لحقه من هدم ، إنما هو موقع باهت الألوان ، متواضع البُنيان . . . ولكن المأساة الإنسانية التي تتمثلها تلك الأحجار الصلدة الصماء ، وهذه النواويس الحجرية القاسية ، إنها مأساة حرية بأن يقف الزائر لبرهة بخشوع تام ، ويصمّ أذنيه عن ضجيج الآلات الهادرة ، ويحاسب نفسه بضمير متألق : إلى أين نحن — سكان الأرض في أخريات القرن العشرين — متجهون ؟



بين شاعرين

٦٦

أوليڤر جولد سميث ● محمد عبد المعطي الهمشري





القرية المهجورة

للشاعر الإنجليزي **أوليڤر جولد سميث** الذي ولد عام ١٧٢٨ م ، وتوفي عام ١٧٧٤ م ، ونشأ وتربى في **أيرلندا** حيث عاش **حياة الريف الأيرلندي** ، بكل ما فيه من عذوبة ماء وصفاء جو وجمال طبيعة ، كما عاش حياة التشرد والقسوة والحرمان مما ترسب في لا وعيه أو لا شعوره حتى تخرجه من **كلية ترنيتي** وحصوله على **ليسانس الآداب** ، وحلّق بخياله الخصيب إلى **أمريكا** ، وكانت في ذلك الوقت مستعمرة إنجليزية ، يعيش عليها نحو مليونين من الإنجليز ، لكنه عدل عن فكرة الذهاب إلى الدنيا الجديدة وآثر التجول في أنحاء **أوروبا** ، بين **هولندا وفرنسا وإيطاليا وسويسرا** ، وأزعجته الانقلابات الصناعية في ربوع القارة ، وبداية طغيان الآلة على الإنسان ، مما شده إلى الطبيعة ، وإلى حياة القرية ، يلتمس فيها البراءة والصفاء والحياة على الفطرة ، ولكن التغير الحضاري يصيب القرية كما أصاب المدينة ، فها هي القرية تقفر من أهلها ، وإخوانه من الفلاحين يهيمون على وجوههم بحثاً عن لقمة العيش ، ومراتع الصبا صارت أطلالا في أطلال . ولا يجد أوليڤر جولد سميث العزاء إلا في الكتابة ، فإذا به يعكف عليها حتى يصبح **الروائي** البارع صاحب **رواية « راعي ويكفلد » والكاتب المسرحي المرح** صاحب **مسرحية « تتمسكن حتى تتمكن » والشاعر** الذائع الصيت صاحب دواوين الشعر ، ومبدع قصيدة **« القرية المهجورة »** التي ما إن ظهرت في شهر مايو (أيار) من عام ١٧٧٠ م ، حتى **اعتبرت قصيدة العصر** ، وهذه هي القصيدة الشهيرة التي يقول فيها الشاعر الإنجليزي :

القرية المهجورة

للشاعر **محمد عبد المعطي الهمشري** ، الذي ولد في عام ١٩٠٨ م ، وتوفي في عام ١٩٣٨ م ، وكان واحداً من أبرز **شعراء المدرسة الرومانسية** في الشعر العربي الحديث ، خاصة بعد أن انضم إلى **جماعة أبوللو الشعرية** ، التي أسسها الشاعر **أحمد زكي أبو شادي** في عام ١٩٣٢ م ، ورأسها أمير الشعراء **أحمد شوقي** ، ثم شاعر القطرين **خليل مطران** . وسرعان ما أصبح الهمشري من شعراء الطليعة في هذه الجماعة ، وكانت مخايل الشاعرية قد ظهرت عليه منذ طفولته وصباه في **مدينة المنصورة** ، حيث صادق **الشاعر صالح جودت** ، وصادق الاثنان شاعران يكبرانهما سناً هما **المهندس علي محمود طه** والطبيب **إبراهيم ناجي** ، وتصادق الأربعة وعقدوا حلفاً شعرياً في ندوات يومية على شاطئ المنصورة .

القرية المهجورة

قريتي .. كم تهت في الماضي على الوادي الجمالا
وعلى شطيك خصبٌ ونماء
يملأن قلب أهليك سرورا
كم مشى فيك الربيعُ المزهر
باسماً قبل الأوان
وتأتي الزهر في الصيف طويلا
محجماً عند الوداع

* * *

كل عشٍّ فيك بالبهجة صدَّاحُ يغني
كلها حتى يدُ الفأس تغنت
عند شقِّ الأرض فرحى
كلها :. كانت .. فويحى !
إذ غدت بعض صدى من ذكريات

* * *

قريتي يا بسمة الوادي الجميل المزهر
ما لأفراحك قد ولَّت وغابت
ولهذي الوحشة الضاربة
ويد الباغي مغانيك استباحت
طوَّقت أرضك ظلماً قبضتُه

* * *

لم يعد جدولك الرقراق يجلوها بطاحا
بعدما أضحى يعاني غصّةً
وغناء الطائر الشحرور قد أمسى عويلا
صار في الروض غريبا
يتنادى وغراب البين ما بين بقاياك التياعا
يندبان الدار في بثّ رتيب

* * *

الظلال الوارفات اليوم قد أمست يبابا
ونما الطحلب من فوق جدار يتهاوى
رعشة الموت بأنفاس الحياة

* * *

قد جفاك الأهل ، حتى الطفل لم يرع الذماما
كل أرض تسرع الخطو حثيثاً للبوار
حينما تزهو بمال ليس يزهيه رجال
كم كبير قام يوماً وهوى
هو بالأمر تعالى سيداً ، وهو بالأمر تهاوى تابعا
ما كذا الفلاح ، فهو الأمة والكبرى ، فإن

القرية المهجورة

ولقد تأثر الهمشري تأثراً بالغاً بالشعر الرومانسي الإنجليزي عند كل من الشعراء **كيتس وبايرون وشيللي** ، وخاصة الشاعر الأخير الذي تأثر به تأثراً بالغاً حتى لقد آثر توقيع اسمه **(م . ع . الهمشري)** ، تأثراً بشاعره الأثير **ب . ب . شيللي** . وبعد أن استنفد الهمشري المرحلة العاطفية في حياته الشعرية ، بدأ كتاباً جديداً ، هو كتاب الشاعر المصري الفلاح ، الذي وهب كل شاعريته للتغني بجمال الريف ، مكرساً حياته للدعوة إلى إقامة الحضارة الريفية ، جاعلاً من قلم الشاعر ريشة رسام مبدع ، كل همه عرض لوحات رائعة من مفاتن **الريف المصري** ، ومن هذا المنطلق كان تأثره **بالشاعر الإنجليزي أوليفر جولد سميث** ،

وخاصة في قصيدته الشهيرة « **القرية المهجورة** » التي نسج على منوالها الهمشري قصيدة تحمل نفس الاسم « **القرية المهجورة** » نظمها عام ١٩٣٦م ، وقال فيها :

وا سوأتاه لأرض أصبحت غَنَما
ترعاه عاجلة الأسقام والنوب
تزداد ثروتها والقوم نحوتهم
تهوى فُتونها خوّارة الغضب
أهل الإمارة من صيد غَطارفة
أو من ذوي الجاه والألقاب والرُتَب
أحوالهم أبداً رهنٌ لمنقلب
تحول من زاهر يوماً إلى عَطب

* * *

هان يوماً ، هانت الأوطان صرحاً وعمادا

★ ★ ★

يا لهذا الزمن القلب
بالمال اشترى الغاصب أرض القرية
طارداً فلاحها عبر الخلاء
حيث قام المارد الجبار يحتل البقاع
كالقذى في العين يبدو في الضياع
وطوى بالمال أرضاً
صانها الفلاح جيلاً بعد جيل

★ ★ ★

بالعهد كان فيه والخير يزهو برعما
ولآمال صغار ، لم يحلقن بعيدا
وساعات من اللهو البريء
ملأت بهجتها القرية بشراً ورضاء
أشرقت في كل عين
وزهت في كل غصن
كلها قد ولت اليوم إلى شط دفيء
أجدبت من بعدها القرية روحاً ورواحا

★ ★ ★

قريتي . . يا منهل الصفو المقيم المشرق
هذه الوحشة تحكي قصة الباغي عليك
كلما سرحت طرفي ، بين أطلالك والأفق البعيد
لم أجد إلا ظلاماً مطبقاً في كل ركن
وظلالا موحشات
بين غابات وريح صرصر .

★ ★ ★

أين عشي الدافئ ، الكوخ الصغير
ظللته دوحة فنيانة
لم أجد منه ولا حتى الرسوما
ذكريات تبعث الماضي حنيناً وأنينا

★ ★ ★

بين تجوالي بأرض لم تزل أرض الشقاء
بين أحزاني ، ولي حظ من الحزن الكبير
كان لي في خاطري بعض الأماني
إنني أحظى بمثوى بين هاتيك الظلال الهادئه
ليرى القلب المعنى الراحة الكبرى أخيرا .

من كتاب «روائع من الشعر الإنجليزي» ترجمة وتقديم : د . زاخر غبريال



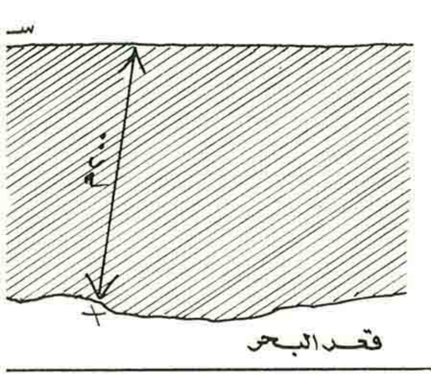
ونفحة من ذوي السلطان تخلقهم
كنفخةٍ خَلقهم قبل في النعم
لكن أهل القرى الأبطال كلهم

فخر البلاد الشداد العَزْم والهمم
إذا همو ذهبوا وانثل صرحُهم

وغالهم غائلُ الأرزاء والسقم
فلا مردّ لهم . . . لا شيء يخلفهم
من بعدهم . . كل شيء بات كالعَدَم

ديوان الهمشري جمعه وحققه وقدم له صالح جودت

الجـــرف القاري



الجرف القاري ـ ويقال له أيضاً الرصيف أو الإفريز القاري ـ تعبير جديد دخل اللغة العربية بعد الحرب العالمية الثانية كترجمة لتعبير «Continental Shelf» بالإنكليزية وتعبير «Le Plateau Continental» بالفرنسية ومعناه: «الامتداد البري لإقليم الدولة حتى مسافة معينة تحت سطح البحر»، ويقول آخر هو امتداد التراب الإقليمي البري للدولة تحت سطح البحر حتى انتهاء هذا الامتداد.

وقد اختلف الفقهاء في تحديد **عرض الجرف** أو الإفريز القاري لأنه يختلف بين كل شاطئ وآخر بحسب الطبيعة الجغرافية والتضاريسية لأرض الدولة، وقد حدده بعض **فقهاء أميريكا اللاتينية** بعرض يتراوح بين ١٢ و ٢٠٠ ميل بحري، ثم جاءت **اتفاقية جنيف عام ١٩٥٨م**، بخصوص قانون البحار، فقررت أن يكون امتداد الجرف القاري حتى الوصول إلى المياه التي عمقها ٢٠٠م، عن السطح (**انظر الرسم المرفق**).

وقضية الجرف القاري مرتبطة باكتشاف ثروات أعماق البحار وتقدم الوسائل التقنية لاستغلال هذه الثروات وخاصة في مجال **البترول والفلزات المعدنية**، ولذلك لم تكن مشكلة الجرف القاري مطروحة ولم يكن أحد يتكلم عنها قبل بداية القرن العشرين.

في بداية هذا القرن تمكنت **الولايات المتحدة الأميريكية** من استثمار بعض الثروات الشاطئية في **ولايتي كاليفورنيا ولويزيانا**، وبعد ذلك طالبت **روسية القيصرية** في ٢٩ أيلول (سبتمبر) ١٩١٦م، بأن تكون لها السيادة على الجزر غير المسكونة في شمال **سيبريا** على أساس أنها امتداد لإقليمها القاري تحت البحر.

ثم جرت الإشارة إلى كيفية الاتفاق على استثمار مسافات غنية بالبترول تحت سطح البحر في **خليج «باريا»** وذلك في بنود معاهدة وقعتها كل من **فنزويلا وبريطانيا** (التي كانت تستعمر غويانا البريطانية) بتاريخ ٢٦ شباط (فبراير) ١٩٤٢م.

الجرف القاري في القانون الدولي

ولكن الجرف القاري لم يبرز في القانون الدولي إلا بعد

بقلم: د. إحسان هندي

تصريح الرئيس الأميريكي، هاري ترومان، في ٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٤٥م، الذي يعتبر عن حق بمثابة «صك ولادة» لأحكام الجرف القاري في القانون الدولي. وينص «التصريح Proclamation» المذكور على أن الولايات المتحدة الأميريكية تملك حقاً حصرياً على جميع الثروات البيولوجية والاقتصادية الموجودة في الرصيف القاري المحاذي لشاطئ الولايات المتحدة حتى لو امتد هذا الرصيف إلى ما تحت مياه البحر العالي High Sea (أي المياه الدولية).

وبعد التصريح الأميريكي هذا تتابعت التصريحات وكان أهمها تلك التي صدرت عن **كوبا** (١٩٤٥م)، **والأرجنتين** (١٩٤٦م)، **والشيلي والبيرو والإيكواتور** (١٩٤٧م)، **وكوستاريكا** (١٩٤٨م)، **وبريطانيا** بخصوص أملاكها في أميريكا اللاتينية (١٩٤٨م)، **والمكسيك** (١٩٤٩م)، **والبرازيل** (١٩٥٠م).

وفي المنطقة العربية صدرت تصريحات مماثلة عن كل من **إيران والمملكة العربية السعودية والبحرين والكويت** في عام (١٩٤٩م).

الجرف القاري حق حصري

والملاحظ أن تصريح ترومان، الذي أصبح بتكراره عُرْفاً دولياً، استخدم تعبير «**حق حصري**» ولم يستخدم كلمة «سيادة» لوصف الحق



الذي تمارسه الولايات المتحدة على رصيفها القاري ، ومعنى هذا **أن الرصيف القاري لا يعتبر جزءً لا يتجزأ من إقليم الدولة** وهذا ما يميزه عن (**المياه الإقليمية**) التي تمتد إلى ١٢ ميلاً بحرياً ، والتي تتمتع عليها الدولة الشاطئية بجميع حقوق السيادة ما عدا **حق المرور البري** Passage Inoffensif لسفن الدول الأخرى .

وبقول آخر فإن الدولة الشاطئية التي يتصل بها الجرف القاري تعتبر ذات حق حصري عليه للتفتيش عن ثرواته الاقتصادية (بترول ، معادن ، غاز . . .) والبيولوجية (أسماك ، إسفنج . . .) ، ولكن هذا الحق لا يغير الطبيعة القانونية للمياه التي تعلو الجرف بحيث تبقى هذه المياه مياه دولية إذا كانت تشكل قسماً من البحر العالي وتخرج عن حدود المياه الإقليمية للدولة أو الدول الشاطئية . وقد تأكد هذا الحكم في أحد القرارات التي أصدرتها إحدى المحاكم الأميركية والذي يقول في إحدى فقراته :

« إن صفة البحر العالي للمياه التي تقع فوق الجرف القاري يجب ألا تتأثر أبداً »[1] .

اتفاقية الجرف القاري

ومن هذا نستنتج أن الجرف القاري هو مفهوم جغرافي قبل كل شيء ، وقد يمتد إلى ما بعد المياه الإقليمية فيشمل جزءً من أرض البحر العالي وما تحتها حتى يصل عمق الماء ٢٠٠ متر من السطح .

وقد ظل **القانون العرفي** (غير المكتوب) يحكم قواعد الجرف القاري في القانون الدولي حتى عام ١٩٥٨ م ، حيث تم عقد مؤتمر بخصوص (**قانون البحار**) في مدينة جنيف ذلك العام ، وقد توصل ذلك المؤتمر لعقد أربع اتفاقيات دولية إحداها خاصة بالجرف القاري .

والاتفاقية المذكورة تقرر حق الدولة الشاطئية باستكشاف واستثمار الثروات الطبيعية في جرفها الإقليمي ، وهو حق حصري لا يمكن لأي دولة استخدامه حتى لو لم تستخدمه الدولة الشاطئية نفسها ، وليست بحاجة في سبيل ذلك إلى إصدار إعلان (كما فعل ترومان عام ١٩٤٥ م) أو إلى احتلاله فعلاً والبدء باستثماره (المادة ٢ ـ ف٣ من الاتفاقية) .

وتضيف المادة ٣ من الاتفاقية نفسها أن الحقوق الممنوحة للدولة الشاطئية (التي تتصل أراضيها بالجرف القاري وصاحبة الحق باستثماره) يجب ألا تؤثر على نظام المياه التي تعلو الجرف القاري كمياه دولية ولا تمنع استخدام الفضاء الجوي الذي يقع فوق هذه المياه .

وتضيف المادة ٥ أنه يحق للدولة الشاطئية إقامة منشآت لاستثمار ثروات الجرف القاري وإحاطتها بمنشآت أمنية بشرط ألا تعيق هذه المنشآت أعمال الصيد والملاحة والبحث العلمي في البحر الحر التي تقوم بها الدول الأخرى . **وإذا احتاجت واحدة من الدول الأخرى لاستخدام بعض قاع الجرف القاري لأعمال البحث العلمي فيجب أخذ الإذن بذلك من الدولة الشاطئية صاحبة الحق على الجرف القاري** (الفقرة الثامنة من المادة ٥ في الاتفاقية) .

والحقيقة أن اتفاقية جنيف لعام ١٩٥٨ م ، لم تُقَنِّنْ (تُدَوِّنْ) كل أحكام الجرف القاري ولم تضع مبادئ جازمة بخصوص كيفية تحديد الجرف القاري من حيث العرض من حيث كيفية تقسيمه بين الدول المتجاورة والدول المتقابلة ولذلك تثور كثير من الخلافات بين الدول في هذا المجال .

وآخر نزاع دولي نشب بشأن الجرف القاري هو النزاع حول الجرف القاري لبحر الشمال الذي نظرت به محكمة العدل الدولية في لاهاي عام ١٩٦٩ م ، وكذلك الخلاف بين تركية واليونان بخصوص الجرف القاري لبحر إيجة .

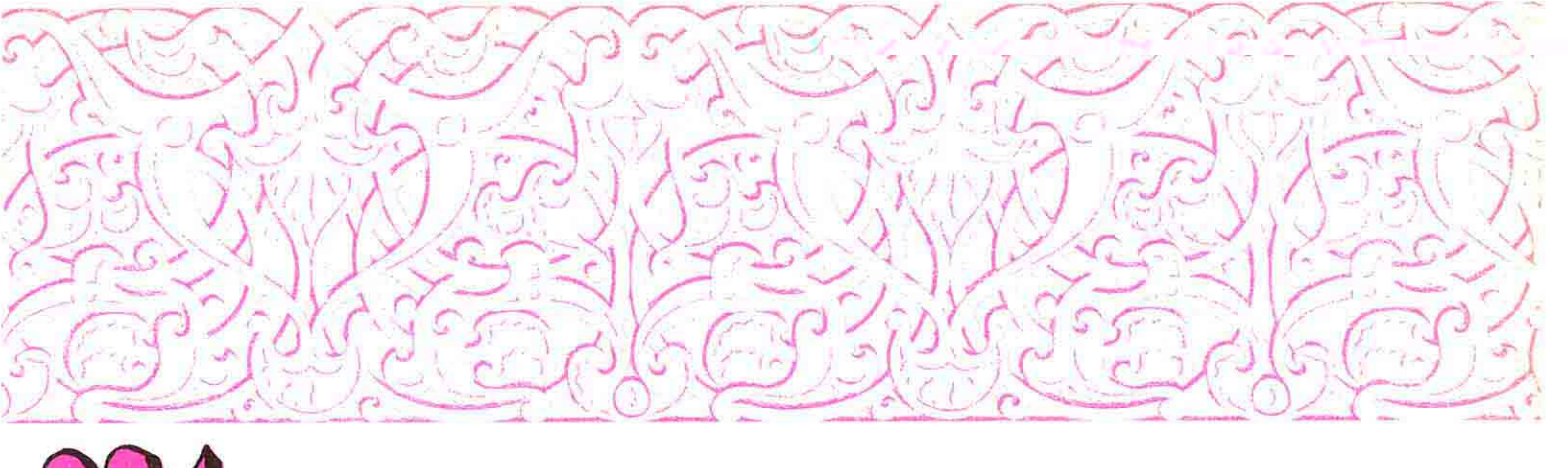
الجرف القاري في المحيط العربي

وفي المحيط العربي هناك النزاع على الجرف القاري بين **قطر والبحرين** ، وبين **ليبيا وتونس** ، وبين **ليبيا ومالطة أيضاً** .

وبالنسبة للخلاف الأخير (بين ليبيا ومالطة) قد يعتقد البعض أن الحل العادل هو أخذ خط الوسط بين البلدين (أي تقسيم المياه بينهما مناصفة) ولكن النظرة المتعمقة للأمور تجعلنا نلقي السؤال التالي : هل من العدل أن يكون الجرف القاري (أي امتداد البر تحت الماء) لجزيرة صغيرة ، أو مجموعة من الجزر الصغيرة ، مثل مالطة يعادل في امتداده الجرف القاري لليبيا التي يزيد عمقها البري عن ١٠٠٠ كيلومتر؟ لعلّ محكمة العدل الدولية تجيبنا على هذا السؤال في حالة رفع الخلاف الليبي المالطي إليها في المستقبل القريب !

الهوامش

1 - Matson... V./U.S-5 Zune 1956, in Lauterpacht: «International Law Report» - 1956 - P. 128.



حجة

﴿ ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾

(سورة آل عمران)

بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة

رفع إبراهيم عليه السلام يديه ، ودعا ربه قائلاً :

﴿ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ (سورة إبراهيم ، الآية ٣٧) .

ثم ترك زوجته (**هاجر**) وابنه (**إسماعيل**) طفلاً رضيعاً ، مع جراب من التمر . وشنّة فيها ماء . وغادر المكان .

ولما عاد عليه السلام بعد سنين إلى حيث ترك زوجته وابنه ، عند مكان الكعبة الذي بوّأه الله له ؛ فوجئ بالخيام قد شُدت هنالك أطنابُها . . ودُقّت أوتادها . . والطير رائحة غادية حول عين ماء غزيرة مباركة . فجّرتها قدم **جبريل الأمين** ، بقدرة الرحمن رحمةً (بهاجر) الساعية بين **الصفا والمروة** . بانتظار أن تحين ساعة ابنها الرضيع الظامئ ولا تراه . ولحكمة إلهية . . ذات نظرة مستقبلية ، تستهدف استقطاباً فتجمعاً يستحيل مدينة عامرة محرّمة . يتوافد إليها الناس من كل حدبٍ وصوب . في كل عصر وأوان .

وأيقن إبراهيم الخليل بأن الله قد أجاب له دعاءه الذي توجه به إليه قبل رحيله . وبقي عليه هو أن يبدأ بالإجابة العملية لأمر الله تعالى . ويخطو الخطوة الأولى فيما أراده الله أن يتم على يديه ويدي ابنه إسماعيل . . الذي غدا الآن شاباً . فيتم بذلك حدث من أهم أحداث تاريخ البشرية .

[illegible] الله سبحانه . فكان إبراهيم يبني . . وإسماعيل يناوله الحجارة ، فيضعها عليه السلام بعضها فوق بعض رضْماً بلا مَلاطٍ .

﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾ (سورة البقرة ، الآيتان ١٢٧ ـ ١٢٨) .

ثم حفر الخليل في باطن الكعبة جُباً قرب الباب وعلى يمين الداخل ، ليكون خزانة لها ، يُجمع فيه ما يلقى إليها من هبات . وجعل علوَّ البيت ـ كما يذكر **ابن إسحق** ـ تسعة أذرع . ولم يجعل له سقفاً . وجعل العرض ما بين الركن الأسود والركن الشامي اثنين وثلاثين ذراعاً . وما بين الركن الشامي والركن الغربي عشرين ذراعاً . كذلك بين الركنين الغربي واليماني واحداً وثلاثين ذراعاً . وما بين الركنين الأسود واليماني عشرين ذراعاً .

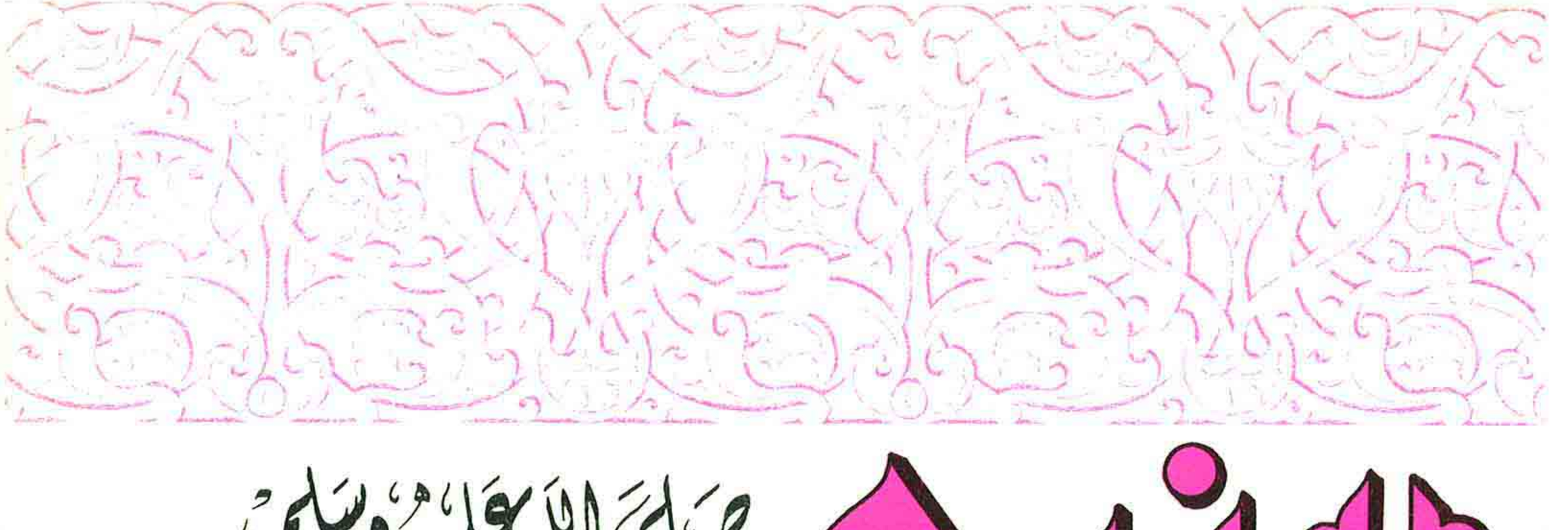
وليس ثمة شك في أن **الكعبة المشرفة هي أول بيت وضع للناس لعبادة الله سبحانه وتعالى** . وذلك ما يؤكده الله في محكم تنزيله . إذ يقول وهو أصدق القائلين :

﴿ إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين . فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ (سورة آل عمران ، الآيتان ٩٦ ـ ٩٧) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة :

« إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض . فهو حرام [illegible] القيامة » .

ولما فرغ إبراهيم وابنه من بناء البيت ، أتاهما جبريل عليه السلام ،



النبي صلى الله عليه وسلم

بقلم : محمد حيان السمان

فأمرهما بتطهيره ثم علمهما المناسك . وبلّغ إبراهيم أمر الله سبحانه ، أن أذّنْ في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق .

ورفع الخليل صوته الضعيف مؤذّناً باسم الله .

مكانة الكعبة قبل الإسلام

اكتسبت الكعبة تعظيماً ومهابة وإجلالا من العرب في أصقاع جزيرتهم . **فهي** بيت الله الحرام الذي أشاده أبوهم إبراهيم وابنه إسماعيل ، وهي التي يتجهون إليها كل عام حجاجاً وتجاراً . فالأمن الذي يُتاح لهم حولها يجعلهم في حِلٍّ من القلق على النفس والمال .

وكانوا يحجّون إلى مكة ويعتمرون أيضاً . فيلبّون ويطوفون ويَسْعون ويقفون على **عرفة ومزدلفة** ويرمون الجمار ويمسحون **الحجر الأسود** ، وينحرون **الهَدْيَ** على إرث إبراهيم الخليل .

وكان الظّاعن من مكة (يحتمل معه حجراً من حجارة الحرم . تعظيماً للحرم وصبابة بمكة . فحيثما حلّوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة ، تيمّناً منهم بها ، وصبابة بالحرم ، وحباً له)[1] .

وكان أهل مكة لا يبنون بيوتهم بالقرب منها ، أو على شاكلتها تكعيباً . وكانوا يقسمون بها ، ويمسحون أيديهم بحجارتها تأكيداً منهم على تنفيذ أمر ما . كما حدث عندما اختلف (**بنو عبد الدار**) مع (**بني عبد مناف**) حول أمر الكعبة ووظائفها . فأخرج بنو عبد مناف جفنةً في جوفها طيب ، فغمسوا أيديهم بها ومسحوا بالكعبة فكانوا (المطيّبين) . أما بنو عبد الدار فقد فعلوا ذلك مع جفنة فيها دم فكانوا (لعقة الدم)[2] .

وكانت قرارات زعماء مكة تأخذ صفة الشرعية والتقديس ، إذا ما نُسخت هذه القرارات على صحف ، وعُلّقت هذه الصحف في جوف الكعبة .

ولم يقتصر تعظيم الكعبة والصبابة بها على العرب ، بل امتد ذلك إلى العجم . فكان **المصريون والهنود والفرس** يقدسونها ويعظمونها ، (كما اشترك النصارى واليهود والمشركون في تعظيمها واحترامها ، واتخذوها معبداً كل يعبد ربه فيه)[3] .

ثم إن القبائل العربية القاطنة في مكة نصبت أصنامها حول الكعبة ، وفي داخلها . كما فعلت **قريش** التي كانت تطوف بالكعبة وهي تقسم بآلهتها قائلة :

(واللات والعزّى . . ومناة الثالثة ، فإنهن الغرانيق العلى . وإن شفاعتهن لتُرتجى)[4] .

يقول **ابن الكلبي** :

« ولما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ، دخل المسجد والأصنام منصوبة حول الكعبة . فجعل يطعن بسِيَةِ قوسه في عيونها ووجوهها ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل ! إن الباطل كان زهوقاً » . ثم أمر بها فكفئت على وجوهها ثم أخرجت من المسجد فحرّقت »[5] .

قريش والكعبة

وذات سنة ، في الشهر الحرام ، قَدِمَ إلى مكة حاجاً ، من أرض

(**بني عذرة**) من أطراف الشام ، رجلٌ سيكون له ذات يوم شأن عظيم ، وسيشرّف قومه ، ويُعلي من شأنهم ، بين العرب في شبه جزيرتهم ، كبداية لشأن أهم وأعظم . . وشرف أشد تألقاً وقدراً . . سيمنحهم إياه مدى الدهر والزمان أحد حفدة هذا الرجل . . نعني **النبي محمد صلى الله عليه وسلم** .

وكان ذلك الرجل وهو (**زيد بن كلاب بن مرة**) قد غادر مكة رضيعاً مع أمه (**فاطمة بنت سعد**) التي تزوجت بعد وفاة أبيه من (**ربيعة بن حرام العذري**) . ونشأ زيد في مضارب بني عذرة في شمالي الجزيرة العربية ، بعيداً عن موطن قومه عند الحرم في مكة . ولذا سمي (**قصياً**) .

ولما علم بموطن قومه . . أتاهم في موسم الحج من تلك السنة . وكان أمر الكعبة قد آل من بعد (**جُرْهم**) وأبناء إسماعيل بن إبراهيم ، إلى **قبيلة** (**خزاعة**) . فكان في يد (**حليل بن حبشية الخزاعي**) . فجاء **قصي** حُلَيْلًا هذا وطلب منه يد ابنته (حُبّى) فقبل (حُليل) إذ عرف أن (قُصيّاً) من قريش ، وزوجه ابنته ، وبقي قصي في مكة[٦] .

يقول **الطبري** في تاريخه عن رواية **لابن إسحق** :

« ولما انتشر ولده — أي قصي — وكثر ماله ، وعظم شرفه ، هلك (**حليل بن حبشية**) ، فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من **خزاعة وبني بكر** . وأن قريشاً فَرْعة إسماعيل وإبراهيم وصريح ولده . فكلّمَ رجالا من قريش **وبني كنانة** ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة »[٧] .

واستنجد قصي بأخيه من أمه (**رزاح بن ربيعة**) في الشام . فقام هذا (بقُضاعة) ، وأتى مكة منجداً أخاه . ثم كان لقريش أمر الكعبة . إذ جمع (قصي) شتاتها من شعاب مكة حيث تفرق أبناؤها ، وبنى « **دار الندوة** » واستلم الوظائف كلها ، وجعل لنفسه مكانة عظيمة في قومه ، ولقومه مكانة عظيمة بين العرب .

يقول (**ابن قتيبة**) :

« أما قصي بن كلاب فاسمه زيد . . وكان يسمى « **مجمعاً** » وذلك أنه جمع قبائل قريش فأنزلها مكة ، وبنى دار الندوة ، وأخذ المفتاح من خزاعة »[٨] .

وهكذا آل أمر الكعبة إلى قبيلة قريش . فكانت في عبد مناف (**الرفادة والسقاية**) أي اطعام الحجيج وسقايتهم . وفي عبد الدار (**الحجابة والنسء والإجازة**) وهي أمور تتعلق بالكعبة والحج والأشهر الحرم[٩] .

وقد ميَّزت قريش نفسها عن باقي القبائل العربية في أيام الحج . فقد حرّموا على أنفسهم طبخ السمن ومعالجته ما داموا حرماً . ومنعوا غيرهم من أن يأكل من غير طعام الحرم . وكانوا لا يدخلون البيوت وهم محرمين ، ولا يستظلون أيام مِنى إلا بيوت من أدم . كما حرّموا على غيرهم الطواف حول الكعبة إلا بثيابهم هم التي يلبسونها (ثياب الحُمْس المتشددين في الدين من قريش) .

كذلك كانوا لا يقفون على عرفة ولا يفيضون منها . فقالوا : نحن قَطِينُ الله فلا نخرج من حرمه .

وقد وقف الرسول الكريم في موسم الحج قبل هجرته ، على عرفة ، كي يجذب إليه نظر القبائل فيدعوهم للإسلام . عن (**جبير بن مطعم**) قال :

« ضللتُ بعيراً في يوم عرفة ، فخرجتُ أقصه وأتبعه بعرفة ، إذ أبصرتُ محمداً بعرفة ، فقلتُ : هذا من الحُمْس (قريش) ! فما يقفه ها هنا ؟! فعجبتُ له »[١٠] .

عمرتا الرسول وحجته

ويشاء الله تعالى أن يطلع نجم **أحمد** على الكون في العام الذي هدد (**أبرهة**) فيه الكعبة ، وأتى بفيلته يريد هدمها . لكن قدرة رب البيت كانت له بالمرصاد . فارتد على أعقابه وقد تمزّق جيشه شر ممزق .

وذهبت قريش كل مذهب في الضغط على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، بعد الدعوة لدين الحق والإسلام ، وذلك بعد **عام الفيل** بأربعين عاماً ونيّف . وازداد أذى الكفار قسوة وشدة بعد **عام الحزن** ، حيث فجع الرسول الكريم بعزيزين ونصيرين كانا له السند القوي والعزاء الرحيم ، فيما يلقاه من عنت قريش . . وأذى سفهائها وهما عمّه (**أبو طالب**) . . وزوجه (**خديجة أم المؤمنين**) .

وبعد عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من **الطائف** إذ خَذَلَهُ **أهلُها** . . وتقاعسوا عن نصرته ؛ أخذ ينتظر موسم الحج من كل عام ليدعو خلاله القبائل الوافدة إلى مكة للإسلام . حتى كان اللقاء مع رهط من **أهل يثرب** . . فبيعة **العقبة الأولى** . . ومن ثم الثانية في العام الثاني . ثم كانت **هجرة النبي عليه السلام إلى المدينة المنورة** مع الصديق . . **أبي بكر** رضي الله عنه .

وهناك في المدينة المنورة أسس الرسول الكريم دولته على أسس من العدل والرحمة والمؤاخاة . هذه الدولة التي ستتسع شيئاً فشيئاً . . وتمتدّ في الجهات الأربع ما وسع الأجساد أن تحتمل حثَّ الإيمان والرغبة بالنصر أو الشهادة . وكانت أجساداً جلدة مضيئة بنور الإيمان والإنسانية . خرجت من المدينة سرايا وغزوات ، في سبيل الله ورسوله ، وانساحت في البلاد تنشر الرسالة ، وتدك معاقل الوثنية والكفر . . . ومن هناك . . من المدينة المنورة خرج الرسول وصحبه أيضاً للعمرة والحج .

عمرة القضاء (في السنة السابعة للهجرة)

كانت أولى انطلاقاته صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة يريد زيارة البيت والعمرة في ذي القعدة من سنة ست . فأهاب بأصحابه فلبّوا . وساقوا معهم الهَدْيَ . وأحرموا بالعمرة ليعلم الناس أنه إنما جاؤوا زوّاراً لهذا البيت معظمين له[١١] .

ولما علمت قريش بذلك خرجت تريد صدَّ رسول الله وأصحابه عن مكة ، أو فالإقتتال معه . وقد لبس رجالُها جلودَ النمور . . وساقوا معهم نساءهم وصبيانهم . . ولم يَرد الرسول حربهم ، لأنه لم يخرج لحرب . فغيّر

طريقه حتى أتى **الحديبية** فنزل هناك .

وبعد مفاوضات مع قريش ، عقد **صلح الحديبية** بين الطرفين . وكانت (**خزاعة**) حليف النبي صلى الله عليه وسلم ، و (**بنو بكر**) حليف قريش . وكان الذي مثّل قريشاً في المفاوضات (**سهيل بن عمرو**) .

يذكر **البخاري** في صحيحه من طريق (**فليح بن سمعان**) عن (**نافع عن ابن عمر**) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج معتمراً فحال الكفار بينه وبين البيت . فنحر هديه ، وحلق رأسه بالحديبية . وقاضاهم على أن يعتمر في العام المقبل . . ولا يحمل سلاحاً إلا سيوفاً ولا يقيم بها إلا ما أحبّوا[١٢] .

وفي ذي القعدة من **السنة السابعة للهجرة** خرج الرسول وصحبه من المدينة . وقد ساقوا معهم الهَدْي ، يريدون مكة للعمرة . مكان العمرة التي صدّتهم قريش عنها في العام الذي قبله . واستعمل الرسول على المدينة (**عويف بن الأضبط الدئلي**) . ولما علمت قريش بقدوم المسلمين خرجت من مكة إلى شعابها . . تنفيذاً لبَنْدٍ في صلح الحديبية ينص على خروج الكفار من مكة ريثما يؤدي المسلمون شعائرهم .

ودخل المسلمون مكة ، والفرحة بادية على وجوههم الطافحة بالبشر ونور الإيمان وهم يهللون جميعاً مُلبّين مكبّرين .

وعلمت قريش أن رسول الله وأصحابه في عسر وجهد وحاجة . فاصطفوا له عند دار الندوة يريدون أن يروه وأصحابه ، وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمر . . فاضطبع بردائه[١٣] . وأخرج عضده اليُمنى ثم قال :

« **رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة** » ! (ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا واراه البيتُ منهم واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الأسود . ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ، ومشى سائرها)[١٤] . وكانت من بعده سنّةً في الطواف .

وقد تزوج رسول الله في عمرته هذه من (**ميمونة بنت الحارث**) أخت زوجة **العباس بن عبد المطلب** . ثم غادر الرسول وأصحابه مكة بعد ثلاثة أيام من دخولها ، قافلين إلى المدينة .

العمرة من الجعرانة (في السنة الثامنة للهجرة)

كان **فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة** . والسبب المباشر للفتح كما تذكر المصادر العربية هو أن قريش قد وقفت إلى جانب (بني بكر) ضد (بني خزاعة) حلفاء المسلمين في صلح الحديبية . ولما جاء (**عمرو بن سالم الخزاعي**) الرسولَ مستنجداً به ، أجابه عليه الصلاة والسلام : « نُصرتَ يا عمرو »[١٥] . ثم قاد المسلمين . فتم لهم **فتح مكة في رمضان** ذلك العام .

ولما اطمأن الناس . . ونزل الرسول مكة ، خرج حتى جاء البيتَ ، فطاف به سبعاً على راحلته . يستلم الركن بمحجن في يده[١٦] .

ثم خرج الرسول صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة لحرب بعض القبائل التي جمعها (**مالك بن عوف النصري**) وأهاب بها لغزو الرسول في مكة . والتقى الطرفان في (**وادي حنين**) ، وكان النصر للمسلمين بعد محنة عسيرة . ثم لحق الرسول وأصحابه بفلول (**ثقيف**) الذين دخلوا الطائف وأغلقوا عليهم أبوابها . فحاصرهم المسلمون بضعاً وعشرين ليلة . ثم انصرفوا عنهم . ونزل الرسول (**الجعرانة**) فيمن معه من الناس[١٧] .

وبعدما فرغ عليه الصلاة والسلام من توزيع غنائم حُنين ، خرج من (الجعرانة) معتمراً ، وذلك في ذي القعدة من السنة الثامنة . وفي حديث عن (**مخرش الكعبي**) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من (الجعرانة) ليلاً حين أمسى معتمراً . فدخل مكة ليلاً يقضي عمرته . ثم خرج من تحت ليلته فأصبح بـ (الجعرانة)[١٨] . وفي هذا تفسير لسبب نفي البعض أن يكون الرسول قد خرج معتمراً من (الجعرانة)[١٩] .

وعاد الرسول الكريم إلى المدينة في بقية ذي القعدة ، أو في أول ذي الحجة[٢٠] .

وفي السنة التاسعة للهجرة خرج أبو بكر رضي الله عنه بالمسلمين إلى الحج ، وبقي الرسول صلوات الله عليه في المدينة ، رغبة منه أن يرد إلى المشركين عهوده لهم قبل أن يلقاهم في الحج ، وبسبب وجود حجاج آنذاك لا يزالون يتبعون مناسك الجاهلية في الحج ، وليس إلى ردهم عن ذلك أمام الرسول من سبيل . . بسبب عهود بينه وبينهم كما ذكرنا ، فآثر عليه الصلاة والسلام أن لا يحج معهم .

وبعد خروج المسلمين إلى الحج ، تنزّلت على النبي صلى الله عليه وسلم **سورة التوبة** التي يقول الله سبحانه فيها :

﴿ وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسولُه فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم . إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين . فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم



واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴾ (سورة التوبة ، الآيات ٣ ــ ٥) .

ويقول الله تعالى في هذه السورة :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم ﴾ (سورة التوبة ، الآية ٢٨) .

وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسمع المشركون هذه الآيات . فبعث علياً رضي الله عنه إثر المسلمين . . فلحق بهم ببعض الطريق . ولما كان **يوم النحر** جمع الناس وتلا عليهم سورة التوبة . وقال كرم الله وجهه بعد الانتهاء من التلاوة :

« **أيها الناس . إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان**[٢١] **ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته . وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم** »[٢٢] .

وعاد المسلمون إلى المدينة بعد أن أتموا شعائر الحج .

حجة الوداع (في السنة العاشرة للهجرة)

وفي ذي القعدة من السنة العاشرة أذّن الرسول صلى الله عليه وسلم في الناس أنه حاج هذا العام . ولما سمع المسلمون في شبه الجزيرة العربية بذلك (قدمَ المدينة بشرٌ كثير منهم ، كلهم يلتمس أن يأتمَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ويعمل مثل عمله)[٢٣] .

واستعمل الرسول على المدينة (**أبا دجانة الساعدي**) أو (**سباع ابن عرفطة الغفاري**)[٢٤] . ثم خرج مع من معه . وقيل بلغوا مائة ألف ، ومعهم النساء والولدان ، لخمسٍ بقين من ذي القعدة . وقد ركب رسول الله ناقته (**القصواء**) .

قال يحيى : « أخبرنا **حماد بن زيد** ، عن **عمرو بن دينار** عن **طاوس** عن **ابن عباس رضي الله عنهما** قال : وقّت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة (**ذا الحليفة**) ، ولأهل الشام (**الجحفة**) ، ولأهل نجدٍ (**قرن المنازل**) ، ولأهل اليمن (**يلملم**) قال : فهن لهن ولمن أتى عليهن ومن غير أهلهن ، ممن أراد الحج والعمرة ، فمن كان دونهن من أهله . وكذا فكذلك حتى أهل مكة يهلّون منها »[٢٥] .

وذو الحليفة ماء من مياه (بني جشم) بين المدينة ومكة ، حدّده الرسول الكريم صلوات الله عليه ميقاتاً لإحرام أهل المدينة بالعمرة والحج ، ويبعد عن مكة مسافة ٤٥٠ كيلومتراً تقريباً .

ولما وصل المسلمون إلى (ذي الحليفة) صلى الرسول بهم في المسجد ، ثم أحرم بالعمرة والحج ، وركب ناقته القصواء ، والمسلمون حوله يعملون مثل عمله .

عن (**عبد الله بن عمر**) رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استوت به (القصواءُ) قائمةً عند مسجد ذي الحُليفة أهلَّ فقال : « **لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك . لا شريك لك** »[٢٦] .

وكان الناس يلبون مع رسول الله ، وإنهم كانوا يزيدون على رسول الله ــ في رواية أخرى ــ فيقولون (لبيك ذا المعَارج . لبيك ذا الفواضل) فلم يردّ الرسول صلى الله عليه وسلم شيئاً منه . ولزم تلبيته[٢٧] .

وفي صباح الرابع من ذي الحجة وصل المسلمون إلى مكة . فتوضأ الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما في حديث عن **عائشة رضي الله عنها** ، ثم استلم الركن الأسود فطاف مضطبعاً فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً . ثم نفذ إلى **مقام إبراهيم عليه السلام** فقرأ **﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلّى ﴾** . ثم صلى ركعتين قرأ فيهما **﴿ قل هو الله أحد ﴾** و **﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾** .

وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك إلى **الصفا** فلما دنا منها قرأ **﴿ إن الصفا والمروة من شعائر الله ﴾** . ثم سعى عليه الصلاة والسلام بين **الصفا والمروة** . فكان يستقبل البيت إذا اعتلاهما ؛ موحّداً مكبراً داعياً ربه[٢٨] .

حتى إذا كان آخر طوافه على المروة قال : « **لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي معي ولجعلتها عمرة . فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل وليجعلها عمرة** » . فقام (**سراقة بن مالك**) وقال : يا رسول الله لعامنا هذا ؟ أم لأبد ؟! . فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابعه واحدة في أخرى وقال : « دخلت العمرة في الحج . . لا بل لأبد أبد »[٢٩] . وحلَّ المسلمون إلا النبي ومن معهم هدي .

ولما كان **يوم التروية** توجه المسلمون إلى **منى** فأهلّوا بالحج ، وصلى الرسول بمنى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر . وعند شروق الشمس أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فضُربت له قبة من شعر في (**نمرة**)[٣٠] . ثم أفاض عليه السلام من **مِنى** إلى **عرفة** دون أن يقف **بالمزدلفة** كما كانت قريش تفعل . ثم نزل بقبة نمرة . حتى إذا زاغت الشمس ركب ناقته حتى أتى بطنَ (**وادي عرنة**) فخطب الناس قائلاً :

« **أيها الناس . . اسمعوا قولي . فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً . أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم . . . كحرمة يومكم هذا . . وكحرمة شهركم هذا . وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم . وقد بلغت . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها . وإن كل ربا موضوع . ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أنه لا ربى . وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع .**

« أما بعد أيها الناس . فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً . ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم !

« أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقاً ، ولهن عليكم حقاً . لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه . وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة . فإن فعلن فقد أذن الله لكم أن تهجروهن في المضاجع ، وتضربوهن ضرباً غير مبرح . فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف .

« فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً : كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس ... اسمعوا قولي واعقلوه . تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة . فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه . فلا تظلمن أنفسكم . اللهم هل بلغت ؟ » . قال الناس : اللهم نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يرفع إصبعه إلى السماء : « اللهم اشهد » (٣١) .

وبعد أن صلى الظهر والعصر توجّه عليه الصلاة والسلام إلى (**الموقف**) عند الصخرات فبقي هناك مستقبلاً القبلة يدعو ربه حتى غروب الشمس . ثم أفاض من عرفات ، وقد شدَّ زمام (القصواء) حتى انثنى رأسها وهو يقول : أيها الناس ... السكينة .. السكينة .

حتى أتى المزدلفة فصلى هناك المغرب والعشاء . وبات بها . وعند الفجر صلى عليه السلام ثم ركب ناقته وتوجه إلى **المشعر الحرام** فاستقبل القبلة ودعا ربه وحمده ووحده . ثم توجه قبل طلوع الشمس إلى **الجمرة الكبرى** فرماها بسبع حصيات .. وهو يكبّر مع كل حصاة . ثم نزل (**وادي محسر**) وهو يقول : « لتأخذوا عني مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه » .

وانصرف الرسول صلى الله عليه وسلم إلى **المنحر** فنحر ٦٣ بُدنة بيديه الشريفتين وأكل من لحمها ، وشرب من مرقها . ثم أمر (**بمعمر ابن عبد الله**) فحلق له شعره وحلق كثير من الصحابة .. وقصَّر بعضهم .

ثم ركب الرسول فأفاض إلى البيت فطاف طواف الصدر ، وشرب من ماء زمزم وصلى الظهر ثم أكمل رميَ الجمرات في بقية **أيام التشريق** . وأفاض إلى **المحصب** فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء . ثم استراح قليلاً . وقام فطاف **طواف الوداع** عند السحر . ونادى بعد ذلك بالرحيل ، فعاد الجميع إلى المدينة .

الهوامش

(١) ابن الكلبي : الأصنام . تحقيق أحمد زكي ١٩٦٥م ، ص٦ من الكتاب .

(٢) نبيه عاقل : تاريخ العرب القديم . دمشق ١٩٧٥م ، ص٢٢٠ ــ ٢٢١ .

(٣) محمد نعمان الجارم : أديان العرب في الجاهلية ، مصر ١٩٢٣م .

(٤) من أجل هذه الأصنام راجع : ابن الكلبي : الأصنام ، نبيه عاقل : تاريخ العرب القديم .

(٥) ابن الكلبي : الأصنام .

(٦) الطبري : تاريخ الرسل والملوك . الطبعة الثانية ، طبعة دار المعارف بمصر ، ج٢ ، ص٢٥٤ ــ ٢٥٥ ، أيضاً : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص ١٢ .

(٧) الطبري : ج٢ ، ص٢٥٥ ــ ٢٥٦ .

(٨) ابن قتيبة : المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، طبعة دار المعارف بمصر ، ص٧٠ .

(٩) راجع أمر هذه الوظائف في : (تاريخ العرب القديم) نبيه عاقل ، من صفحة ٢٢٥ وما بعد .

(١٠) ابن هشام : السيرة النبوية . القسم الأول .

(١١) الطبري : ج٢ ، ص٦٢٠ .

(١٢) ابن كثير : البداية والنهاية ، الطبعة الأولى ص٢٣٠ من الجزء الرابع .

(١٣) اضطبع الرداء : أدخله من تحت الإبط الأيمن ثم رده على كتفه الأيسر فغطاه به .

(١٤) الطبري : ج٣ ، ص٢٤ .

(١٥) سيرة ابن هشام : القسم الثاني ، الجزء الرابع ، ص٣٧ ، طبعة مصر ١٩٣٦م .

(١٦) نفس المرجع السابق ، ص٥٤ .

(١٧) ماء بين الطائف ومكة ، وهي أقرب إلى مكة إذ تبعد عنها قرابة ١٦ كيلومتراً .

(١٨) ابن كثير : البداية والنهاية . ج٤ ، ص٣٦٦ .

(١٩) راجع : ابن كثير البداية والنهاية ، ص٣٦٥ ، وصحيح مسلم : كتاب الحج ، ج٤ .

(٢٠) ابن هشام : القسم الثاني ، ج٤ .

(٢١) كانت قريش لا تسمح بالطواف حول البيت إلا لمن يرتدي ثوباً من ثياب (الحُمْس) وهم من قريش . ومن لم يجد فيجب أن يطوف بالبيت عرياناً .

(٢٢) حياة محمد : محمد حسين هيكل .

(٢٣) عن راوية جابر رضي الله عنه : راجع صحيح مسلم (كتاب الحج) .

(٢٤) سيرة ابن هشام ، القسم الثاني (حجة الوداع) .

(٢٥) صحيح مسلم : كتاب الحج ، ص٥ .

(٢٦) نفس المرجع السابق .

(٢٧) راجع كُتيب (حجة النبي) من إعداد فضيلة الشيخ (محمد ناصر الدين الألباني) ، القاهرة ١٣٧٢هـ ، ص١٧ .

(٢٨) (حجة النبي) ، ص٢١ .

(٢٩) (حجة النبي) ، ص٢٣ ــ ٢٥ .

(٣٠) مكان يقع إلى الشرق من عرفة .

(٣١) راجع من أجل خطبة الوداع : تاريخ اليعقوبي : القسم الثاني ، سيرة ابن هشام : القسم الثاني ، البداية والنهاية : الجزء الخامس ، تاريخ الطبري : الجزء الثالث .



● التربية الصحيحة هي

الطفل العربي .. والتخلف العقلي

١٩٨١ م ، هو العام العالمي للمعاقين أو العاجزين . . ورمزه يعني (**القادرون والعاجزون يعيشون معاً في سلام**) والمعاقون عامة ، والطفل المعاق بوجه خاص توجد منهم حالات عديدة ولكل منهم ظروفه . . فمنهم الذي يعاني من فقد البصر أو السمع أو النطق ، ومنهم الذي فقد أطرافه ، أو المريض بشلل الأطفال أو المريض ببعض الأمراض المزمنة مثل الجزام والسرطان ، وأمراض القلب والروماتيزم . . ومنهم أخيراً المرضى بالتخلف العقلي وأنواعه . . وهذه الحالة الأخيرة تعتبر من أخطر هذه الأمراض .

إذ إن الكفيف مثلاً بعد تأهيله يستطيع أن يمارس عملاً ما يلائم ظروفه . . كما أن بعض الأمراض استطاع الطب التغلب عليها ، أو على الأقل التخفيف من حدتها ، واستطاع أصحابها أيضاً ممارسة الحياة على صورة ما . . أما المشكلة التي ما زالت تبحث عن حل أو علاج سريع فهي مشكلة « **التخلف العقلي** » . . وهذه المشكلة تستمد خطورتها من ازدياد نسبة المتخلفين في العالم كله . . فهو يصيب أطفال العالم كله ، سواء أطفال الدول المتقدمة أو النامية على السواء ، بالإضافة إلى أن علاج وتأهيل أصحاب هذا المرض يحتاج إلى جهود ضخم من مجموعات عمل في العديد من المجالات التربوية والصحية والطبية والاجتماعية والتأهيلية ، وأيضاً يحتاج إلى فترة زمنية طويلة للوصول إلى نتائج مرضية .

والمجلة مشاركة منها في عام المعاقين تقدم هذا التحقيق لقضية مرضى التخلف العقلي .

اليونسيف

في مقر منظمة الأمم المتحدة للأطفال (**اليونيسف**) دار حوارنا مع الأستاذة **جيهان صادق خبيرة الإعلام بالمنظمة .**

●● سألناها ما المهام الجديدة التي تقع على كاهل المنظمة اليوم ؟

● « عندما أنشئت المنظمة في عام ١٩٤٦ م ، بغرض رعاية الأطفال بعد الحرب العالمية الثانية سميت في ذلك الوقت باسم (**منظمة الأمم المتحدة للإغاثة العاجلة للأطفال**) . ثم رأت المنظمة أنه ما زال يوجد أطفال يحتاجون للعون والمساعدة مما أوجب تغيير دور المنظمة من الإغاثة العاجلة إلى المعونة الدائمة للأطفال في العالم وعليه أصبح اسمها



الطريق الأمثل لسلامة عقول أطفالنا .

(**منظمة الأمم المتحدة للأطفال ــ يونيسف ــ**) ورمزها يعني [**الأمومة والطفولة في جو من السلام**] .. وعليه تشتمل مهام المنظمة على صحة الطفل (**قبل وبعد ولادته**) وعلى التغذية والتعليم والشؤون الاجتماعية .. المعونات العاجلة في حالات المجاعات والكوارث الطبيعية (**إيطاليا**) والبشرية (**أفغانستان**) .. عن طريق مساندة المشروعات الحكومية .. وعدد الحكومات التي نساعدها عن طريق الاتفاقيات تبلغ ١١٠ دول نامية .

وعندما ترى المنظمة جانباً من الجوانب يحتاج لمعونة لرفع مستوى خدماته للطفل فتقوم المنظمة بلفت نظر الجهات الحكومية هذا وتتعاون معه في تحقيق هذه الخدمة .

كما تقوم المنظمة بتحسين الخدمات الموجودة المقدمة للطفل والعمل على سد النقص فيها » .

الخدمات

●● هل من مثال على الخدمات التي تقوم بها المنظمة لرعاية الطفولة ؟

● « تقوم المنظمة مثلاً على تدريب الطاقات المحلية الموجودة التدريب السليم .. فالطبيب الذي يتعامل مع الطفل نعطيه الخبرة الكافية ، والدراية اللازمة ليتمكن من معالجة الأطفال خاصة في المناطق النائية .. الاهتمام أيضاً بالدايات اللاتي يقمن بعملية الولادة (القابضة) حتى تتم ولادة الطفل في أحسن الظروف الصحية وذلك يأتي عن طريق التدريب واكتساب الخبرات الكافية .

ومن ناحية الاهتمام بالأم قبل الولادة فإننا نثير اهتمام المستشفيات لعمل الكشف الدوري على الحامل بالزيارات المنزلية التي تقوم بها الزائرات الصحيات لتوجيه الأم بواجباتها نحو نفسها ، ونحو الجنين ، ومعرفتها بكيفية العناية بالطفل ، وتطعيمه لوقايته من الأمراض .. ونركز هنا على التغذية الطبيعية (**الثدي**) لأهميتها » .

العام الدولي للمعاقين

●● بالنسبة لعام المعاقين .. متى أعلن .. ومن الذي اقترحه ؟

● « في ١٦ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٧٦ م ، أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة تحت قرار (١٢٣/٣١) أن عام ١٩٨١ م ، العام العالمي للمعاقين وكان **مندوب ليبيا الدائم لدى الأمم المتحدة** هو أول من اقترح هذا العام » .

●● وما أهم أهداف عام ١٩٨١ م ، عام المعاقين ؟

● « هي باختصار .. مساعدة المعاقين (**حركياً أو نفسياً**) للتكيف مع المجتمع .. مساندة المشاريع الأهلية والدولية لمساعدة وتدريب وإرشاد المعاقين .. تعليم الجمهور حقوق المعاق ، وذلك عن طريق الإعلام .. تشجيع طرق مكافحة الإعاقة .. مثال على ذلك تعميم تطعيم شلل الأطفال وتيسيره في كل مكان وبكل الوسائل لمكافحة انتشار المرض » .

المعاقون في العالم

●● ما أنواع الإعاقة ، وما عدد المصابين بكل نوع في العالم ؟

● « أولا نسبة المعاقين في العالم هي ١٠ ٪ ، والنسبة الكبيرة منهم يعيشون في الدول النامية . وأكبر نسبة منهم تشكل المعاقين حركياً ، ثم يأتي بعدهم المعاقون بالأمراض المزمنة ، ثم المتخلفون عقلياً ، وأخيراً المعاقون حسياً .

وحسب إحصائية منظمة الصحة العالمية فني كل مستشفى في العالم نجد أن ربع (**الأسرة**) مرضى بتخلف عقلي ، ويوجد في العالم ما بين ١٠ ــ ١٥ مليوناً **غير مبصرين** ، (٧٠٠) مليون معاق **بفقد السمع** .. (١٥) مليون معاق بإصابة في **المخ** ، (١٥) مليوناً في العالم يعانون من **الصرع** .

بالنسبة **لأمراض القلب** تكثر في الدول الغنية (المتقدمة) والإعاقة الناتجة عن الحروب للأسف آخذة في الازدياد » .

●● ما النشاط الدولي المتوقع خلال عام المعاقين ؟

● دلت الأبحاث الحديثة على وجود اضطرابات

● « نشاط مكثف بالطبع يتركز في . . عقد مؤتمر عالمي لمساعدة المعاقين . . وضع خطة طويلة المدى وتشجيع المعاقين لاشتراكهم في وضع هذه الخطة . . إثارة انتباه الدول الغنية تجاه الدول النامية . . عمل التقارير والدراسات . . إعطاء المعونة المادية والإدارية لنشاط هذا العام . . وضع الحلول للمعاقين في استعمال وسائل النقل . . تسهيل تبادل الخبرات في هذا المجال . . عمل طابع بريد للطفل المعاق .

وسوف تتعاون الوكالات التابعة للأمم المتحدة للمشاركة في هذا العام مثل منظمة الصحة العالمية . . وأخيراً وضع خطة إعلامية أثناء ١٩٨١ م ، بهدف شد انتباه العالم لأهمية هذا العام » .

التربية وعقول أطفالنا

يقول **الدكتور كينث آيل أستاذ علم الطب النفسي بجامعة بنسلفانيا** . . علينا أن نمهد لأبنائنا طريق سلامة العقل بالتربية الحازمة المطابقة لحقائق الحياة . . من هنا كان علينا أن نتعرف على المجهودات في مجال تربية الطفل العربي ، وعليه كان هذا الحوار مع . . **الأستاذ المستشار فؤاد نصحي مدير إدارة التربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** .

●● ما الأهداف التي ترمي إليها إدارة التربية بالمنظمة من خلال مجهوداتها في مجال التربية في الوطن العربي ؟

● « تقوم إدارة التربية بالمنظمة بجهودها لتمكين الوحدة الثقافية والتعليمية في الوطن العربي تحقيقاً لأهداف ميثاق الوحدة الثقافية العربية ودستور المنظمة ، وفي سبيل ذلك تضع البرامج والمشروعات التي تتفق مع استراتيجية تطوير التربية التي وضعتها المنظمة منذ عامين . . وتعني بصفة خاصة التخطيط التربوي ، والبحوث التربوية ، وتوحيد أسس المناهج ، وتطوير الأبنية المدرسية ، وتحديث مناهج التعليم من فترة ما قبل المدرسة وحتى التعليم الجامعي » .

●● وماذا قدمت إدارة التربية بالمنظمة للطفل العربي ؟

● « فيما يخص الطفل العربي عقدت إدارة التربية ندوة لتربية الطفل في مرحلة الحضانة في **مدينة الخرطوم** منذ عامين ، وتابعت في هذه الندوة ما تم تنفيذه في توصيات الحلقة الدراسية التي عقدت في **بيروت** بشأن العناية بالثقافة الوطنية للطفل العربي ، كذلك أعدت بعض الدراسات والبحوث والكتب الخاصة بتربية الطفل وتم طباعة معظمها ، وتزويد الجهات المسؤولة في أنحاء الوطن العربي بنسخ منها » .

●● ما نظرتكم إلى دور التربية بالنسبة للأطفال المعاقين ؟

● « أعتقد أن العناية بتربية الأطفال المعاقين هي أحد المجالات الهامة لرعاية المعاقين ، وأنه لا بد من الاهتمام الخاص من قبل الأسرة والمجتمع بتربية هؤلاء الأطفال ، وتوجيههم التوجيه الذي يسمح لهم بالتكيف مع المجتمع . . فالطفل الكفيف مثلاً يجب أن يعامل في المدرسة وفي المنزل معاملة لا تجعله شاذاً بين أقرانه ، بل تيسر له كل السبل لأداء دوره كطفل عادي ، لا تحرمه العاهات من العيش مع بقية أقرانه ، ولا تحرمه من استكمال دراسته .

وبالنسبة للأنشطة التي يزاولها الأطفال المعاقون فيجب برمجتها لتلائم ظروفهم . . وبهذا الصدد فقد سبق لإدارة التربية بالمنظمة أن أعدت بعض الدراسات الخاصة بتربية المعاقين في البلاد العربية وعقدت حلقتين دراسيتين حول هذا الموضوع الأولى في **القاهرة** عام ١٩٦٩ م ، والثانية في **الكويت** عام ١٩٧٣ م ، وكان من أهم الدراسات ما يتعلق بتأهيل المعاقين في الوطن العربي ، ودعم الأجهزة المحلية داخل كل بلد بما يكفل لها تربية المعاقين ورعايتهم بأفضل الطرق النفسية والتربوية والاجتماعية .

كذلك تناولت أبحاث الحلقتين فئات المعاقين المختلفة ، وتم استعراض تقارير من **معهد التربية الفكرية بالقاهرة ومعاهد التربية الخاصة بالكويت والتعليم الخاص بالسعودية** .

وكان من أهم البحوث دراسة حول مشكلة التخلف العقلي ، وسياسة الوطن العربي في مواجهتها ، وقد تابعت إدارة التربية تنفيذ توصيات هاتين الحلقتين في الدول العربية ، ووجدت استجابة كبيرة من الأجهزة المعنية » .

●● وما مجهودات الإدارة في عام المعاقين ١٩٨١ م ؟

● « تنوي إدارة التربية بالمنظمة عقد الحلقة الدراسية الثالثة لمتابعة

كيميائية في كثير من مرضى التخلف العقلي .

تنفيذ توصيات الحلقتين السابقتين ، وتبادل التجارب في مجال رعاية وتربية المعاقين والاطلاع على أحدث الطرق والوسائل الدولية في هذا المجال . . كما ستقوم بطباعة ما يصدر عن هذه الحلقة من توصيات ودراسات في كتاب تزود به الجهات المعنية في البلاد العربية » .

الجديد في علاج التخلف العقلي

رغم أن مشكلة التخلف العقلي لم تجد حتى الآن الحل الشامل ، ورغم أنها آخذة في الازدياد حتى في البلاد المتقدمة ، إلا أن جهود العلماء والأطباء مستمرة ، والأبحاث والدراسات تقدم كل يوم الجديد وهذا ما سوف نتبينه من خلال الحوار مع طبيب نفسي من جانب ، ومن خلال استعراض أجزاء من بحث قيم لأستاذ في مجال الصحة النفسية من جانب آخر .

●● الدكتور أحمد عكاشة أستاذ الطب النفسي ، ما رأيكم في التخلف العقلي وما التعريف العلمي لظاهرة التخلف العقلي ، وما تعريف الذكاء في تقديركم ؟

● « **أولا** : التخلف العقلي يشكل مشكلة اجتماعية خطيرة خاصة في المجتمعات المتقدمة التي هي في أمس الحاجة لذكاء مواطنيها . . **ويعرف التخلف العقلي بتوقف أو عدم تكامل تطور ونضوج العقل مما يؤدي إلى نقص في الذكاء لا يسمح للفرد بحياة مستقلة ، أو حماية نفسه ضد المخاطر .**

وعندما نقول العقل لا نعني الذكاء فقط بل كل زوايا الفرد من الشخصية والمزاج والسلوك . . ويمكن أن نعرف الذكاء بأنه القدرة العقلية الفطرية العامة التي تساعد على التعلم السريع ، واكتساب الخبرة في الأعمال الجديدة وتطبيقها . . وإدراك العلاقات الهامة بين عناصر المشاكل المستجدة مما يمكن الفرد من مواجهة المواقف الجديدة باستجابات ملائمة .

وينمو الذكاء تدريجياً إلى سن ١٥ ، ثم يتوقف نمو الذكاء في سن ١٧ ، ويكتسب الفرد بعد ذلك خبرة ومرونة ، أما ذكاؤه فثابت لا يتغير ويقاس الذكاء بما يسمى معدل الذكاء الذي هو

$$\text{حصيلة : } \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times ١٠٠$$ » .

●● هل يوجد فروق في الذكاء بين الرجل والمرأة وبين الأجناس البشرية المختلفة ؟

● « تؤكد الأبحاث الحديثة على تساوي الذكاء بين الرجل والمرأة ، والاختلاف يكون في المهارات ، فبينما تتفوق المرأة في اللغات ، نجد الرجل يتفوق في المهارات الميكانيكية والأعمال اليدوية ، وكذلك لا يوجد جنس أكثر ذكاء من جنس آخر طالما توافرت للجميع نفس فرص التحضر والعلم » .

●● وما الفرق بين الطفل القروي ، وطفل المدينة من حيث مستوى الذكاء ؟

● « لا بد أن نأخذ في الاعتبار أن طفل القرية ينشأ في بيئة هادئة أقل تنبيهاً من المدينة ، وأن مستوى المدرسين والتدريس في القرية أقل من المدينة . . هذا علاوة على أن المدينة تجذب الطموحين والأذكياء وتترك القرية في مستوى ذكائي منخفض . . وإذا تغيرت كل هذه الاعتبارات تساوى ذكاء طفل القرية والمدينة » .

●● ما أنواع القصور العقلي ، وما نسب ذكاء كل نوع ، وما أوجه القصور التي يعاني منها كل نوع ؟

● « يمكن تصنيف القصور العقلي كالآتي :

١ ــ **الأهوك أو المأفون** Moron ويتراوح ذكاؤه من ٥٠ ــ ٧٠ ويستطيع هؤلاء القيام بأعمال روتينية بسيطة تحت إشراف دقيق وبعد تدريب متواصل وهم يتكلمون ولكن المهارة اللفظية محدودة .

٢ ــ **الأبله** Imbecile ومعدل الذكاء بين ٢٥ ــ ٥٠ ، ويستطيع البلهاء تعلم بعض الكلام ، وبالتالي يعبرون عن حاجتهم الأساسية ، ولكن عادة لا يستطيعون القراءة والكتابة ، ويستطيعون حماية أنفسهم من الأخطار العادية ، وإنجاز أعمال بسيطة .

٣ ــ **المعتوه** Idiot ويقل ذكاؤه عن ٢٥ . . ولا يستطيع أن يتعلم الانتباه لحاجاته الشخصية ، أو حماية نفسه من الأخطار ، ويعاني هؤلاء من نقائص حركية وجسمية ملحوظة مع شذوذ جسمي ، وقابلية شديدة

● البرامج الوقائية تكون ذات فعالية إذا ما خططت على أساس سليم.

للإصابة بالأمراض ، ولذا فهم لا يعيشون كثيراً ، ولا يمكن العناية بهم في المنزل ، ولذا يجب وضعهم في مؤسسات خاصة » .

●● ما أهم أسباب التخلف العقلي لدى الأطفال ؟

● « توجد **أسباب وراثية ، وأسباب بيئية ، وأخرى مكتسبة مع الحمل والولادة** . . ولقد دلت الأبحاث الحديثة على وجود اضطرابات كيميائية في كثير من مرضى التخلف العقلي وأن اكتشافها منذ الولادة .

وتجنب بعض الطعام الذي يؤدي إلى هذه الاضطرابات مع إعطاء علاج خاص قد يؤدي إلى نشأة سوية للطفل .

كذلك وجد أن من أسباب التخلف العقلي وجود صبغات زائدة أو ناقصة في الخلايا ، وهنا تلعب الوقاية بعد فحص الأبوين دوراً كبيراً في النصيحة بعدم أو بالاستمرار في إنجاب الأطفال » .

●● ما دور الجراحة والعقاقير في علاج المتخلفين عقلياً ، وكيف يمكن تأهيلهم للحياة السوية ؟

● « عادة لا نحتاج للجراحة إلا في حالة استسقاء الدماغ لتقليل الضغط داخل الجمجمة . . ولا يوجد عقاقير خاصة ترفع من نسبة الذكاء ، **فحامض الجلوتاميك** ليس له تأثير مباشر على الخلايا العصبية . . أما العقار الحديث (**انسفابول**) فهو منبّه للعمليات الغذائية في الخلية العصبية ، وينبّه الخلية لأقصى مداها .

ويجب تأهيل الطفل في المعاهد الخاصة بالمتخلفين حتى نتمكن من استغلال كل قدراته الذكائية ، وهناك تتم المحاولات لتمرينه على العادات الاجتماعية اللائقة ، والسلوك السوي ، والأعمال الروتينية البسيطة ، والحرف اليدوية ، والتحلي بالنظم الدينية المتبعة » .

وأخيراً نستعرض بحثاً **للدكتور عثمان لبيب فراج** أستاذ الصحة النفسية لنتعرف على حجم مشكلة التخلف العقلي وكيفية علاجها على المستوى العربي .

فعن حجم المشكلة يقول : « تعتبر مشكلة التخلف العقلي من أهم مشكلات المجتمع الصحية والاقتصادية والاجتماعية ، فهناك من أفراد المجتمع بصفة عامة عدداً من المتخلفين عقلياً يعتبر ضعف مجموع عدد المكفوفين والمصابين بالشلل وحمى الروماتيزم . . وقد دلت البحوث العلمية التي أجريت في عدد كبير من الدول على أن نسبة المتخلفين عقلياً الذين تقل نسبة ذكائهم عن ٧٥ تبلغ حوالي ٣٪ من أفراد المجتمع من بينهم ٢ ١/٢ ٪ من فئة المورون . . ٤, ٪ من فئة البلهاء . . ١, ٪ من فئة المعتوهين .

والواقع الذي تمليه خطورة هذه المشكلة هي أن الأسرة والمجتمع والدولة ، بل والهيئات الدولية ، يجب أن تتضافر جهودها لمواجهة المشكلة » .

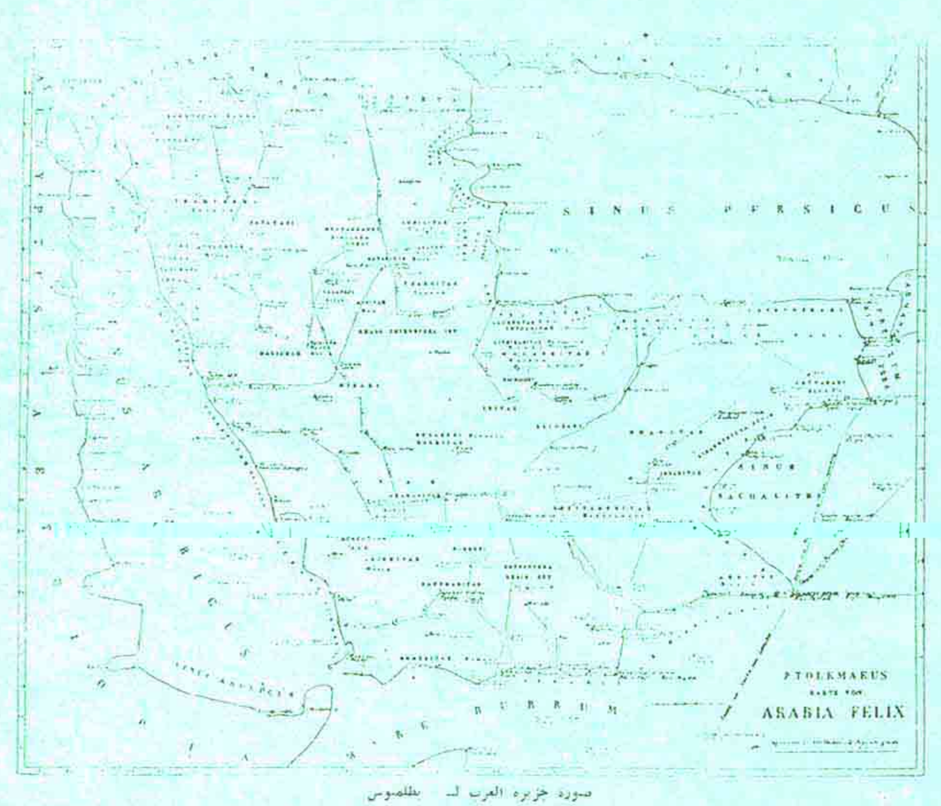
وذكر الدكتور الباحث **أهم المقومات التي يجب أن تقوم عليها برامج العلاج والوقاية وهي** . . الاكتشاف المبكر لحالات التخلف العقلي قبل أن يستفحل الخطر ، وتصبح بعده البرامج العلاجية عديمة الجدوى . . تدريب الآباء والأمهات على احترام السلوك الشخصي للمتخلف عقلياً وتقبله . . تكوين رأي عام حول المشكلة يكون له ثقله ويصبح قوة ضاغطة مؤثرة في الجهازين التشريعي والتنفيذي . . التوسع في خدمات رعاية وتأهيل المتخلفين عقلياً حتى تمتد لتشمل أكبر عدد من هؤلاء الأطفال . . والتوسع في البرامج التدريبية لإعداد القادة القادرين في ميادين الرعاية المختلفة للمتخلفين عقلياً . . الاهتمام باستخدام كافة وسائل الإعلام في التعرف بالمشكلة . . توسيع فرص العمل أمام المتخلفين . . التخطيط المتكامل للبرامج الخاصة برعاية المتخلفين . . الاهتمام بتشجيع البحوث في ميدان الوقاية والعلاج . .

وعن البرامج الوقائية . . وهو ما يعنينا في هذا المقام . .

يقول الدكتور : « من البديهي أن الوقاية من الإصابة بالتخلف العقلي تكاد تكون مستحيلة بالنسبة للحالات التي أصيبت بتلف في المخ . . فخلايا المخ التي دمرت لسبب أو آخر يستحيل تعويضها مما يستحيل معه تجنب ما يترتب على ذلك من تخلف عقلي عندما يكبر ، وكل ما يمكن عمله هو تخطيط البرامج المتخصصة الفنية بالأنشطة التي تساعد هؤلاء الأطفال على استغلال ما تبقى لديهم من قدرات عقلية إلى أقصى حد ممكن . . أما إذا كان التخلف العقلي المحتمل راجعاً إلى العوامل المسببة التي تحدث أثناء الحمل أو الولادة أو بعدها أو حالات نقص الأكسجين أو التغذية أو الإصابة بالأمراض الفيروسية كالحصبة الألمانية أو الالتهاب السحائي أو حالات التسمم . . فإن البرامج الوقائية يمكن أن تكون ذات فعالية وكفاية عالية إذا ما خططت على أساس سليم وتوفرت لها الخبرات العلمية والإمكانات المادية الكافية » .

رحلة في كتاب





صورة جزيرة العرب لـ بطلميوس

حضارة وادي الرافدين بين الساميين والسومريين

تأليف
د. أحمد سوسه
عرض وتلخيص
عبدالجبار محمود السامرائي

إن البحث في تاريخ حضارة وادي الرافدين القديم وتطور حضارته عبر العصور لا يمكن فصله عن تاريخ الشرق الأدنى القديم الذي يضم سورية ولبنان وفلسطين والأردن، كما يضم جزيرة العرب والخليج العربي. فمنذ أقدم الأزمنة، كانت تؤلف هذه المنطقة وحدة جغرافية، ذات أصل مشترك، ولا تزال حتى الآن مرتبطة بمصالح مشتركة وتاريخ مشترك، تجمع بين سكانها الخصائص العربية المشتركة.

حضـــــارة وادي الـرافـدين

إن حضارة وادي الرافدين ، تواجدت في المنطقة منذ عصر ما قبل التاريخ ، أي قبل اكتشاف الكتابة والتدوين ، وينتسب سكانها إلى **العنصر السامي** الذي كان يتكلم بلغته السامية القديمة . وكانت هذه الحقبة الحضارية تكوّن حضارة مستقلة ، قبل أن نسمع بالسومريين أو الحضارة السومرية أو نتعرف على ما سمي فيما بعد بالشعب السومري أو الحضارة السومرية بألفي سنة على أقل تقدير ، **ويمكن القول بأن هذه الحضارة ، سامية عربية ، منبعها البشري والحضاري جزيرة العرب .**

تقويم تاريخ حضارة وادي الرافدين

إن المكتشفات الآثارية الأخيرة في سورية وفي جزيرة العرب وفي الخليج العربي وفي العراق ، قد زودتنا مؤخراً بمعلومات ووثائق جديدة تمكننا من تقويم تاريخ وادي الرافدين القديم تقويماً صحيحاً يظهره على حقيقته ، كما يتضح فيما يلي :

(١) كشفت نتائج التحريات في سورية ، عن أقدم مستوطن ساميٍّ على ضفة الفرات الغربية شرقي **مدينة حلب** ، يرجع إلى بداية الألف التاسعة قبل الميلاد ، مما يدل على أن هجرة العرب من جزيرتهم إلى سورية كانت قد بدأت منذ ذلك التاريخ . وهذا يتوافق مع بداية دورة الجفاف الحالية التي تلي الدورة الجليدية الرابعة والأخيرة ، وقد حددها العلماء بالسنة عشرة آلاف ق . م .

(٢) دلت التنقيبات في العراق على أن أقدم استيطان في السهل الرسوبي من جنوب العراق يرجع إلى الألف الخامسة ق . م ، في الموقع



المعروف بـ « **العبيد** » . وقد وجدت آثار حضارة العبيد في كل أنحاء العراق ، كما وجدت في المدن السومرية ، وفي المدن السامية .

كما دلت الدراسات الأنثروبولوجية للهياكل العظمية التي وجدت في **مقبرة أريدو** ، والتي تنتمي إلى حضارة العبيد ، على أن سكان العبيد وأريدو هم من سكان حوض البحر المتوسط ـ ومنهم الساميون العرب ـ الذين نزحوا من جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حل بها .

(٣) دلت التنقيبات التي أجرتها بعثة دانماركية في الخليج العربي على وجود أكثر من أربعين موقعاً عثر فيها على نفس آثار العبيد العراقية ، مما يدل على صلة حضارة الخليج العربي بحضارة العبيد العراقية في جنوب العراق .

(٤) دلت التنقيبات التي أجريت مؤخراً في شرقي جزيرة العرب ، على أن هناك عدداً من المواقع الأثارية عثر فيها على نفس حضارة العبيد العراقية ، مما يدل على أن لحضارة شرقي جزيرة العرب صلة بجنوب العراق .

(٥) دلت التنقيبات التي أجريت في سورية على أن هناك عدداً من المواقع الأثارية ، وأهمها حضارة « **تل حلف** » ، التي عثر فيها على نفس حضارة العبيد ، مما يدل على صلة حضارة شمال وادي الرافدين في سورية بجنوب وادي الرافدين في العراق والخليج العربي وجزيرة العرب .

حضارة الساميين العرب
في جزيرة العرب

أجمع العلماء ، على أن شبه جزيرة العرب هي مهد الحضارات السامية ووطن الساميين الأوائل ، فيها نشأت الحضارة البشرية أول مرة في تاريخ الإنسان القديم ـ نشأت على أساس أقدم اختراع إنساني قامت عليه كل الحضارات القديمة في العالم ، ألا وهو اختراع الزراعة التي تعتمد على الري[١] .

لذا ، فإن سكان جزيرة العرب هم الذين ابتدعوا هذا الاختراع أول مرة في التاريخ القديم ، فهم مؤسسو الحضارة النهرية الأروائية وذلك قبل نصف مليون سنة في العصور الجليدية المتتابعة .

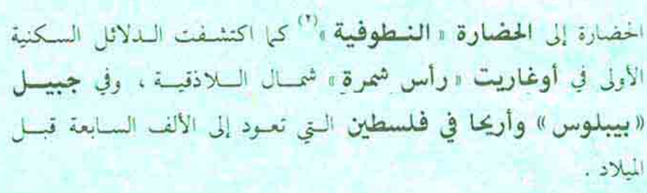
ومن الثابت أيضاً ، أن سكان شبه جزيرة العرب هم الذين نقلوا هذه الحضارة إلى العالم بأسره ، إثر هجراتهم المتتابعة إلى **الهلال الخصيب** ، قبل آلاف السنين ، في أعقاب الدورة الجليدية الأخيرة والرابعة بعد الجفاف الذي حل بالبلاد في الفترة الدفيئة التي يجتازها العالم اليوم .

حضارة الساميين العرب
في شمال وادي الرافدين

وهناك شبه إجماع من قبل العلماء على أن المنطقة الجنوبية من جزيرة العرب ، ومن ضمنها **اليمن** ، هي الوطن الأصلي للشعوب السامية التي نزحت من جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حلّ بها في أعقاب الدورة الجليدية الرابعة . وقد توجهت هذه القبائل إلى شمال الجزيرة ، ومن هناك توزعوا في الهلال الخصيب وكونوا حضاراتهم فيها وفي جملتها حضارة وادي الرافدين الشمالية أو الحضارة السامية الغربية ، وهذه تتميز عن الحضارة السامية الشرقية ، أي الأكدية الجنوبية ، بلهجتها وأسماء العلم لديها .

وكان الساميون الغربيون ، أعظم بأساً وأشد رغبة في التوسع ، لأنهم كانوا يحصلون على المدد البشري المتزايد من الصحراء ، كما هي الحال بالنسبة إلى جميع القبائل البدوية ، وهم أقرب إلى الكنعانيين الذين استوطنوا غربي بلاد الشام . وهؤلاء هم أقدم وأول المهاجرين من جزيرة العرب إلى الهلال الخصيب لقربهم من بادية الشام ، وقد جاءوا إلى شمال وادي الرافدين وهم مزودون بحضارة نهرية وخبرة فنية في حقل الزراعة التي تعتمد على الري ، واستخدموا هذه الخبرة في ممارسة الزراعة في وطنهم الجديد .

وقد استقرت هذه الحضارة السامية العربية التي تكون المرحلة الثانية من مراحل تطور حضارة وادي الرافدين في المنطقة الشمالية من وادي الرافدين . ولما كان الساميون الغربيون سبقوا الساميين الشرقيين في الاستقرار في شمال وادي الرافدين ، فلا بد أن يكون الساميون الغربيون هم أول من نقل حضارة جزيرة العرب إلى وادي الرافدين . فقد دلت أعمال التنقيب التي أجريت في شمال وادي الرفدين ، بأن أقدم استيطان فيه يرجع إلى بداية الألف التاسعة قبل الميلاد ، إذ عثر في « **تل المريبط** » ـ الواقع على الضفة الغربية من نهر الفرات في الجزيرة السورية على بعد حوالي ثمانين كيلومتراً شرقي مدينة حلب ـ على أقدم قرية سكنية عرفتها سورية ، وتعود إلى الألف التاسعة قبل الميلاد ، وتنتمي هذه



الحضارة إلى **الحضارة «النطوفية»**[٢] كما اكتشفت الدلائل السكنية الأولى في **أوغاريت «رأس شمرة»** شمال اللاذقية ، **وفي جبيل «بيبلوس» وأريحا في فلسطين** التي تعود إلى الألف السابعة قبل الميلاد .

ويعتقد أن بالإمكان اكتشاف مناطق سكنية أقدم عهداً لو تمت عمليات التنقيب في أماكن أخرى من أوغاريت . وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على أن هجرة الساميين العرب من شبه جزيرة العرب إلى شمال وادي الرافدين قد بدأت منذ الألف التاسعة قبل الميلاد .

ومن المهم ذكره هنا : أن أكثر المؤرخين قد اتفقوا على أن الهجرة الأولى من جزيرة العرب تمت سنة ٣٥٠٠ ق . م ، واتجهت هذه الهجرة إلى وادي الفرات ، ومنها نشأت حضارة البابليين والآشوريين ، غير أن الاكتشاف الأخير القائل بأن أقدم استيطان على نهر الفرات كان قد تم منذ سنة ٩٠٠٠ ق . م ، يؤكد خطل هذه النظرية القديمة .

حضارة الساميين العرب في جنوب وادي الرافدين

انتقل ثقل الحضارة الاشبيطالية من الشمال إلى الجنوب وتمركز في جنوبي وادي الرافدين ، جاعلاً منطقة «**كيش**» المدينة الأم مركزاً لتجمع النشاط السامي من الشمال في جزيرة العرب ، وكان سبب هذا التحرك تكاثر السكان وانتشار ممارسة الزراعة التي تعتمد على الري . ونلاحظ هنا أن الساميين الغربيين لما انتقلوا إلى الجنوب ، كان الأكديون موجودين في جنوب العراق فتولوا الزعامة السياسية في البلاد وصاروا يعرفون بالساميين الشرقيين لتمييزهم عن الساميين الغربيين .

والأهم من كل ذلك ، أن الذين توجهوا نحو جنوب وادي الرافدين ، كانوا مزودين بحضارة قديمة اكتسبوها في وطنهم الأصلي ، جزيرة العرب ، في العصر الجليدي الرابع الذي دام حوالي مائة ألف عام ، حيث كانت البلاد تتمتع بمناخ رطب تسوده الأمطار الدائمة وتكثر فيه الأنهر الجارية ، مما ساعد على تكوين أقدم حضارة نهرية أدت إلى اكتشاف العرب ، لأول مرة في التاريخ البشري ، طريقة الزراعة التي تعتمد على الري .

نستخلص من هذا ، أن هناك نهضة سومرية ـ سامية قوية حدثت في جنوب وادي الرافدين ، شكلت نقطة تحول مهمة وبارزة في التطور التاريخي في جنوب العراق ، خلال الحقبة التي أطلق عليها عصر فجر التاريخ .

الحضارة السامية ـ السومرية

من الثابت تاريخياً ، أنه لا توجد حضارة سومرية خالصة بل تواجدت حضارة سامية سومرية ، ازدهرت في عصر فجر السلالات بمشاركة الساميين والسومريين ، وهي المصطلح عليها عند الباحثين



بالحضارة السومرية الأولى أو العصر السومري القديم . ونتيجة لمشاركة العنصرين السامي والسومري في صنع هذه الحضارة برزت سلالات سامية وسومرية أهمها سلالتان الأولى **سلالة كيش الأولى** ، وقد ظهرت بعد **الطوفان** مباشرة ويتمثل فيها العنصر السامي ، والثانية **سلالة أوروك الأولى** ويتمثل فيها العنصر السومري الذي دخل المنطقة لأول مرة بعد استقرار الساميين في البلاد ، وهذه هي غير **وركاء** ما قبل التاريخ ، وكلتاهما تواجدتا في عصر ما قبل التاريخ وفي ما بعد التاريخ . وقد شاركت مع سلالة أوروك الأولى المذكورة سلالة لجش الأولى وسلالة أور الأولى في صنع هذه الحضارة السامية ـ السومرية .

وفي هذه المرحلة نلاحظ دخول عنصر جديد غريب عن المنطقة في لغته يعرف بالسومريين ، فعاش هؤلاء مع العنصر السامي الذي كان قد تواجد في المنطقة قبل السومريين جنباً إلى جنب بسلام تسود فيه روح المودة والتآلف ، فتعاونوا معاً في جميع المجالات الفكرية ، والاجتماعية والسياسية ، لصنع حضارة مشتركة في سومر وأكد ، يصح تسميتها حضارة (سامية ـ سومرية) في جنوب العراق ، وذلك خلافاً لما كان ينسبه الباحثون من صراع واحتدام بينهما ، فأخذ كل منهما الشيء الكثير من الآخر ، وأسهم كلاهما في صنع هذه الحضارة على الأراضي الرسوبية ، من جنوبي العراق المعروفة بـ« **دلتا الرافدين** » دجلة والفرات .

ولما كان الشعبان قد مارسا أعمال الري والزراعة ، فقد تمكنا من تأسيس أقدم وأرقى حضارة نهرية معروفة في وادي الرافدين ، مع الفارق



أن الشعب السومري كوّن ثقافة خاصة به ضمن حدود المنطقة الذي تواجد فيها ثم انقرضت ثقافته ، هذا في حين أن الشعب الأكدي السامي الذي كانت له أقدم وأعمق جذور في المنطقة استطاع بتفوقه على السومريين أن يوحد البلاد تحت سيطرته ويكوّن أول إمبراطورية في عالم ذلك الزمان . ولم يكتف هذا الشعب بتوحيد المدن السامية والسومرية وفرض سيطرته عليها ، بل امتد سلطانه إلى خارج بلاد سومر وأكد حتى شمل أكثر بلاد الهلال الخصيب .

وتميز هذا الاختلاط بين الشعبين بأنه تم بينهما بلا قتال ولا غزو ، حتى إذا ما شعر الشعب السامي بتفوقه أخذ يركن إلى استعمال القوة لفرض سيطرته على البلاد وتوحيد الشعبين السامي والسومري فعلاً بعد أن كانت الوحدة بينهما اسمية في العرف والتقاليد .

وفضلاً عن ذلك ، فإن من الدلائل التي تؤكد وحدة الساميين والسومريين ، هي وحدة اللغة ، فاللغة التي كانت مستعملة في كيش السامية كانت اللغة الأكدية السامية واللغة السومرية في آن واحد ، فكان استعمال اللغتين الأكدية والسومرية جنباً إلى جنب في معظم النصوص المهمة .

الخاتمة

حاول الغربيون مسخ تاريخ وادي الرافدين القديم ، فابتدعوا نظرية مفادها أن حضارة وادي الرافدين الأساسية ، هي الحضارة إلسومرية الآرية الغريبة عن السامية لغوياً ، وذلك بغية جعل المبادهة الحضارية في وادي الرافدين إلى عنصر غريب عن السامية . هذا في حين أن كل الدلائل تشير إلى أن حضارة العراق الأساسية ، سامية عربية ، كان أول ظهورها في العبيد وفي أريدو وترجع إلى سنة ٥٠٠٠ ق . م ، وهي تمثل أقدم استيطان ساميّ في العراق . وهناك أدلة على أن الساميين العرب قد استقروا بعد هجرتهم من جزيرة العرب في سورية على ضفة الفرات الغربية منذ سنة ٩٠٠٠ ق . م ، ثم انحدروا جنوباً نحو العراق فكونوا حضارتهم السامية العربية في «كيش» بجوار «**بابل**» في الألف الخامسة ق . م .

وعلى الرغم من كل ذلك ، فقد اعتبر الباحثون هذه الحضارة حضارة سومرية قبل أن يكون السومريون قد تواجدوا في العراق ، بل اعتبروا أصحاب حضارة العبيد مجهولين .

وعلى ضوء ذلك يمكننا أن نجمل نتائج البحث على جملة من الحقائق التاريخية التالية :

١ ــ كانت هناك وحدة حضارية بين وادي الرافدين والبلاد العربية توضح الأسس المشتركة لعناصر الحياة بين سكنة الخليج العربي وجزيرة العرب القدماء من جهة ، وبين سكان بلاد وادي الرافدين من جهة أخرى .

٢ ــ أن هجرات العرب بدأت من جزيرة العرب منذ سنة ٩٠٠٠ ق . م ، وليس ٣٠٠٠ سنة ق . م ، حسب التقدير المتعارف عليه .

٣ ــ أن حضارة وادي الرافدين سامية عربية منبعها البشري أصلاً ، من جزيرة العرب .

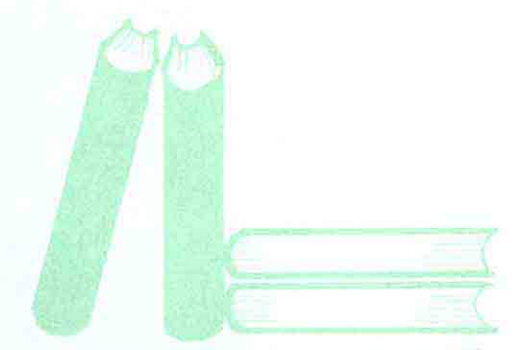
٤ ــ أن أقدم حضارة في العراق هي حضارة العبيد وأريدو التي ترجع إلى الألف الخامسة ق . م ، وهي تمثل أقدم استيطان ساميّ عربي في جنوب العراق وكان قبل تواجد السومريين في المنطقة .

الهوامش

(١) خلال الفترة التي تبدأ من سنة ١٠٠٠٠٠ ق . م ، وتنتهي بسنة ١٥٠٠٠ ق . م ، كانت جزيرة العرب تتمتع بجو معتدل رطب تكثر فيه الأمطار في كل المواسم شتاءً وصيفاً ، مما ساعد على نمو الغابات الكثيفة في المنطقة ، تحولت فيما بعد إلى عصر الجفاف ، نتيجة للضغط ، إلى طبقات نفطية ، كما ساعدت هذه الظروف الملائمة على تكوين حضارة نهرية لا تقل شأناً عن حضارة وادي النيل وحضارة وادي الرافدين على الرغم من إمكاناتها المحدودة آنذاك ، إذ كانت الأودية الحالية أنهراً جارية تبعث عناصر الحياة وتنشر الخير والبركة في البلاد ، وكان هناك نهران كبيران يخترقان جزيرة العرب من أقصاها إلى أقصاها تقوم عليها الزراعة التي تعتمد على الري الدائم . وفي هذه الفترة انتقل سكان الجزيرة العربية من دور القنص والصيد إلى طور الفلاحة والزراعة التي تعتمد الري للحصول على قوتهم اليومي .

(٢) النطوفية : نسبة إلى أحد المواقع في فلسطين

(*) صدر الكتاب عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية ــ دار الرشيد للنشر أواخر عام ١٤٠٠ هـ ــ ١٩٨٠ م ، بغداد . ويقع بحدود (٢٠٥) صفحات .



مطالعات... في الكتب

الأرض

شعر: عدنان النحوي

عرض ونقد: عبد العليم القباني

تمر الأزمنة بما تحمل من سمات خاصة، وبما فيها من اتجاهات فنية تتفق مع التيارات المتجاوبة أو المتعارضة خلالها.

وتتوالى المناهج النقدية المختلفة لهذه الفنون، تحمل في تفسيراتها لها أيضاً، طابع العصور والأمكنة والناس.

وتتصارع الآراء حول وفاء أو تقصير هذه المناهج لما قامت من أجله، لكن هناك قاعدة واحدة تظل فوق هذه القواعد جميعاً، قد تتضاءل عند بعض الناس، وقد تتوهج عند آخرين، ولكنها تظل أبداً خالدة باقية ما بقيت فنون الأدب ومنها - إن لم يكن في مقدمتها - «**الشعر**».

تلك هي قاعدة التذوق الفطري التلقائي للشعر، سواء أكان مسموعاً أو مقروءاً، ذلك لما للشعر من مساس مباشر بالعواطف المختزنة أو المتحفزة في جوانح من يستمعون إليه أو يقرأونه.

إن الأساس الأول الذي ينبغي على الناقد أن يطبقه هو تجنب الابتداء بتطبيق القواعد الجاهزة التي أعدها نقاد آخرون، قد تختلف أذواقهم وأفهامهم، في تذوق هذا الشعر المعروض أمامهم، ومن ثم فهم لا يشعرون إزاءه بما ينبغي الشعور به لو أنهم كانوا على صلة روحية مباشرة به.

صحيح أن التذوق يقوم على الانفعال الشخصي للمتذوق، وأن خطر **النقد التذوقي** يكمن في أن صاحبه، قد يقدم لنا انفعاله هو إزاء العمل الفني وليس القيمة الحقيقية التي يستحقها هذا العمل، وأن على الناقد أن يأخذ بالمقاييس التي وضعها النقاد المتمرسون من قبل إن لم يكن قد أضاف عليها شيئاً من عنده، ذلك حتى يفلت من هذه الهوة.

ولكن المقاييس الجامدة لا تكون - في العادة - مقبولة تماماً من غير العلم المادي حيث يكون الهدف، هو الوصول إلى نتيجة محددة، لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال تجارب ذات مقاييس محددة هي الأخرى.

لكن **العمل الأدبي** قد يختلف باختلاف أذواق مبدعيه وقارئيه وكلاهما لا يمكن - بغير تعسف - فرض القواعد المسبقة على أذواقهم.

ومن هنا يجب أن يكون التذوق - فيما أرى - هو المختبار الأول في النقد، ثم - وهذا في المقام الثاني - الاستعانة بالمقاييس النقدية الجاهزة، مع الدقة اللازمة في اختيار المنهج الذي يلائم الزمان والمكان والظروف المحيطة بالقطعة الشعرية المراد نقدها.

على أنه - في كل الحالات - لا يجب التجاوز عن القواعد التي اتفق الكل عليها كأساس للعمل الفني، وأهمها - بالنسبة للشعر - **سلامة اللغة** باعتبارها أداة التعبير، **وسلامة الموسيق**، كإطار لابد أن تتساوق الكلمات من خلاله.

أقول هذا وقد أتحفني أخي الكريم الأستاذ الدكتور **محمد مصطفى هدارة** الأستاذ بآداب الاسكندرية، بديوان صديقه الشاعر **عدنان النحوي**، «**الأرض المباركة**» ذلك لأني أردت أن أستعرض ديوانه هذا، على أساس من هذا المنطلق الذي اخترته.

الشاعر

الشاعر «عدنان النحوي» كما يقول الدكتور هدارة في المقدمة القيمة التي قدم بها هذا الديوان «نشأ في **صفد** بأرض **فلسطين** في أواخر العشرينات، وأخذت أكمام صباه تتفتح في الثلاثينات، وهي فترة كانت تضطرم فيها أحشاء تلك الأرض الطاهرة بالثورة ضد **الاستعمار الإنجليزي** المتحالف مع **الصهيونية العالمية** فارتبط «عدنان» منذ صباه الباكر ببلدته ووطنه وأمته ودينه.

وما من شك أن عدنان نشأ مفطوراً على الشعر، ولم يبعد عنه لحظة واحدة حتى عندما اتجه إلى دراسة الهندسة[1].

ويتابع الدكتور هدارة تأكيده بأن الشعر بالنسبة إلى عدنان «هو نبض وجدانه ومعاناة عاطفته، وفيض مشاعره، وذوب فكره فليس عنه غناء وليس منه بد..»[2].

والحق أن هذا التعريف هو ما يخرج به قارىء ديوان «عدنان» بعد أن يستعرض صفحاته جميعها.

الأغراض

هذا الديوان الذي يضم **أربعين قصيدة ومقطوعة** تستقي من ستة مناهل غير منفصلة تماماً، بل إنها تمتزج أحياناً إلى درجة يصعب معها التفريق بينها.

تلك هي **الفلسطينيات والمراثي والوجدانيات والسياسيات والقوميات والاخوانيات** وليس **للغزل** بينها إلا نصيب يمكن اغفاله.

وتحتل فلسطين سواء في القصائد الخاصة بها أو في القصائد الأخرى نصيباً كبيراً وليس ذلك بعجيب، ففلسطين هي الجزء المنتزع من قلب كل عربي. وأول هذه القصائد «**نذير**» وقد نظمها سنة ١٩٤٣م، وتحس فيها بالنغمة الصاخبة الهاتفة التي تتفق في هتافها مع الغرض السياسي المنظومة من أجله:

أنتم تنوحون والأعداء قد بلغت
منكم وجاست خلال الملك تطوينا
شدوا العزيمة، شقوا الدرب، واخترقوا
صف العدى عصبة، لا تظهروا لينا

المباركة

ويظل الشاعر بيث الشجون ، ويثير العواطف ، وكلما مرَّ عيد من الأعياد أضاف جرحاً جديداً إلى جراحه فهو يصرخ في وجه العيد :

أيها العيد أين منك الوعود
طال فيك الرجاء والترديد
إن نرى من شبابنا كل حر
صاعداً للردى، فذلك عيد

أو تلسعه دالية «**المتنبي**» فيتنهد ويقول :

ما العيد إلا لحر لم يهن أبداً
ولا بدا وهو في الأغلال مصفود

وهكذا تتجدد مثيرات مشاعره بتعدد المناسبات المتوالية ، وتتركز بصفة خاصة ، كلما دار الحديث حول بلد من البلاد التي تربطه بها الأواصر القريبة من الأسرة أو المولد فهو يناجي «**حيفا**» في لهفة المحب :

حيفا فديتك ما أبهى مغانيك
وكم يطيب الهوى في ظل ناديك
ما الحسن إلا كتاب أنت أسطره
أو أنه قبلة قرت على فيك

وتنفجر الفاجعة فتعصف بكيانه حين تسقط «**صفد**» بلده الحبيب. فيشتعل شعره لظىً صارخاً وهو يرى أهله ينزحون عنها :

أنزوح ، يا ويحهم ، أنزوح
ورضيع على الأكف ينوح
يبتغي قطرة، وذاك جريح
وعجوز مروع ، وطريح

وهو يقبس من مصارع الشهداء الجذورات التي ينفثها في عروق الباقين ، يستثير فيهم بها روح الكفاح والنضال ، ومن قصائده الرائعة في هذا المجال ، قصيدته التي يرثي بها الشهيد «**عبد القادر الحسيني**» والتي يختتمها موجهاً خطابه إلى الشهيد فيقول :

وخضت شرقيّها ترمي بوارجهم
بفتية تجب لا جحفل لجبُ
والليل حولك جياش تخوض به
كأنما أنت فيه جحفل عجبُ
لم يبق عندك مذخور فتقذفه
أو منجد قائم يدنو ويقتربُ
وانهالت النار فاستقبلت حرتها
وأنت في القسطل الحمراء تختطبُ
حتى قضيت وفي جبينك أوسمة
حمراء لا ماسة فيها ولا ذهب

* * *

على أنه وهو ينفعل بالأحداث الدامية التي تجري على «الأرض المباركة» فلسطين لا تبتعد أحاسيسه ـ في الوقت نفسه ـ عن الذي يدور في بعض البلاد العربية من كبت وارهاق وعنت وأحداث لها في النفس ، مضاضة ظلم ذوي القربى كما يقول الشاعر القديم(٣) ، فلقد طغت مراكز القوى في بعض هذه البلاد وساقت إلى السجون والمعتقلات آلافاً من الذين :

لم تجاوز عزة النفس بهم
لفظة ماتت على ثغرهم

أو كما يصف الشاعر أحد مجالس القضاء الصوري التي أقيمت في ذلك العهد ، وما كانت تقوم به هذه المجالس من انتهاك لأبسط قواعد العدالة وفيها يقول :

ومحاكم التفتيش مد رواقها
كف يسيل على جوانبها الدم
ومهازل فيها تحاك فأحمق
يهذي وحر قيدوه وكمموا
ودعوه بين بنادق مصفوفة
وقتا محددة وقيل تكلموا
وأخو القضاء أخو هوى وضغينة
وجهالة تبدو عليه وترسم
يا شعب باسمك كم تباح مظالم
والشعب لا يدري ولا هو يحكم

وتلاحقه أطياف سوداء من ذلك العهد لا تفتأ ترسم أمام عينيه أعواد المشانق التي ارتقى إليها عدد غير قليل ممن وخزتهم شوكة الحرية وكان أن نظم سنة ١٩٧٢ م ، قصيدة بالغة الأسى والشجن تقع في اثنين وسبعين بيتاً يرثي بها المفكر الإسلامي **سيد قطب** ، والتي نختار منها هذه الأبيات ، ويقول فيها عن هذا الشهيد :

إنه خفقة اليقين ، أمانيّ جهاد ، نسائم القرآن
هب كالليث ، والدياجير حمق جامحات ، مفلوتة الأرسان
تنزع الناس ، والخلائق حيرى تائهات الأبصار والأذان
كتل كالعبيد ينهبها السوط جنوناً تساق كالقطعان
الطريق الطويل شق عليها فهوت في مزالق وهوان
فتنة تُهدر المروءات فيها وتردى كرامة الإنسان
غير أن العبيد قتّلها الذل فلم ترتعش لسوط هوان
إيه يا **سيد** حملت إلى الناس سلاماً وروعة من بيان
فأقاموا عليك من ظلمة الليل سجوناً مخنوقة الجدران
وأقاموا لك المشانق أعداداً ومدوا حبائل البهتان
وتبسمت حين أشرق فجر وأطلّت من الخلود أماني
وتركت الذليل يقتله الحقد على مرجل من الغليان

ويختم قصيدته موجهاً للشهيد سؤاله الشامت بهذه العصابة :

أين فرعون والعصابة والسوط وذل الرفاق والأعوان ؟
هلكوا في متاهة الشرك أجيافاً وحلقت في نعيم حاني
ومضيتم معالماً في طريق ومناراً للتائه الحيران

وتنطلق لواعج الشاعر من عقالها وتتنقل بحيث تشمل بلاد المسلمين جميعاً وقد

راعه أن :

أحنـت منـائرها الهضـاب تفجعـاً
وبـكى على فـرسانه الميـدان

وتشـعبت دون الـظلام مسـالك
شـتى وكان سـبيلنا القـرآن

ومن ثم نظم أكبر قصائده « **لم يبق في عرفات إلا دمعة** » في مئة وثلاثين بيتاً ، بكى فيها واستبكى ووقف في دروبها واستوقف . . وأنا هنا أنقل بعض أبياتها بلا ترتيب إذ كان هدفي هو الاشارة إلى بعض البلاد الإسلامية أو التي رفرفت عليها راية الإسلام من قبل والتي جمعها في هذه القصيدة :

رذي روابي (**الصين**) أين محمـد
والسـور تنهـد حـوله الفـرسان ؟

و (**السـند**) مـا للـداجيات تلفـه
والـذكريات على ذراه أذان

رذي روابي (**الهنـد**) أيـن شريـ
ـعة الرحمـن مـن سـلطانها السـلطان ؟

(**دار السـلام**) وأي لحـن لم يـكن
شـكوى بـدارك إن شـدت (**بغـدان**)

تمضي ربى (**الأردن**) بـين ميـاهها
ذكرى بعيـد رواءهـا الجـريان

و (**دمشـق**) تـطويها الضـلوع صـبابة
وتغيـب بـين جفـوني (**السـودان**)

و (**المغـرب**) الـزاهي أرقّ لسـاحه
طـرفي فيغفـو للقـاء إخـوان

يـا (**تـونس**) الخضراء عهـدي بـالهوى
صـاف وعهـدي في الـربى ريحـان

ردي (**لمصر**) إذا نـظرت لنيلهـا
عتـبي لمن صرعـوا هنـاك وبـانوا

وتلفـت (**الأقصى**) (**لمكة**) لـوعة
أختـاه تنهش أضـلعي الغـربان

أختـاه أيـن المسـلمون وحشـدهم
أيـن الملايـين الغثـاء ، أهـانوا ؟

يشير في الشطرة الأخيرة وفي كلمة (غثـاء) بـالذات إلى الحـديث الشريف القائل : « توشك أن تتداعى عليكم الأمم تداعي الأكلة إلى قصاعها ، قـالوا : أو عن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ، قال : لا ولكنهم غثاء كغثاء السيل » أي لا غنـاء فيهم .

أما حين يهدأ - وقليلاً ما يكون - فهو وصاف يتأنق في وصفه فيجيد ، وإنـك لتجد مثالاً لذلك في هذا المنظر الطبيعي الذي نختاره له من قصيدته « صفد » بلـده الحبيب ، والتي يناجي فيها بعض تفاصيل هذه الصورة الجميلة بقوله :

يـا زهـرة اللـوز الشـهي وطلـ
ـعة النـور البهـي وغـرسة الأجـداد

يا غـرسة العنـاب مـدت كفهـا
المخضوب مـن فـرع لهـا ميـاد

كالغـادة الحسـناء خلف خبـائها
دفعـت بنـاناً للمحـب الصـادي

يـا أمسـيات في « الـرجوم »[3] كأنهـا
عـطر الشـباب وبهجـة الأعيـاد

و « البحـرة الـزرقاء »[4] دون شـعابه
نـزلت فـأنزلها سـواد فـؤاد

شـهدت بجنبيهـا الـربى وتـوثبت
نهـدين مضـطربين فـوق مهـاد

أهدي لهـا الليـل الشـجي غـلالة
سمـراء تخفـق في ظـلال سـواد

وشـت حـواشيها النجـوم لآلئـاً
تـطوي وتنشر مـن بـريق هـاد

والبـدر بـين النـاهدين كماسـة
مـوصولة في جيـدها بقـلاد

★★★

وصياغة « عدنان » عربية أصيلة ، لا نأخذ عليه فيها إلا القليل النادر من مثل استعماله لكلمة عجوز كمرادف لكلمة شيخ في قوله :

وفي جبهة الشـيخ العجـوز لـه يـد
وفي قلبـه آيـاته ومآربـه

فإن كلمة عجوز لا تطلق على الرجل[5] وفي القرآن الكريم ﴿ أألد وأنا عجـوز وهذا بعلي شيخاً ﴾ . ولعل كثرة قراءات عدنان فيما نظم الأقدمون هي التي تـركت بعض آثارهم تقفز من ذاكرته لتأخذ وضعها في بعض أبياته كقوله :

أيتهـا النفس أجملي جـزعا
وابسـمي كل فـرقة ستهـون

فإن صدر هذا البيت هو بذاته صدر مطلع قصيدة لشاعر قديم يقول فيه :

أيتهـا النفس أجملي جـزعا
إن الـذي تحـذرين قـد وقعـا

وكنت أود لو وضعه بين قوسين حتى يعرف الناس أنه تضمين .

تبقى بعد ذلك بعض **أخطاء عروضية** قليلة جداً ، كنت أحب أن يتـنزه الديوان عنها ، وبخاصة أن صاحبه موسيقي بالسليقة ، ولعل مرجع هذه الأخطاء هـو **المطبعة** ، لكني لم أستطع أن أرد هذا البيت مثلاً إلى أصله وأنا أعني الشطر الثـاني منه ، وهو من **بحر البسيط**، مستفعلن فعلن أربع مرات :

تطوف فيـه وتجـني مـن أزاهـره
وتنتقي فيـه ورد وريحـان

وكذلك مقطوعة « حنين » فإنني لم أستطع رد أبياتها إلى بحر واحد

★★★

على أن هذا لا ينال من الديوان وصاحبه إلا بمقدار ما ينقص من البحر عنـدما يختلس الطائر بمنقاره رشفة منه يرتوي بها من ظمأه .

الهوامش

(1) مقدمة الديوان صفحة ٩ .

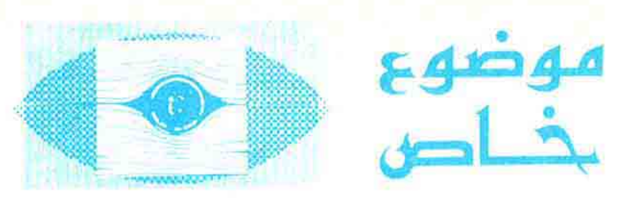
(2) طرفة بن العبد حيث يقول :

وظـلم ذوي القـربى اشـد مضـاضة
على المرء مـن وقـع الحسـام المهنـد

(3) الرجوم مكان يطل على بحيرة طبرية للتنزه .

(4) بحيرة طبرية .

(5) الجلة : كلمة عجوز تجوز للرجل والمرأة .. فتقول : « رجل عجوز » و « امرأة عجوز » ولا نعتقد أن الشـاعر النحوي قد أخطأ باطلاقه كلمة عجوز على الرجل .





عودة الأندلس

بقلم : د. حسين مؤنس

رحلة في الزمان والمكان مع الأندلس الذي شاد مجده الأجداد وضيعه الأحفاد ، وأمل في بعثه وعودة الحياة إليه بعد طول رقاد .

في فاتحة كتابي « رحلة الأندلس » الذي نشرته في القاهرة سنة ١٩٦٣ م ، قلت : « وحيثما حللت في أوطان العرب وجدت الأندلس على كل لسان . من رآه يحلم بما رأى ، ومن لم يره يحلم بما يمني النفس برؤيته . والأندلس عندهم جميعاً بلد عربي قائم بأهله ومدائنه وعلمائه وشعرائه ومجده الذي كان .

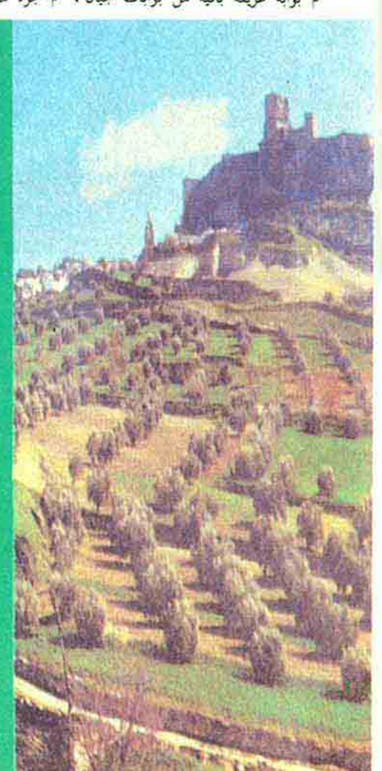
فكيف يكون مفقوداً وله كل هذا الوجود ؟

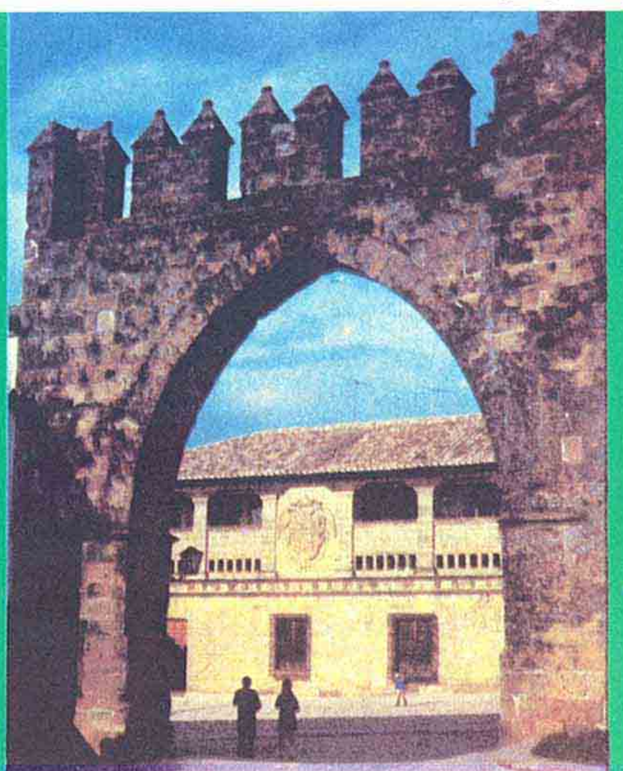
إنه موعود لا مفقود .

موعود عند من يعلمون أن الماضي لا يموت إلا بالنسبة إلى الأموات .

وموعود عند كل من يدركون أن التاريخ لا يعرف الأمس أو اليوم أو الغد ، وإنما هو نهر الحياة يمضي إلى الأجل المضروب الذي قدَّره علاَّم الغيوب .

★ جيان : بلدة أندلسية نموذجية تقع جيان إلى غربي قرطبة ، وهي بلدة ابن مالك الجياني صاحب الألفية المشهورة ، والصور الثلاث تبين مزارع الزيتون التي تتسلق التلال حول جيان ، ثم بوابة عريقة باقية من بوابات جيان ، ثم جزء من جيان ناطق بالعروبة ★









★ مجموعات من المنازل البيضاء ، ذات السقوف الحمراء ، صورة لإحدى القرى غربي جيان ★

وموعود عند كل من يؤمنون بأصالة هذه الحضارة العربية الزاهرة التي عبرت القفار والبحار ، وثبّتت أقدامها بين فكي الأسد ، وبنت صرحها فأعْلَتْ والعدوّ والقدر لها بالمرصاد .

نعم ، وما **قرطبة الخلفاء** بشيء من أشياء الماضي ، وإنما هي حاضر ومستقبل ، ما دامت لنا قلوب تعي وتذكر .

ولا **غرناطة بني نصر** بذكرى غبرت ومضت ، وإنما هي عَلَمٌ حي متجدد الرواء ، يعرفه كل من على وجه الأرض . يزورها الناس جميعاً للفرجة والإعجاب ، ونزورها نحن للذكرى وإعادة الحساب .

والأندلس كله ، من جبال ألبرت (البرانس) إلى الزقاق ، كتاب مجد رائع ، يقرؤه من هو جدير بالمجد التليد ، ويستشعر الحياة فيه من يشعر بأنه ينتسب إلى شعب لا يموت .

موعود لا مفقود » .

انتهى ما نقلته عن كتاب « رحلة الأندلس » الذي نشر سنة ١٩٦٣ م . وقد عجب الناس من عبارة « موعود لا مفقود » ، لأنهم تعودوا أن ينظروا إلى الأندلس على أنه مفقود ، ثم يذرفون الدمع على ذلك الفقيد ، حاسبين أن الأندلس حائط مَبكى ، نزوره للتحسر على ما ضاع ، ومن أسف أن بعضنا يحسب البكاء فلسفة والحسرات حكمة ، وأن العاقل اللبيب هو الذي يحس ساعة يذكر الأندلس باللوعة والأسى .

حقاً لقد ضاع منا الأندلس ، فقد كان الأندلس جوهرة تزين تاج العروبة ، ولكننا لم نفرِّط في أمره قط . ظل أهل الأندلس يقاتلون عن بلادهم إلى الساعة الأخيرة .

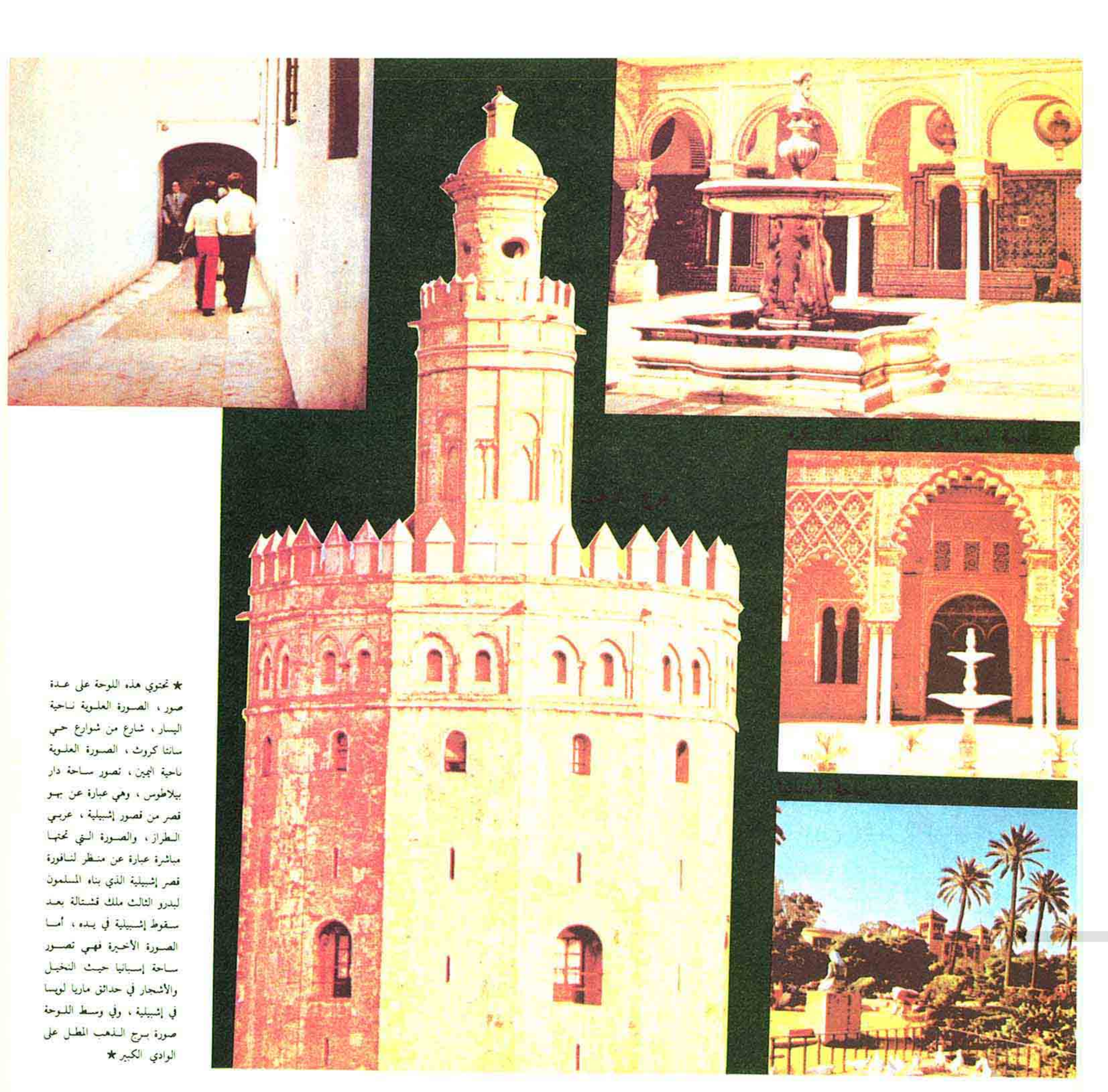
ومن الظلم لشعب الأندلس أن يُقال إنه ضَعُفَ واسترخى عزمه ، وألِفَ طراوة العيش في مهاد الدعة كما يقول **ابن خلدون** ، فإن هذا

★ الصفحة الأولى من جريدة « يا » الإسبانية الصادرة في ٢٣ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٠م ، وعليها صورة مظاهرة قامت في مدينة جيان إحدى قواعد الأندلس تأييداً للاستقلال الذاتي وقد حمل المتظاهرون لافتة كتب عليها : جيان تؤيد الاستقلال الذاتي ★



الشعب العربي المجيد لم يخسر شبراً من أرضه إلا بعد قتال مرير ، وقد جاءته الخسارة من رؤسائه بعد انتثار أمر **الخلافة الأموية** سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣١ م ، فإن الذين تولوا أمره بعد ذلك كانوا أقل بكثير من المسؤولية التي اضطلعوا بها ، فضيعوا البلاد وجنوا على العباد .

ولكن الله سبحانه يقضي ويلطُفُ في قضائه ، **فإذا كنا قد خسرنا الأندلس ، فقد اشترينا بضياعه سلامة المغرب العربي الإسلامي . وقبل أن تسقط غرناطة في يناير (كانون الثاني) سنة ١٤٩٢م ، كنا قد استولينا على القسطنطينية وكل أراضي دولة الروم سنة ١٤٥٣م ، ثم توسع الإسلام في الهند وما يليها**



★ تحتوي هذه اللوحة على عدة صور ، الصورة العلوية ناحية اليسار ، شارع من شوارع حي سانتا كروث ، الصورة العلوية ناحية اليمين ، تصور ساحة دار بيلاطوس ، وهي عبارة عن بهو قصر من قصور إشبيلية ، عربي الطراز ، والصورة التي تحتها مباشرة عبارة عن منظر لنافورة قصر إشبيلية الذي بناه المسلمون لبدرو الثالث ملك قشتالة بعد سقوط إشبيلية في يده ، أما الصورة الأخيرة فهي تصور ساحة إسبانيا حيث النخيل والأشجار في حدائق ماريا لويسا في إشبيلية ، وفي وسط اللوحة صورة برج الذهب المطل على الوادي الكبير ★

شرقاً ، ثم عوضه الله خيراً بجنوب شرقي آسيا ، فدخلت في دين الله هندونيسيا (أندونيسيا) وبلاد الملايو (بلاد كلّه) وشمالي بورنيو وجنوبي الفيليبين ، وهذه مكاسب للإسلام عظيمة .

وهذا كله يخفف عنا الأسى لضياع الأندلس ، والحياة نصر وهزيمة ، وكسب وخسارة ، وعندما نعمل حسابنا الختامي للتجربة الإسلامية في جملتها نجد أن النتيجة تشهد للعرب وأمة الإسلام ، فإننا لم نخسر من كل ما كسبناه إلا الأندلس وصقلية ، وهذه نتيجة طبيعية إذا ذكرنا أن عالمنا الإسلامي عاش ــ ويعيش ــ تاريخه كله في صراع مرير مع سلسلة من الأعداء والأخطار .

ومن هنا فإنني آسى على مصير الأندلس ولكنني لا أبكي أو أقرأ تاريخه وكأنه مرثية طويلة ، وإنما أنا أذكر أمجاده وفتوحات أهله في ميادين الحضارة جميعاً ، وها هو الأندلس في يومنا هذا مفخرة للعرب قاطبة وعنوناً على جانب صغير من جوانب مجد هذه الأمة العربية العريقة ، وهذا الجانب القليل الباقي من مجد الأندلس الحضاري متمثلاً في **مسجد قرطبة ، وأطلال الزهراء ، وحمراء غرناطة ، وقصبة مالقة ، وقصبة المرية** ، وقصور متناثرة في مدائن إسبانيا ، مثل **قصر الجعفرية في سرقسطة** ، هذا القليل الباقي كُتبت فيه مجلدات ، فكيف لو رأى الناس البقية ! هنا تتردد في أخلادنا أبيات **ابن خفاجة** :

يـا أهـل أنـدلس ، لله دَرُّكُمُ

مـاءٌ وظـلٌ وأشـجار وأنهـارُ

مـا جنـةُ الخلـد إلا في بـلادكم

ولو تخـيَّرتُ ، هـذي كنـتُ أختـارُ

لا تحسبوا أن تُدْخلوا بعدها سَقراً

فليس تُدْخَلُ بعدَ الجنةِ النارُ

وهذا لا يمنع من تذكر أبيات **أبي البقاء صالح بن شريف الرُّندي** في رثاء الأندلس ، فهي ترينا كيف أن مأساة الأندلس أصبحت في أذهان العرب جميعاً ، مثلاً يضرب لغدر الزمان وتصاريف الحدثان :

لكل شيء إذا ما تم نقصان

فلا يُغر بطيب العيش إنسان

هي الأمور ـ كما شاهدتها ـ دُول

من سره زمن ساءته أزمان

إلى أن يقول :

دهى الجزيرة أمـرٌ لا عـزاءَ لـه

هوى لـه أُحـد وانهـدَّ ثهـلانُ

فاسأل بلنسية : مـا شـأن مُرسيةٍ

وأيـن شـاطبةٌ أم أيـن جَيَّـانُ

وأين قرطبة ، دار العلوم ، فكم

من عالم سما فيها لـه شـانُ

وأين حِمْصُ[1] وما تحويه من نُزَهٍ

ونهرها العذب فياضٌ وملآنُ

قواعد كن أركان البلاد ، فما

عسى البقاء ، إذا لم تبق أركان

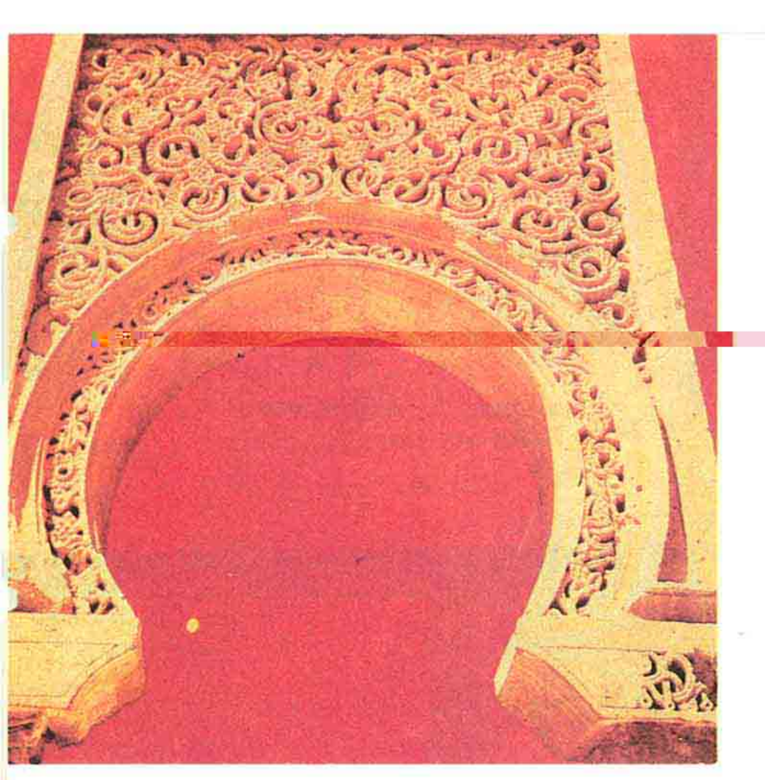
والبيت الأخير يدعو إلى التفكر والتدبر ، فإن هذا الرجل الصالح يقول إن البقاء في الأندلس لم يعد ممكناً بدون أركان . . وهو لم يسأل نفسه : **أين الأركان التي وجدها موسى وطارق في الأندلس واعتمدا عليها في الفتح وإنشاء الملك العربي في الأندلس ؟**

والجواب : إن القواعد والأركان التي يبنى عليها المجد هي عزمات الرجال ، فإن عزمات الرجال هي التي تبني الأمجاد ، وبدون عزمات الرجال فلا قواعد ولا أركان .

الأندلس وثغور حدوده

وأعود إلى إسبانيا من شهرين ويملؤني شعور الفرحة بلقاء الأندلس ، ولا أذكر أنني زرت الأندلس مرة إلا فاضت نفسي بفرح اللقاء كأنني أزور صديقاً عزيزاً عليَّ قريباً إلى نفسي ، وما فارقته مرة إلا وفي نفسي ذلك الحزن الذي تحس به وأنت تفارق وطناً تحبه وتألفه وترتاح نفسك للعيش فيه ، كأنني أخشى ألا أجده إذا أنا عدت إليه .

والأندلس عندي هو الأندلس الذي أعرفه بالمشاهدة لا الأندلس



★ أحد عقود قصر الجعفرية في سرقسطة ★

الإسلامي الكبير وهو شبه الجزيرة الايبيرية كله ، وهو يضم إسبانيا والبرتغال . ومن الطريف أن كثيراً منا يحسب أن الأندلس هو إسبانيا . وأن البرتغال لم تكن يوماً عربية أو إسلامية ، مع أن عروبة البرتغال وإسلامها لم تقلا عن عروبة إسبانيا في عصورها الإسلامية . **ولشبونة** كانت مركزاً إسلامياً عظيماً ، ينطقون اسمه **الأشبونة** ، وقد أطْلعت البرتغال من عظماء العروبة الأديب **المؤرخ الأشهر أبا الحسن علي بن بسام الشنتريني** ـ نسبة إلى شنترين ـ وهي تسمى اليوم **سانتريم** Santarem ، وهو صاحب **كتاب « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة »** ، وهو من أكبر مراجعنا عن تاريخ الأندلس في عصر الطوائف . ومنهم كذلك **ابن مقانا الأشبوني** من كبار شعراء عصر الطوائف ، **وأبو القاسم ابن الحسن الشلبي** المؤرخ الأديب ، وهو منسوب إلى شيلب جنوبي الأندلس وتسمى اليوم Silves وينطقونها سلفش ، **وأبو الوليد الباجي الفقيه المالكي** صاحب كتاب « المنتقى » ، وهو معاصر **لابن حزم** ، وكان بينهما مناقشات ومجادلات .

ويطلق اسم الأندلس في فتوحنا على ما ملكه المسلمون من شبه الجزيرة أياً كان حجمه ، فعند الفتح كان الأندلس يشمل شبه الجزيرة كله فيما عدا جليقية ، وهي الركن الشمالي الغربي لشبه الجزيرة ، وفي أول إمارة **عبد الرحمن الداخل** في مايو (أيار) ٧٥٦ م ، كنا قد فقدنا نحو سُدس الجزيرة في الشمال الغربي ، لا عن ضعف أو لأن أحداً أخرجنا منه ، بل لأن شبه الجزيرة كان شاسعاً ، ثم إن فتنة كبرى وقعت بين العرب والبربر في الأندلس في أواخر عصر الولاة ، أي قبل مجيء عبد الرحمن الداخل ، فنزح معظم العرب والبربر الذين كانوا قد نزلوا هذه النواحي حتى مجرى نهر المينو ، نزحوا إلى الجنوب والوسط مخلفين

أراض شاسعة، امتد فيها نصارى الإسبان المحصورين شمالي الجبال الكنتبرية وانساحوا في نواحي ما يعرف الآن باسم «**ليون**». وبعد قليل جعلوا عاصمتهم مدينة (ليون)، ومن ذلك الحين سنة ٨٥٦م، بدأ الصراع بين الإسلام والنصرانية يأخذ طابع الحرب، بينما كان النصارى قبل ذلك أقل من أن يثيروا على المسلمين حرباً.

ومن قيام الدولة الأموية الأندلسية إلى انتشار أمر تلك الدولة بقيام الفتنة الكبرى على خلافة قرطبة سنة ١٠٣١م، ثبتت حدود الأندلس الإسلامي عند خط يمر بين مجريي نهر (المينو) ونهر (دُويرة)، فقد عرف أمراء قرطبة وخلفاؤها كيف يوقفون الإمارات النصرانية الشمالية عند هذا الحد، وأنشأوا على طول حدودهم الشمالية ثلاث مناطق عسكرية محصنة بالقلاع والرجال، وهذه المناطق تسمى الثغور، فهناك الثغر الأعلى وقاعدته سرقسطة، والثغر الأوسط وقاعدته مدينة سالم والثغر الأدنى وقاعدته الأشبونة.

وما دام المسلمون محافظين على سلامة تلك الثغور، فقد ظل الأندلس الإسلامي آمناً مرهوباً، وقد كان آخر من ثبت قواعد الإسلام عند ذلك الخط الثغري **عبد الرحمن الناصر** أعظم خلفاء الأندلس، وواحد من أعاظم خلفاء الإسلام.

وكان من أسس تأمين الأندلس عند الناصر الوقوف في حروبه مع نصارى الشمال عند الحد المأمون الذي يؤمن حدود الإسلام، ويُعلي شأنه في شبه الجزيرة دون التمادي في الهجوم إلى حد يشعر فيه ملوك النصارى وأمراؤهم أن وجودهم نفسه مهدد بالفناء، وهنا يقاتلون قتال المستميت ويكلفون المسلمين تضحيات بلا حدود، ثم لا يمكن بعد ذلك القضاء عليهم تماماً، لأنهم كانوا قد استقووا في نواحيهم رغم صغر حجمها، وازدادوا ثروة وقوة مع الزمن، وظهر في بلادهم ملوك أقوياء ذوي شدة وصلابة وطموح من أمثال **اوردينو الأول** (٨٥٠ - ٨٦٦م)، وهو الذي مدَّن مدينة ليون وجعلها عاصمة لمملكته فأصبح اسمها **مملكة ليون** بعد أن كانت إمارة صغيرة في اشتُريس وجليقية، **والفونسو الثالث** الملقب بالكبير ملك ليون (٨٦٦ - ٩١٠م) الذي تقدم بحدود بلاده جنوباً حتى جعلها قريبة جداً من مجرى نهر دويرة، وعمَّر بلاداً قديمة مثل برغش وسهاجون وابلاسنتية Palencia وغيرها.

بلاد إسبانيا النصرانية

وجدير بالذكر أن البلاد التي قامت فيها دول النصارى، وخاصة مملكة ليون، كانت على صغرها بلاداً غنية وافرة المحصولات والخيرات، فهنا كانت أغنى **مناجم الحديد** في شبه الجزيرة، وهنا أيضاً كان المطر غزيراً والماء متوافراً، فقامت **أكبر مزارع القمح** في شبه الجزيرة في سهول إقليم ليون، وانتشرت أراضي المراعي فكثر حيوان المرعى وتوافر الغذاء الكثير للناس، وزرع الناس الشعير الجيد، وهو أحسن طعام للخيل، وبفضل هذه الخيرات غني ملوك ليون وازدهرت مدنهم وتضخمت جيوشهم، وأصبح كل مقاتليهم فرساناً دارعين، وهذا يفسر لنا عنف المقاومة التي لقيتها جيوش الناصر في مواجهة قوات مملكة ليون من ناحية ومملكة نبرة Navarra من ناحية أخرى، ومعظم أراضي نبرة هذه كانت بلاد الباسك أو البشكومس الجبلية الغنية بالمزارع والمياه والغابات.

وقد توفي الفونسو الثالث قبل ولاية عبد الرحمن بن محمد الثالث (أو الناصر) بسنتين، فقد مات سنة ٩١٠م، وتولى عبد الرحمن سنة ٩١٢م، وكان عليه أن يستطيع جمع قواه ومواجهة تقدم مملكة ليون.. كان عليه أن يعيد وحدة بلاده والقضاء على الثوار الذين تقاسموا معظم أراضي الأندلس الإسلامي في أيام **الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط** (٨٥٢ - ٨٨٦م)، **والأمير عبد الله بن محمد** (٨٨٦ - ٩١٢م).

وقد تمكن عبد الرحمن بن محمد من القضاء على كل محاولة لملك ليون للوصول إلى مجرى نهر دُويرة، ثم أعلن نفسه خليفة في رمضان ٣١٦هـ/ أكتوبر (تشرين الأول) عام ٩٢٨م، وانتهج سياسة هي الغاية في الحكمة حتى اعترف به كل ملوك النصرانية سيداً لشبه الجزيرة، وفيصلاً فيما يشجر بينهم من خلافات.

وظل الأندلس على هذه الحال من القوة أيام ابنه **الحكم المستنصر**، ثم حفيده **هشام المؤيد** الذي استبد بأمره رجل طموح مستبد هو **المنصور محمد بن أبي عامر** حكم الأندلس بيد من حديد (٩٧٦ - ١٠٠٣م) ووالى الغزوات العنيفة على النصارى حتى ملأ قلوبهم رعباً وفاضت نفوسهم حقداً على المسلمين، فما كاد عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر يتوفى سنة ١٠٠٧م، ويخلفه أخوه عبد الرحمن،

★ صورة لشارع عربي الطراز في حي سانتا كروث في إشبيلية ★



حتى شرهت نفوسهم إلى الأخذ بالثأر ، وما أن وقعت الفتنة في الأندلس ابتداء من ١٠٠٩ م ، حتى أقبلوا يهاجمون الأندلس بكل عنف الحاقد الخائف .

بأيدينا بنينا أعداءنا

وما دامت وحدة الأندلس الإسلامي قد ضاعت ، وتقاسم أرضه ملوك الطوائف ، فقد أقبل ملوك إسبانيا النصرانية يضغطون على حدود الأندلس ضغطاً عنيفاً ، وأخذت تبني كيانها بما تصيب من أرض الأندلس ، فانقلبت من الخوف وضيق الأرض والضعف إلى الجرأة واتساع الرقعة والقوة ، فمملكة ليون التي اتحدت مع كونتينة قشتالة على يد فرناندو الأول سنة ١٠٣٧ م ، تشجعت فاستولت على مملكة **طليطلة** أكبر ممالك الطوائف سنة ١٠٨٥ م .

وباستيلاء مملكة ليون وقشتالة على **طليطلة** ، تحولت إلى مملكة واسعة الأراضي وافرة الخبرات ، بل أصبحت أكبر قوة في شبه الجزيرة وطمح ملوكها إلى الاستيلاء على بقية الأندلس . **ومعنى ذلك أننا ـ نحن المسلمين ـ بضعفنا وقلة نظرنا صنعنا مملكة ليون وقشتالة ، وكذلك صنعنا مملكة أرغون سنة ١١١٨ م ، عندما تراخينا في حماية الثغر الأندلسي الأعلى وقاعدته سرقسطة** .

وباستيلاء أرغون على مملكة سرقسطة أصبحت هي الأخرى مملكة ذات قوة ومطامع ، وكانت إلى الأمس القريب إمارة هزيلة في لحف جبال ألبرت ، قاعدتها مدينة بدائية تسمى بنبلونة Panplona .

وهكذا تكفلنا نحن ببناء إسبانيا النصرانية ، ما زلنا نتغافل ونتقاعس حتى صنعوا أنفسهم من لحمنا ، وتحولنا نحن إلى المساكين المستضعفين ، وكنا من قبل سادة الأرض وما عليها في شبه الجزيرة .

والقصة طويلة وأليمة رويناها في مواضع أخرى ، ولكننا نوجزها في الخريطة المرافقة لهذا المقال .

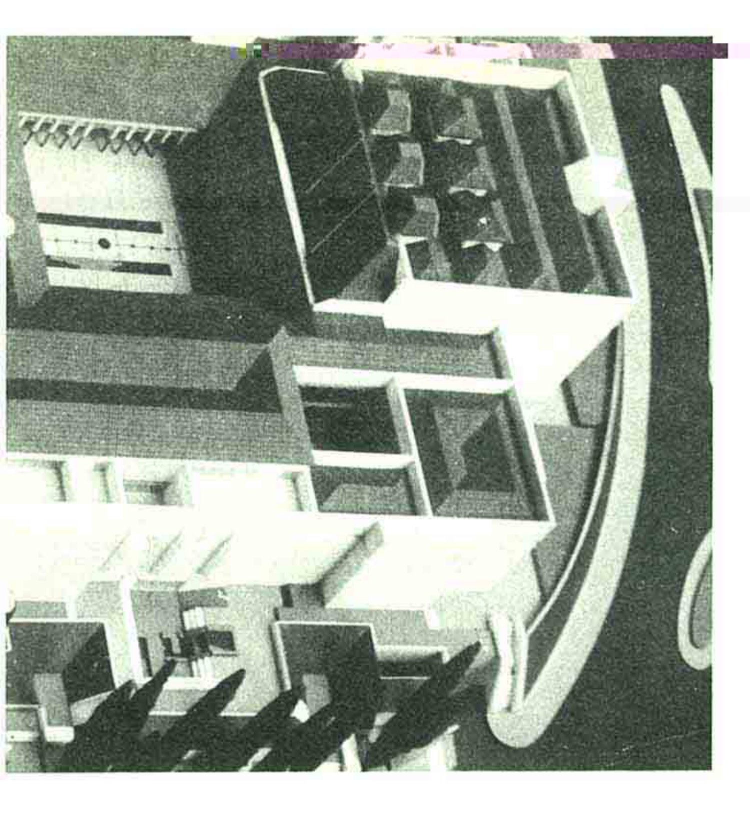
الأندلس يعود في صورة جديدة

وقد ذكرت في أول هذا المقال لماذا أرى وأحس أن الأندلس موعود لا مفقود .

وفي بقية هذا المقال أذكر كيف يعود إلى الوجود :

ولست أعني بذلك أن أندلسنا العربي الإسلامي من الممكن أن يبعث حياً كاملاً كما كان ، فيرتد عربياً إسلامياً ، فإن ذلك وهم وأحلام ، ثم إننا نحن عشاق الأندلس لا نحلم ببعثه من جديد ، لأنه حيّ في أفئدتنا لا يبيد ، فنحن نعيش فيه ونتقصى تاريخه وأحوال أهله ونتمثله في القليل الباقي من مبانيه ومغانيه ، وعندك إذا كنت تريد أن تلقى الأندلس مبنىً ومغنىً **قصور الحمراء** وما يتصل بها من **جنة العريف** .

وقصور الحمراء وجنانها صورة مصغرة للأندلس الكبير ، أبقى عليها الزمان عبرة وذكرى للمجد الذي كان . **فإن مجد الأندلس قام على الأسس التي يقوم عليها كل بناء حضاري : عقيدة سليمة وشريعة (أي قانون) سليم يوفر العدالة ، وإدارة سليمة**



تحمي حقوق المواطنين وترعى مصالحهم ، وفكر سوي يوجه الحضارة ، وفن جميل يعطي الحياة رونقاً .

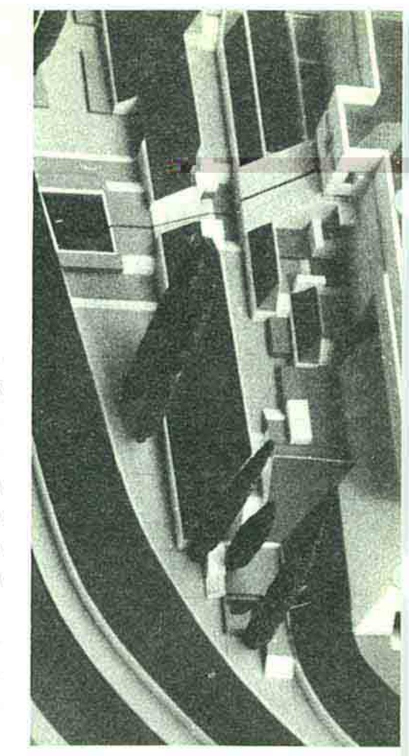
فأما العقيدة فيمثلها الإسلام ، ورمزه في مباني الحمراء هو المسجد الذي تراه على اليمين في مدخل **قاعة المشور** ، وقد زال المسجد الآن ، ولكن بابه الجميل لا زال باقياً محتفظاً بكل جماله العربي الأندلسي ، ثم إن كل منشآت الحمراء يلفُّها كلها طابع إسلامي غلاب ؛ آيات قرآنية كريمة ، مشكاوات دقيقة الصنع ، وتوجيه قرآني للزخارف والتوريقات . حتى الألوان قرآنية ، كأن الذين عملوا زخارف الحمراء لم يستعملوا إلا ألواناً وردت في القرآن : الأخضر والأحمر والأصفر والأبيض والذهبي والفضي . أما الأزرق والبنفسجي ، وهما لونان لم يرد لهما لفظ في القرآن ، فيسميان في مصطلح العمارة الغرناطية بالاستبرق .

وأما الشريعة فهي شريعة الإسلام ، وهي أساس الحكم والعدالة في الحمراء والأندلس كله ورمزها المسجد وهو مجلس القضاء ، والمَشْوَر وهو مجلس السلطان مع رجاله للتشاور في أمور الجماعة ، والشورى قاعدة إسلامية أساسية .

وأما الفكر السويّ فتراه واضحاً في التنسيق والترتيب ، فكل شيء هنا مرسوم بعقل وحكمة وروية : القاعات والأبهاء والدهاليز كلها منشأة على أساس منطقي .

وأما الإدارة ، فإن أمراء بني نصر الأولين الذين أقاموا دولة الحمراء التي اعتصم فيها الإسلام في شبه الجزيرة نحو قرنين من الزمان ، كانوا أهل إدارة سليمة وترتيب رائق ، فقد حصنوا مملكتهم تحصيناً عظيماً بإنشاء الجيش القوي والحصون المنيعة ، والحمراء نفسها حصن سامق يقوم على تل رفيع .

وأما الفن فكل الحمراء إبداع فني : المباني والخضرة والزخارف ومجاري المياه . وعلى جدار الحمراء كتبت قصائد **أبي عبد الله بن**



★ صورة لمصغر مبنى مسجد قرطبة الجامع الذي تشترك في تكاليف بنائه عدة بلاد عربية هي السعودية (٢ مليون دولار) ودولة الإمارات العربية المتحدة (٧٢ , ٣٥٠ , ٥٤٠ دولاراً) والكويت (نصف مليون دولار) وليبيا (٦٨٠٠٠ دولار) وإيران (٥٠ ألف دولار) وعمان (٥٠٠ دولار) وتونس والأردن بمبالغ أقل ، والمشروع من تصميم عدد من المعماريين البولنديين . وقد اختير من بين مشروعات عالمية أخرى ، وقامت بالاختيار لجنة من سفراء العرب في مدريد وبعض الفنيين . والمشروع جديد في هندسته ولكنه لا يحمل أي طابع عربي أو إسلامي ★

زمْرك شاعر الحمراء ، وديوان ابن زمْرَك هو الديوان الوحيد الذي نشر منقوشاً على الجدران .

ومعظم قصائد ابن زمرك احتفظ لنا بها المقَّري في كتابيه « نفح الطيب » و « أزهار الرياض » ، واحتفظت لنا بجزء كبير منها جدران الحمراء وخاصة البائيتان البديعتان ، والأولى مطلعها :

سل الأفقَ بالزُّهر الكواكب حاليا
فـأني قـد أودعتُـه شرحَ حاليا

ومن أجمل ما تقرأه فيها في وصف المباني :

به البَهْوُ قد حاز البهاءَ وقد غدا
بـه القصرُ آفاق السماء مباهيا

وكم حليـة جلَّلتْـهُ بحُليِّها
من الوشْي تنسي السابري اليمانيا[٢]

وكم مـن قسيٍّ في ذراه ترفَّعت
على عمد بالنور باتت حواليا

وتقرأ فيها ذلك البيت الجميل :

تمد لها الجوزاء كفَّ مصافح
ويدنو لها بدرُ السماء مناجيا

الأندلس اليوم

وفي مصطلح الجغرافية الإقليمية الإسبانية اليوم يطلق لفظ الأندلس محرفاً إلى **إندالوثيا** Andalucia على ثماني مديريات أو محافظات تقع جنوبي إسبانيا ، هي من الغرب إلى الشرق : وَلْبَة Huelva ، وإشبيلية ، وقرطبة ، وجيان Jaen ، وقادش ، ومالقة ، وغرناطة والمرية .

وهذه المحافظات التسع تقع كلها في حوض **الوادي الكبير** جنوبه ، أو شرقه أو غربه ، وهي من الناحية الجغرافية في مستو وحوض الوادي الكبير وما يقع جنوبه من الأرضين كان قلب الأندلس الإسلامي ، هنا كانت معظم المدن التاريخية الإسلامية ، ومن هنا كانت معظم الشخصيات الكبرى التي يزدان بها تاريخنا الفكري .

ولعلك لا تتصور أن محافظة وَلْبة التي تراها في أقصى غربي الأندلس على الخريطة ، أخرجت اثنين من أعاظم علماء الأندلس الذين يشرق بهم وجه حضارتنا : **أبو عبيد عبد العزيز البكري** من أعاظم الجغرافيين في تاريخ العلم عند العرب ، فهو من أهل جزيرة شلطيش القريبة من ولبة ، والثاني **أبو محمد علي بن أحمد بن حزم** فهو من أبناء قرية صغيرة في تلك المحافظة تسمى منت ليشم ، فيها نشأ بيته ورحلوا إلى قرطبة ، حيث نبه شأن أبيه ووصل إلى الوزارة أيام المنصور محمد بن أبي عامر ، ونشأ ابن حزم في حي ربَض المغيرة في الجانب الشرقي من قرطبة الذي يسمى إلى اليوم أخاركيا (الشرقية) ، وحي ربض المغيرة يسمى الآن سان لورنزو ، **وفي نفس الموضع الذي كانت فيه دار بني حزم تقوم اليوم كنيسة سان لورنزو .**

وفي قرطبة تعلَّم ابن حزم وظهر أمره ، وبلغ الوزارة في أيام عبد الرحمن الخامس الملقب **بالمستظهر بالله** ، وهو خليفة مسكين من خلفاء عصر الفتنة ، ما كاد يجلس على العرش القلق حتى طُرد منه ، وانصرف ابن حزم عن السياسة بعد ذلك وعاد إلى ضيعته في منت ليشم ، وهناك في هدوء وصمت كتب أعاظم مؤلفاته .

أما **المرية** ــ وهي لا تقع في حوض الوادي الكبير ولكنها كانت مركز البحرية الإسلامية ، وفيها كانت أكبر دور الصناعة أي الترسانات التي تبنى فيها السفن وتصلح ، فهي من إنشاء العرب ، واسمها عربي : المرية أي المرئية أي الناظور البحري الذي يرى من بعيد ، وفي حوز المرية قامت مدينة بجّانة ، وكانت مركزاً تجارياً عظيماً ، وقد أنشأ التجار فيها بإذن من عبد الرحمن الأوسط شبه جمهورية تجارية على غرار الجمهوريات الإيطالية التجارية من أمثال **البندقية ، وجنوه ، وبيسة (بيزا) ، وأمالفي** ، وأهل بجانة كتبوا مجلدات في تاريخ البحرية التجارية الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط .

موقف الحكومات الإسبانية من الأندلس

وفي مراحل الصراع الأخيرة على مصير شبه الجزيرة خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين أطلق الإسبان اسم أندالوثيا على كل الإقليم الذي يسمى بأندالوثيا اليوم خاصة بعد قيام مملكة غرناطة وتصديها للدفاع عما بقي للإسلام في شبه الجزيرة ، فنظر ملوك قشتالة ، ثم ملوك قشتالة وأرغون (بعد اتحادهما في مملكة واحدة سنة ١٠٣٧ م) ، إلى الأندلس أو أندالوثيا على أنه أرض معادية ، وحدود الإقليم التي تراها على الخريطة كانت ثغوراً للإسلام وأهله إذ ذاك .

هنا على تلك الحدود قامت حروب طويلة بين الإسلام والنصرانية ،

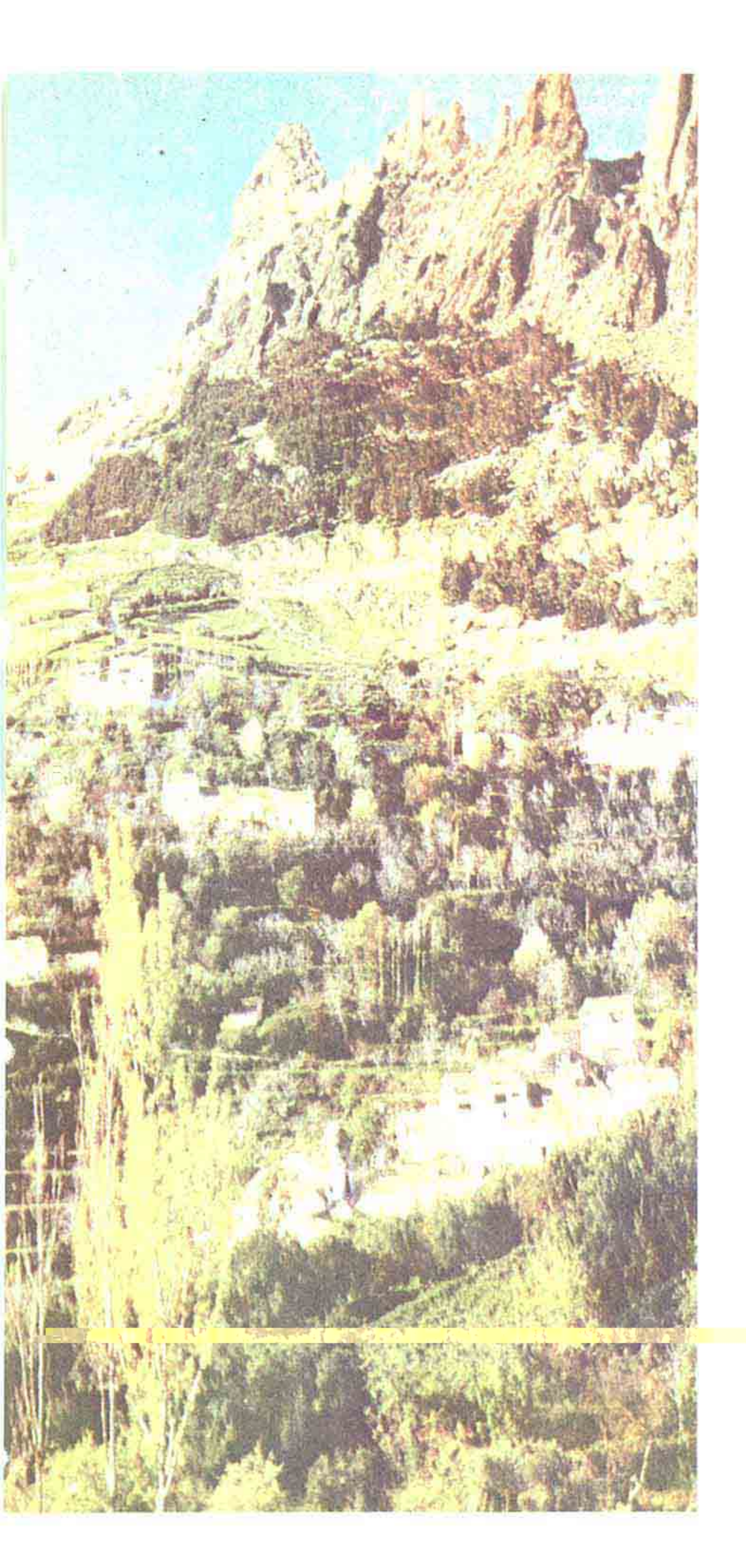
ونشأ طراز من الشعر الإسباني يسمى بشعر الثغور ، فيه أحاديث طويلة عن بطولات المسلمين في الدفاع عن بلادهم ، لأن الإسبان في صراعهم الطويل للقضاء على ما بقي للإسلام في شبه الجزيرة ، تعودوا احترام المسلمين ، لما كانوا يظهرونه من بسالة وبطولة في الدفاع عن بلادهم ، وتحدثت ملاحم الحرب الشعبية الإسبانية عن أبطال مسلمين من أمثال **بني سراج ، وأبناء التغري** ، وصوروهم في صور تشرف هؤلاء الأبطال حقاً ، بل هناك قصص بطولة تدور حول شخصيات إسلامية ، ومن هذه قصة جميلة تسمى **مجد الدون راميرو** La gloria de Don Ramiro بطلها عربي محارب وفارس نجدٌ أحب شريفة إسبانية مسيحية ، وقد هربت معه إلى الجبال ، وصارع الاثنان صراع المستميت وقتلا أعظم فرسان قشتالة المسمى راميرو ، وهذا الموت على يد **جعفر الفارس العربي** هو مجد الدون راميرو .

وبعد سقوط غرناطة في يد الملكين الكاثوليكيين فرناندو وايزابيلا ١٤٩٢م ، أصبحت أراضيها جزء من مملكة قشتالة وأرغون ، ولكن القشتاليين ظلوا ينظرون إلى الغرناطيين وأهل الأندلس عامة نظرة ريبة ، وذهب نفر من كبار القساوسة الإسبان الذين كانوا يعملون نصحاء لملوك إسبانيا إلى أن كل الأندلسيين مسلمون مستورين ، يعلنون النصرانية تَقِيَّة ولكنهم يبطنون الإسلام ، ولهذا أقاموا محاكم التحقيق التي أشرف عليها رجال دين هم أبعد ما يكونون عن روح أي دين ، وعلى رأسهم **الكاردينال تيسنيروس ، والأسقف خوان دي سيجوبيا** ، وغيرهما من السفاحين .

وانتهى الأمر على ما نعرف بإصدار قرار إخراج بقايا **الموريسكيين** من الأندلس سنة ١٦٠٩م ، فأخرجوا ألوفاً بعد الوف ، فمنهم من ذهب إلى المغرب الأقصى ، ومنهم من ذهب إلى المغرب الأوسط ، وقد تجرد الكثيرون منهم لمهاجمة السفن والسواحل الإسبانية انتقاماً لما فعله الإسبان بهم ، وشيئاً فشيئاً أصبحت هذه العملية حركة جهاد بحري واسع النطاق ، هي التي يسميها الأوروبيون القرصنة المغربية التي طالما حمل عليها المؤرخون الأوروبيون .

ومن الطريف أن هذه الحركة التي بدأت بأعمال جهاد متقطعة وفردية تحولت إلى حركة إسلامية عامة دخلت فيها الإمبراطورية العثمانية عن طريق الأخوين المغامرين مروح وخير الدين برباروسا ، وانتهى الأمر باستيلاء الأتراك على المغرب كله ، عدا المغرب الأقصى الذي تولى أمره **الأشراف السعديون** عن كفاية وجدارة .

وكان دخول المغرب في دولة آل عثمان انقاذاً له من الاستعمار الإسباني ، فقد كان الإسبان خلال النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي قد احتلوا **وهران وتلمسان والجزائر وتونس وطرابلس** . وكادوا في أيام ملكهم **فيليب الثاني ابن شارل الخامس** (شرلكان) ابن خوانا بنت فرناندو وايزابيلا قد قرروا أن يضعوا أيديهم على المغرب كله (عدا المغرب الأقصى) ويعلنوا فيه حرباً صليبية ، فجاء الأتراك العثمانيون وأوقفوا ذلك كله . والفضل في الحركة كلها يرجع إلى هؤلاء المجاهدين البحريين الأندلسيين الذين حوّلوا النقمة التي حلت بهم في



الأندلس إلى نعمة على المغرب ، وسبحانه يقدر ثم يلطف في قضائه .

★ ★ ★

ونتيجة لهذا الموقف الذي وقفه المطرودون من الأندلس من المسلمين وقفت السلطات الإسبانية موقفاً عدائياً من كل بلاد أندالوثيا ، أي الأندلس في التقسيم الإقليمي الإسباني ، فعاملت الحكومة أهل الأندلس جميعاً بالشك والريبة في كل أعمالهم ، واستقر في أذهان الإسبان أن كل أهل الولايات أو المحافظات الأندلسية مسلمون متنكرون وقالوا إنهم جميعاً موريسكيون . **والموريسكو** Morisco **لفظ إسباني معناه العربي أو**

المسلم الصغير ، فإن لفظ مورو Moro استعمل في إسبانيا للدلالة على العرب أو المغاربة أو المسلمين عامة ، ومن هذا اللفظ أتى لفظ Moor الإنجليزي ويراد به المسلم أو المغربي ، فلما ضعف المسلمون في الأندلس واستغلب النصارى بلادهم سُمُّوا من خضع لحكمهم باسم **المدجنين** Los mudejanes أي المسلمين الذين « دجنوا » وقبلوا الحياة تحت سلطان [illegible] مصغر « مورو » ومعناه العرب أو المغاربة الصغار .

نظر الإسبان إذن إلى كل أهل الأندلس على أنهم موريسكيون ، أي أعداء مستورون ، فحَرَّموا عليهم الهجرة إلى مستعمراتهم في أمريكا الوسطى والجنوبية مخافة أن يعلنوا إسلامهم هناك ويقوموا بما لا تريده الحكومة الإسبانية في مستعمراتها . **وجدير بالذكر أن الذي أعطى كولومبوس فكرة السير غرباً في بحر الظلمات كان رجلاً مسلماً هو أبو عبيد عبد العزيز البكري** الذي قال في كتابه « **المسالك والمدارك** » : « إن المبحر في بحر الظلمات نحو مغرب الشمس وصل إلى الصين » وقد اطلع كولومبوس على ما كتب البكري وسعى في تنفيذه ، بل كان من بين كبار بحارة سفن كولومبوس الثلاث التي حملته إلى أمريكا الوسطى في رحلته الأولى عدد من المسلمين (المتنصرين ظاهراً في الغالب) ، وقد كتب هو أسماءهم على أشرعة السفن في الخرائط التي رسمها وضمنها مذكراته التي كتبها في سجنه عندما سجن المرة الرابعة ، ومن بينهم واحد يسمى أبو بكر ، وقد كتبه كولومبوس في صورته البرتغالية المحرفة وهي Albuquerque .

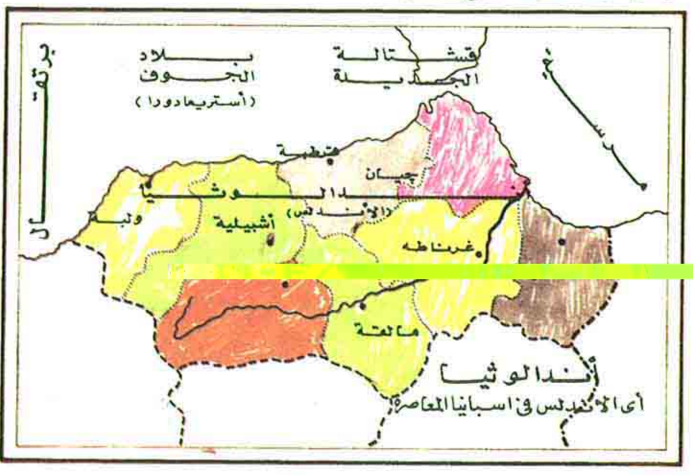
ومن غريب ما نقرأ أن مؤسس المستعمرات البرتغالية في المحيط الهندي كان رجلاً برتغالياً هو افونسو البوكيرك أي الفونسو أبو بكر (١٤٥٣ — ١٥١٥ م) وهو الذي انتزع من المسلمين جوا ومالقة ، وكان من أشد البرتغاليين تعصباً وقسوة وجرأة في النهب وإغراق سفن المسلمين .

* * *

وقد استمر الحظر على أهل الأندلس حتى القرن السابع عشر الميلادي ، فكان الأندلسي الذي يريد الهجرة إلى العالم الجديد يهاجر أولا إلى قطلونية (برشلونة) أو بلنسية ، ومن هناك يدخل في السفن المسافرة إلى العالم الجديد . وقد تجمعت منهم أعداد كثيرة في منطقة الرّيو ولا بلاتا في **الأرجنتين** الحالية ، فنقلوهم إلى الدواخل لكثرة شغبهم ، وهناك أسسوا مدينة من أزهر مدن الأرجنتين الحالية وهي **قرطبة الأرجنتين** ، وهي اليوم ثانية عواصم البلاد بعد بوينوس أيريس ، وتليها روساريو ثم مندوثا .

ووقفت الحكومات الإسبانية المتعاقبة موقف الإهمال للأندلس وأهله ، فلم تكن الحكومات تهتم بإنشاء مرافق أو إجراء إصلاحات في بلاد

★ صورة مزدوجة لجزء من الطريق من طليطلة إلى قرطبة الذي يوجد فيه خانق دسبنيا بيروس الوارد ذكره في المقال ، وهذا الخانق يفضي إلى جيان وبقية الوادي الكبير ، وقرب هذا الخانق وقعت معركة العقاب التي حصدت فيها جيوش الموحدين ، وكان هذا إيذاناً بضياع الأندلس ★



الأندلس ، وربما اهتم الملوك بالعواصم مثل إشبيلية وغرناطة ، ولكن القرى الأندلسية كانت تتدهور باستمرار ، وأقبل الأغنياء من الشمال وخاصة من قشتالة وقطلونية فاشتروا الضياع بأرخص الأسعار ، واستعملوا أهلها أرقاء للأرض ، وجنوا الثروات الطائلة بينما ازداد الناس فقراً وبؤساً ، ونتجت عن ذلك هجرة جماعية من شباب الأندلس إلى أمريكا الجنوبية ، وخاصة بلاد أمريكا الوسطى وبيرو وكولومبيا واكوادور ، فازهرت هذه البلاد بينما تدهور الأندلس إلى درك سحيق من الفقر والحاجة ، وتحولت مدن إسلامية كانت زاهرة إلى قرى كابية يسودها البؤس ، ولدينا كتاب مصور عمله رجل ألماني صوَّر فيه الأحوال في الأندلس في أوائل هذا القرن العشرين ، فلا ترى في صوره إلا مناظر البؤس والفاقة والخراب ، وظهرت جماعات اللصوص التي قطعت الطرق وأوقفت المواصلات ، وفي أواخر القرن الماضي توقف تماماً الطريق الرئيسي من **مدريد** إلى قرطبة عبر إقليم المنشا وخانق وسبينيابيروس Despeniaperros الذي يسميه العرب « مَطْرَد الكلب » ، إذ سيطر على ذلك الطريق قاطع طريق هو **خوان خوسيه** الذي اشتهر اسمه في أوروبا كلها . وفي رواية (**كارمن**) ، وهي أسطورة أندلسية مجد أسمها **الموسيقي الفرنسي جورج بيزيه** بتحويلها إلى أوبرا ، نرى كيف تحول أهل الأندلس إلى غجر متسولين أو لصوص يعتصمون في الجبال ، و (كارمن) بطلة القصة تمثل الغجر الفقراء ، في حين أن الدون خوسيه بطل القصة يمثل اللصوص وقطاع الطرق .

وازداد بؤس أهل الأندلس قبيل **الحرب العالمية الأولى** ، فلم يبق فيه بعض الازدهار إلا في إشبيلية التي اهتم بها ملوك البوربون وحوَّلوها إلى ضيعة لهم ، وأنشأت فيها الملكة **ماريا لويسا** الحدائق المشهورة بهذا الاسم هناك ، أما قرطبة فقد تدهورت تدهوراً بالغاً . وكذلك جيان Jaen والمرية وغرناطة فقد أصبحت أفقر بلاد أوروبا ، وقد ازهرت قادش بعض الشيء ، لأن بعض الأغنياء القشتاليين بالاشتراك مع نفر من الإنجليز اهتموا هناك بمصانع النبيذ المسمى باسم نبيذ شريش وهو المشهور باسم Jereg ، ويحرفه الإنجليز إلى Cherry ، وقد أثْرت مدينتا شريش وقادش من هذه الصناعة .

وفي سنة ١٩١٤ م ، رفض الأندلسيون استقبال ملك إسبانيا عندما كان يقوم برحلة ملكية واضطروا الملك إلى العودة ، وقد وجه إليهم أسقف إشبيلية خطاب لوم شديد ، فطردوا الأسقف أيضاً ونهبوا الأسقفية .

تحسن أحوال الأندلس

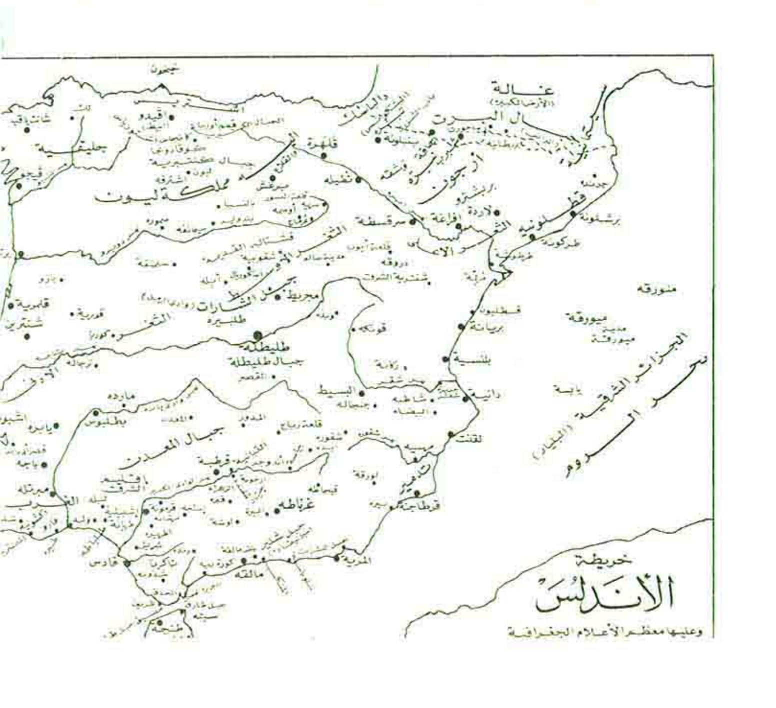
ولم تتحسن أحوال الأندلس إلا أيام الكاوديو El Caudillo وهو الزعيم ورئيس الدولة الإسبانية الذي أنقذ إسبانيا من براثن الشيوعية وحكمها من سنة ١٩٣٦ م إلى ١٩٧٥ م ، نقل إسبانيا كلها من الفقر والفوضى إلى النظام والازدهار ، وقد وصل إلى ذلك عن طريق نظام استبدادي مطلق ، وقد نفر الناس منه في أول سنوات حكمه ، ولكنه أثبت في النهاية أنه حوَّل إسبانيا من بلد مضطرب متفرق فقير إلى بلد مستقر متحد راضي الأحوال ، وهذه حقيقة تشفع له عند معظم الإسبان اليوم .

وسر اهتمام **فرانكو** بالأندلس ، أنه عندما أعلن ثورته على الحكومة الشيوعية كان حاكماً **لجزر الكناريا**س ، ومنها انتقل إلى **مدينة سبتة** ، ثم عبر إلى الأندلس ، فانضمت إليه كل بلاد الأندلس على أمل تحسين أحوالها ، وكان في فرانكو ميل إلى العرب والمسلمين ، لأنه عمل سنوات قائداً للجيش الإسباني في المنطقة الشمالية للمغرب التي كانت تعرف بالمنطقة الخليفية ، فعرف المسلمين عن كثب ، وعندما عبر إلى إسبانيا أخذ معه فرقة من المغاربة أيدته أعظم تأييد ، وعندما انتصر فرانكو ودخل مدريد في ١٨ يونيو (حزيران) ١٩٣٩ م ، كانت الفرقة المغربية أول فرقة تدخل مدريد . **وكان المغاربة يكوِّنون حرس فرانكو الخاص حتى استقلال المغرب سنة ١٩٥٦ م .**

أزهرت بلاد الأندلس في أيام فرانكو ازهاراً عظيماً ، فأنشئت الطرق الكبرى ، والمصانع في محافظات الأندلس ، واهتم فرانكو اهتماماً خاصاً بميناءي المرية ومالقة ، وكان فرانكو يزور الأندلس مرة في العام ، ليرى تطور المشروعات الإنتاجية ، وكان فرانكو رأسمالياً التفكير ليس في ذهنه ذرة من الاشتراكية ، ولكنه اهتم بنقابات العمال ونظمها مع إخضاعها لنظامه حتى قال مرة إن إسبانيا دولة نقابية ، واهتم اهتماماً بالغاً بالتعاونيات ، وفتح الأبواب أمام رؤوس الأموال ، وقدم لها المعاونات فقامت الشركات والمصانع في بلاد الأندلس ، وتشجع الأندلسيون فأقبلوا يعملون في حماس بالغ ، فبدأ الأندلس في الازهار .

ثم جاءت الحركة السياحية من أوائل الستينات ، وتنبه الناس إلى جمال شواطئ الأندلس الجنوبية التي تسمى **بشاطئ الشمس** La Costa del Sol مثل مالقة وتوريمولينوس وفوينخيرولا التي يسميها العرب سُهيل ، ومربيًّا وهي عندنا مربلة ، والمونيكار وهي عندنا المنكَّب ، وفي المنكب كان نزول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك عندما دخل الأندلس وأنشأ الإمارة الأموية في قرطبة في ١٥ مايو (أيار) ٧٥٦ م .

وبفضل السياحة أزهر الأندلس كله ، لأن الآثار الإسلامية في الأندلس كانت أجمل ما يجذب السائحين ، وتحول


خريطة الأندلس
وعليها معظم الأعلام الجغرافية

مسجد قرطبة الجامع في قرطبة وقصور الحمراء في غرناطة أعظم جواذب السياحة في العالم ، وبلغ عدد زوار المسجد في المتوسط عشرين مليوناً في السنة ، كان كل منهم يدفع نحو ٢٥ بيزيتا (نحو ٢٥ قرشاً) للدخول ، فأصبح هذا المسجد الجميل أغنى مزارات الدنيا ، وزاد دخله على دخل اللوفر في باريس .

الأندلس يتجه إلى الاستقلال الذاتي

وابتداء من سنة ١٩٧٧ م ، بدأت تجتاح إسبانيا موجة الأقاليم المستقلة استقلالا ذاتياً أو ما يسمى باسم Las Autonomias ، لأن إسبانيا في الحقيقة لم تتكون من أول الأمر تكويناً داخلياً كما تكونت فرنسا حول العرش الفرنسي ، ولكن إسبانيا بدأت أقاليم جغرافية صغيرة متفرقة هي اشتريس التي تحولت إلى ليون وجيليقية في الركن الشمالي الغربي ، ثم قشتالة القديمة وقاعدتها بُرغش وتمتد إلى الشمال عند سانتاندير ، ثم نبرة Navarra وهي بلاد الباسك وعاصمتها بنبلونة ، ثم أرغون التي اتحدت أول الأمر مع قطلونية ونشأ عنها عرش أو تاج أرغون Corona de Aragón ، ثم قشتالة الجديدة ، وهي على وجه التقريب مملكة طليطلة من ممالك الطوائف ، وقد استولى عليها الفونسو السادس ملك ليون وقشتالة ، [illegible] أندالوثيا على ما ذكرنا ، وقد بقيت بعد ذلك ناحية بلنسية التي يسميها الإسبان مملكة بلنسية El Reino de Valencia وقد استولت عليها مملكة أرغون وجعلتها من توابعها ، ثم مرسية وكانت تسمى مملكة مرسية El Reino de Murcia وقد استولت عليها قشتالة وضمتها إليها ، ولكن بلنسية ومرسية ظلتا إقليمين متميزين .

وفي سنوات تدهور الملكية البوربونية في إسبانيا عقب غزو نابليون لإسبانيا ، بدأت الأقاليم تطالب بالانفصال عن إسبانيا ، وتزعمت ذلك بلاد الباسك وبلاد قطلونية وعاصمتها برشلونة ، وقد وافقت الحكومة الجمهورية التي حكمت إسبانيا من سنة ١٩٣١م إلى سنة ١٩٣٦م ، على منح الاستقلال الذاتي لإقليم قطلونية ، ولكن حكومة فرانكو ألغت ذلك .

وبعد عودة الملكية بعد وفاة فرانكو بدأت الأقاليم تطالب بالاستقلال الذاتي وفي مقدمتها بلاد الباسك ثم قطلونية ، وقد وافقت الحكومة الملكية على إعطاء الاستقلال الذاتي لقطلونية ثم لبلاد الباسك ، فأصبح كل منهما إقليماً مستقلاً ذاتياً له حكومته وبرلمانه وحاكمه الذي تعينه الحكومة ، وليس في ذلك ضير ، لأن الولايات المتحدة دولة إقليميات هي الولايات ، وألمانيا دولة ولايات ، والهند دولة ولايات وإنجلترا اليوم دولة ولايات بعد أن استقلت كل من اسكتلندا وويلز استقلالا ذاتياً .

★ ★ ★

وأعود إلى إسبانيا في أكتوبر / نوفمبر (تشرين الأول / تشرين الثاني) ١٩٨٠ م ، ولم أكن زرتها منذ عام ١٩٧٤ م ، فأجد الأندلس أو أندالوثيا على وشك أنْ تنال استقلالها الذاتي الإقليمي أو ما يعرف باسم La Autonomia Andaluza ، وأقرأ الصحف فأجد الموضوع حقيقة لا مجرد تفكير ، وأجد البرلمان الإسباني مهتماً أشد الاهتمام بالأمر ، والمناقشات على قدم وساق ، والقانونيون في المجلس يتساءلون : هل تمنح الأندلس استقلاله الذاتي أو اوتونوميته على أساس المادة (١٤٤) أو المادة (١٥١) من الدستور وكلتاهما من مواد الباب الثامن من الدستور الإسباني الجديد ، وهذا الباب يختص بتنظيم أراضي الوطن الإسباني .

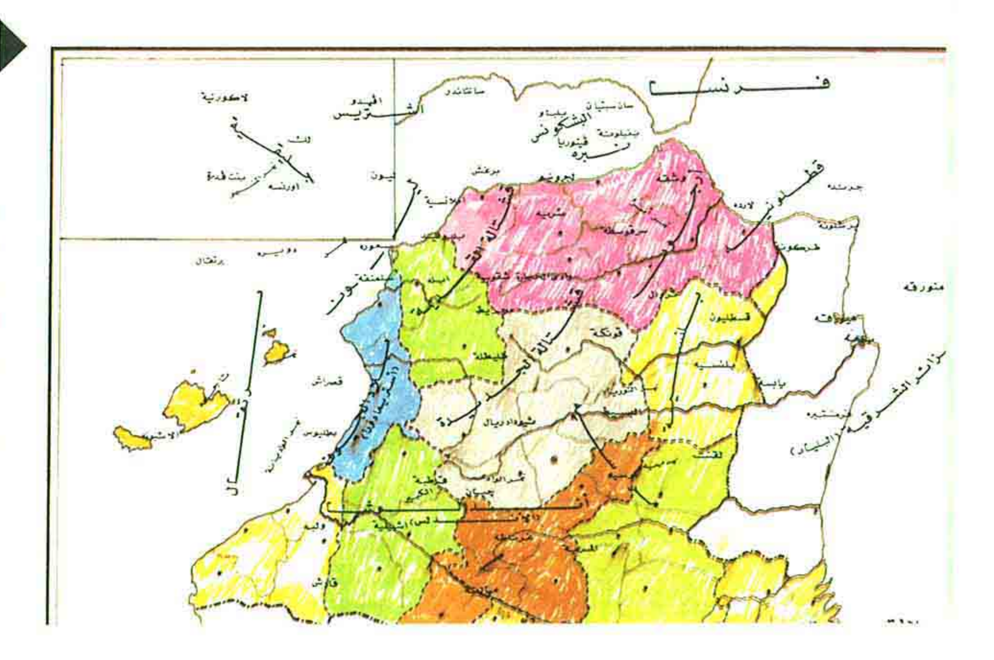
[illegible] وهو أندلسي الروح والدم ، فهو من قرية بحرية تسمى جاروتشا Garrucha في محافظة المرية ، وهو **الأستاذ بسكوال مارين بيريث أستاذ القانون بجامعة فالدوليد (بلد الوليد)** ، ومن جميل ما يروى عنه أنه عندما وقع العدوان الإسرائيلي على مصر والبلاد والعربية سنة ١٩٦٧م ، أرسل برقية للرئيس جمال عبد الناصر يعلن تطوعه للحرب مع العرب ، فهو عسكري مدرب ، وقد خاض الحرب الأهلية إلى جانب فرانكو ووصل إلى درجة عقيد أي كولونيل وأسأله في ذلك فيقول :

« أنت تعلم أننا نحن الأندلسيين مظلومون ، فإن أهل قشتالة Los castillanos وأهل قطلونية Los Catalones يظلموننا ظلماً بيِّناً ، فالأولون يحتكرون تجارة المحاصيل الزراعية وخاصة الزيتون والقمح والنبيذ

من لحم الأندلس الإسلامي بنوا إسبانيا وأقاليمها

يلاحظ أن معظم أقاليم إسبانيا الحالية نشأت عن أقاليم عربية استولت عليها ممالك أو إمارات إسبانية نصرانية ، وكانت تلك الممالك وحدات سياسية ضعيفة وصغيرة ولم تكتسب القوة إلا بعد استيلائها على أقاليم الأندلس ويستثنى من ذلك أقاليم الشمال الأقصى التي لم تكن إسلامية قط وهي : جليقية واشتريس وبلاد البشكونس وإقليم ميزة وهي نافار .

أما الباقي فهي : إقليم ليون ، إقليم قشتالة القديمة ، إقليم قشتالة الجديدة ، إقليم أرجون ، إقليم قطلونية ، وبلاد الجوف أو محافظة جفليوس (بداخوس بالإسبانية) ، وإقليم الأندلس (اندالوقيا) ، وإقليم بلنسية ، وإقليم مرسية .



والشعير ، والآخرون يحتكرون الصناعات المعدنية والصيدليات والفنادق ، وكل المنشآت السياحية التي تراها في كل الأندلس ملك لشركات سياحية قشتالية أو قطلونية ، أما نحن فلا زلنا الخدم والموظفين الصغار والزراع ، نشقى ويظفر الآخرون بالربح كله . في القرى الأندلسية تجد الفلاحين المساكين لا يجدون شيئاً يعملونه . إن نسبة التعطل والبطالة في الأندلس تصل إلى ١٢٪ ، وهي في زيادة ، لأن الميكنة تخرج كل يوم مئات العمال » .

– وهل يحل الاستقلال الذاتي هذه المشاكل ؟

– « نعم ، لأننا أولا لن نسمح باستيراد العمال من غير الأندلس . إن أصحاب المزارع الكبيرة يستقدمون العمال من المانشا ، ومن غرب الأندلس ويعطونهم أي أجر ، ويحرمون رجالنا من العمل . ثم إننا نريد أن تكون السياحة في الأندلس عملاً خاصاً بنا . بحكم القانون سيكون لنا الحق في شراء ربع الفنادق في بلادنا ولن يعمل فيها إلا أندلسيون . كذلك سنمنع شركات صيد السمك من نواحي الشمال من سرقة أسماك مياهنا الإقليمية ، وسنركز على صناعاتنا . ستكون تجارة الزيت عملاً واحتكاراً أندلسياً . إن الزيت والزيتون سيكونان مصدر الثروة الرابع في إسبانيا ، ثم إن كل تصدير الزيت والزيتون سيصبح مقصوراً علينا . إننا سنقاتل لكي نستقل من استبداد القشتاليين » .

ثم أضاف : « وما لي أطيل في الأمر وأنت تعرف أصوله مثلي ، فأنت عربي أندلسي وأنا إسباني من أصل مسلم ، فإن اسمي كما ترى بسكوال مارين بيريث Pescual Marin Perez ، ولفظ مارين هنا يدل على أن نسبي في بني مرين سلاطين المغرب ، ولا بد أن جدي كان من مقاتلة بني مرين الذين كانوا يُرسَلون إلى غرناطة للاشتراك في الدفاع عن الأندلس ضمن ما يسمى بمشيخة الغزاة ، وأما لقبي الثاني وهو Perez فهو اللفظ العربي فارس » .

– إذن فأنت بشكوال فارس المريني .

– « شيء مثل هذا ، ونحن بإذن الله مصممون على إعادة مجد الأندلس بعد أن اجتهد القشتاليون في إخماد ذكره وإساءة معاملته » .

* * *

وأذهب إلى الأندلس وأزور قرطبة وجامعها العظيم ومدينة زهرائها الرائعة ، ثم أجلس في بهو فندق الزهراء ، وهو أحب فنادق قرطبة إلي وأقربها إلى قلبي ، وأفتح جريدتها الصباحية واسمها (قرطبة) ، فأقرأ كلاماً جميلاً يطرب له قلبي . الافتتاحية أندلسية تتحدث عن مجد الأندلس وشخصية الأندلس . وتقول إن قرطبة أعظم مدن إسبانيا ، وهي التي مدنت إسبانيا كلها . لو أنهم طلبوا من ابن حزم أن يكتب هذه الافتتاحية لما قال غير هذا الكلام .

وأستمع إلى الإذاعة في الليل فأجد أديبين أندلسيين معاصرين يتغنيان بذكر الأندلس ، ويفخران بقرطبة وعلمائها وغرناطة وحمرائها وإشبيلية وفنونها ، وأجد الرجلين يتحدثان عن الأندلس وفضائله كأنهما أبو الوليد الشقندي ، وأبو الحسن علي بن محمد الأندلسي يتحدثان في فضل الأندلس .

* * *

وأذهب إلى غرناطة لأستعيد ذكرياتها الحلوة ومآسيها المرة ، وأجوب قصور الحمراء ومغاني جنة العريف ، وأقف في الخميلة الكبيرة أو القصر الكبير ، وأطل على فيحاء قرطبة وأذكر **لسان الدين بن الخطيب** الذي تغنى بها في « الإحاطة » وفي « اللمحة البدرية » وأذكر أن ابن الخطيب هذا كان شيخ ابن زمرك شاعر الحمراء الذي ذكرته آنفاً ، وأذكر أن ابن زمرك – على ما جرى عليه أهل عصره من الخيانة والقلق والغدر – كان أشد الناس طلباً لابن الخطيب وسعياً في إهلاكه .

وأنظر في جريدة غرناطة الصباحية وهي « ايديال » فأقرأ كلاماً كثيراً عن الأندلس المستقل وما ينتظره من مستقبل ، وأقف عند حديث طويل مع اليخاندرو روخاس ماركوس المرشح لرياسة حكومة الأندلس المستقلة ، فأجده يتحدث عن توثيق الروابط مع البلاد العربية لإحياء الأندلس ، وأقرأ مقالا عن مشروع جامعة إسلامية في قرطبة ، وأن بعض البلاد العربية أبدت استعدادها لتمويل المشروع .



وأعود إلى مدريد لألقى الصديق الأستاذ السفير الشيخ ناصر المنقور لأستعيد وإياه ذكريات أيام مدريد وأسأله عما حصل بمشروع المسجد الذي كنا نعمل في إنشائه في مدريد ، وكنت من أكثر الناس اهتماماً به ، وسعياً في تحقيقه ، فلما تأذن الله بانتقالي من مدريد رجوت الأخ الأعز الشيخ ناصر أن يرعاه ، فأجده بارك الله فيه قد خرج بالمشروع إلى حيز التنفيذ

★ الصفحة الأولى من جريدة الباييس (البلاد) وهي من أعظم الصحف الإسبانية التي صدرت بعد [موت] الزعيم فرانكو وترى أنها مخصصة لاستقلال الأندلس . فالمقالة إلى اليسار تتحدث عن مخالفات في بطاقات الانتخاب الخاصة بأحد نواب إشبيلية والأخرى تتناول مسائل خاصة بالتمثيل الإداري تعطل موضوع استقلال الأندلس ★

EL PAIS

JUAN LUIS CEBRIAN — DIARIO INDEPENDIENTE DE LA MAÑANA — MADRID, MIERCOLES 22 DE

Cuestiones de protagonismo impidieron ayer un acuerdo total sobre la autonomía

Cuestiones de mero protagonismo político impidieron que ayer se alcanzara el acuerdo definitivo sobre el desbloqueo del proceso autonómico andaluz, que quedó casi ultimado en la conversación telefónica del sábado entre Adolfo Suárez y Felipe González y sobre el que volvieron ayer a negociar Rodolfo Martín Villa y Alfonso Guerra. Al parecer, el Gobierno estaría dispuesto a resolver el tema de Almería, una cuestión pendiente, sin mencionar el artículo 144 de la Constitución, pero el Partido Socialista de Andalucía (PSA) se opone radicalmente a esta solución, que le dejaría totalmente desairado ante los andaluces.

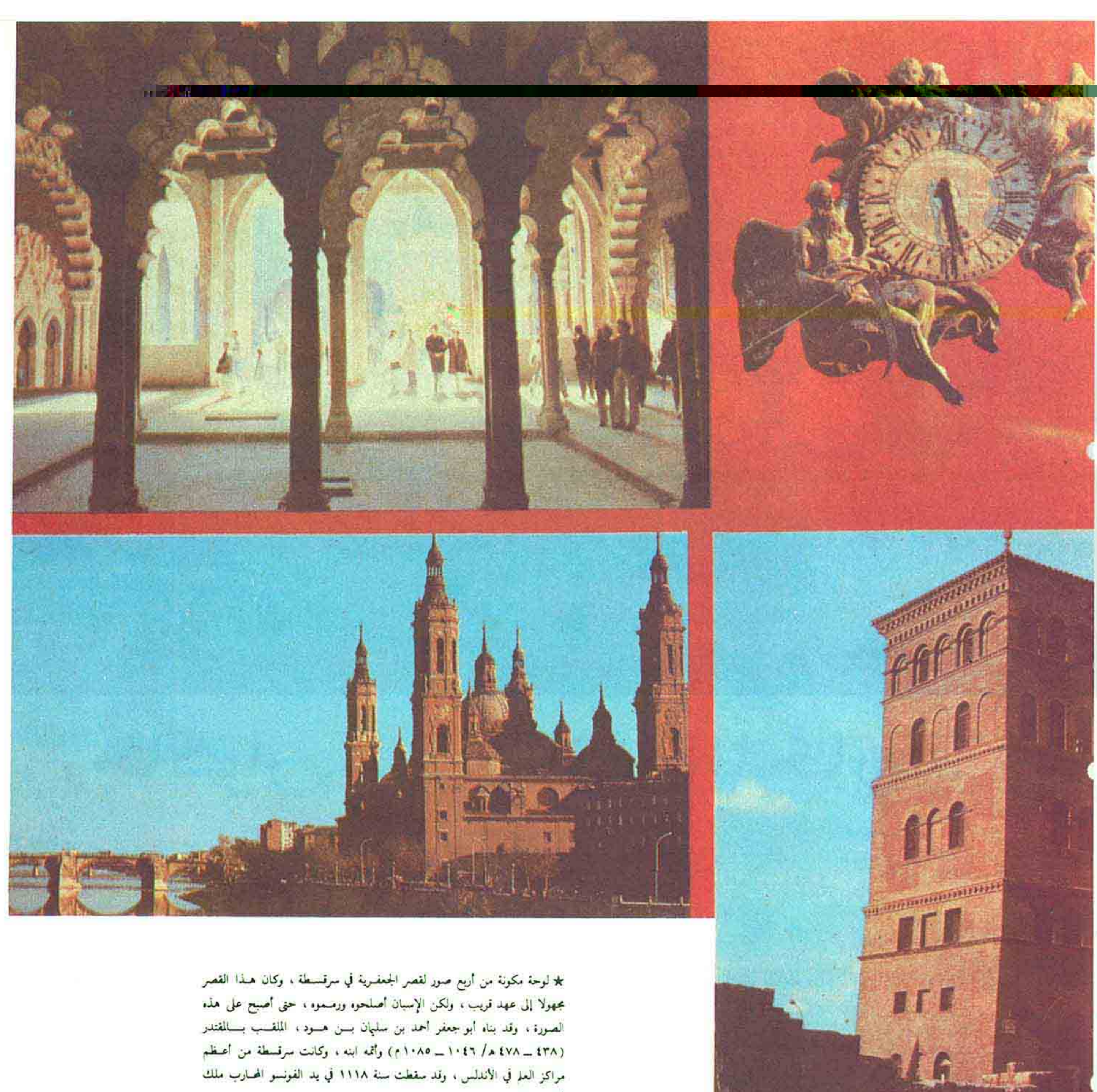
Para salvar estas cuestiones meramente formales y de protagonismo están previstas hoy dos entrevistas de Adolfo Suárez con Felipe González y Alejandro Rojas Marcos.

El diputado andalucista Miguel Angel Arredonda, precisó, a su vez, al comentar la reunión sostenida con los dirigentes centristas, que la falta de acuerdo no se debe a «un intento de salvar la cara por parte del PSA.

Los socialistas habían anunciado poco antes de esta reunión, por medio de Alfonso Guerra, que el acuerdo está muy próximo y que «o se resuelve en horas o en muy pocos días, o el tema se complicará enormemente».

El vicesecretario general del PSOE añadió que la posición de su partido pasa por el 151.

Tanto centristas como socialistas se negaron a desvelar la fórmula acordada.



★ لوحة مكونة من أربع صور لقصر الجعفرية في سرقسطة ، وكان هذا القصر مجهولا إلى عهد قريب ، ولكن الإسبان أصلحوه ورمموه ، حتى أصبح على هذه الصورة ، وقد بناه أبو جعفر أحمد بن سليمان بن هود ، الملقب بالمقتدر (٤٣٨ ـ ٤٧٨ هـ/ ١٠٤٦ ـ ١٠٨٥ م) وأتمه ابنه ، وكانت سرقسطة من أعظم مراكز العلم في الأندلس ، وقد سقطت سنة ١١١٨ في يد الفونسو المحارب ملك أرغون ★

قبل أن ينتقل إلى لندن سفيراً بها ، وأقرأ تقاريره وألمس جهده العظيم ، ويحدثني عنه الأخ **الحسيني** القائم بالأعمال ، ويطلعني على رسم المسجد الذي استقر الرأي على إنشائه بفضل **السعودية** وعدد من بلاد العروبة ، **وأجد نفسي أقول : من يدري يا أندلس فلعل الله سبحانه أن يبعثك إلى الوجود مرة أخرى ، ولعلي إذا عدت عن قريب نزلت أندلساً حقيقياً ، صغير المساحة حقاً ولكنه أندلس فيه مركز أو جامعة إسلامية .**

ولعلي كذلك أصلي في جامع مدريد ، وأسند ظهري إلى أحد عمده ، وأستنزل رحمات المولى عز وجل على **مسلمة المجريطي** عالم مدريد الإسلامية الرياضي الفلكي ، وأبعث من ذلك المسجد الطاهر التحية إلى الشيخ الأعز ناصر المنقور وكل إخوانه في السعودية وبلاد العروبة الذين حققوا الحلم ، وأنشأوا في مجريط منارة يرفع فيها أذان الإسلام خمس مرات في اليوم بعد طول صمت وسكوت .

الحواشي

(١) حمص هنا هي إشبيلية .

(٢) السابري هو السيف المصنوع في بلاد الرومان أو الروم ، يدل على ذلك أن لفظه معرب من Saber – Sabra ومعناه السيف ، فكيف يكون سابرياً ويمانياً .

جاكوار ذات القوة الخارقة

مهما بحثت، لن تجد سيارة أخرى تماثل جاكوار في أدائها.
فجاكوار اكس جي الجديدة من المجموعة ٣ تحقق سرعة ١٠٠كم/ساعة في أقل من ١٢ ثانية بينما تتجاوز سرعتها القصوى حدود ٢٠٠ كيلومتر بالساعة.

وهي الى جانب ذلك تستجيب استجابة تامة لتحكمك بها في كافة أحوال القيادة.
بينما يحافظ نظام التعليق المقاوم للهبوط في المقدمة على التوازن المنتظم حتى اثناء الكبح بالسرعات العالية. ولتأمين المزيد من السلامة والامان بالسرعات العالية، فان منصة قاعدة الهيكل الصلبة توفّر مركز ثقل منخفض، وهذا يعني بالحقيقة قدراً اكبر من الثبات والاستقرار على الطريق.

ان سيارة جاكوار اكس جي الجديدة من المجموعة ٣ تعكس دون شك، التقاليد العريقة لسيارات جاكوار الاصيلة.

اكتشف القوة الكامنة في سيارة جاكوار لدى وكيل جاكوار المعتمد في منطقتك.



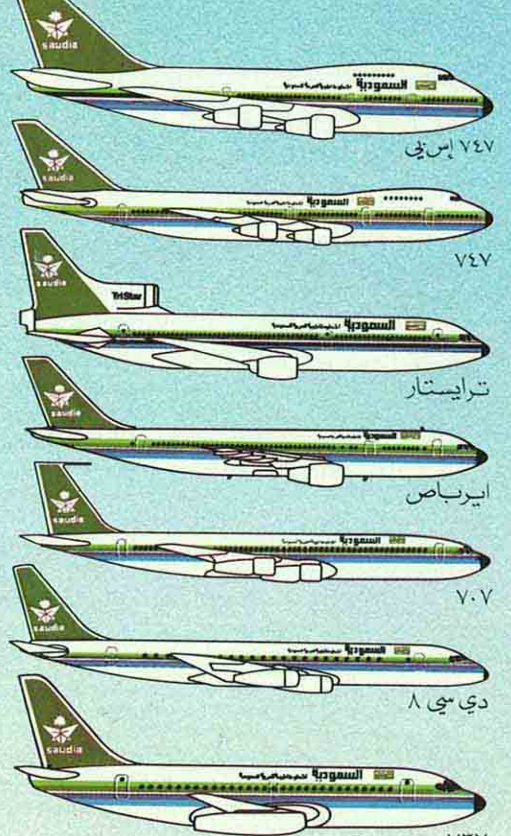
أبو ظبي: الشركة المتحدة للسيارات والتجارة
البحرين: محمّد جلال وأولاده

الكويت: شركة السيارات الكويتية للتجارة ذ. م. م
المملكة العربية السعودية: شركة العليّان للمقاولات العامة
دبي: عبد الرحمن الزياني وأولاده

سلطنة عمان: محسن حيدر درويش
قطر: شركة الدوحة للسيارات والتجارة



ننمو أسرع لنخدمكم أفضل



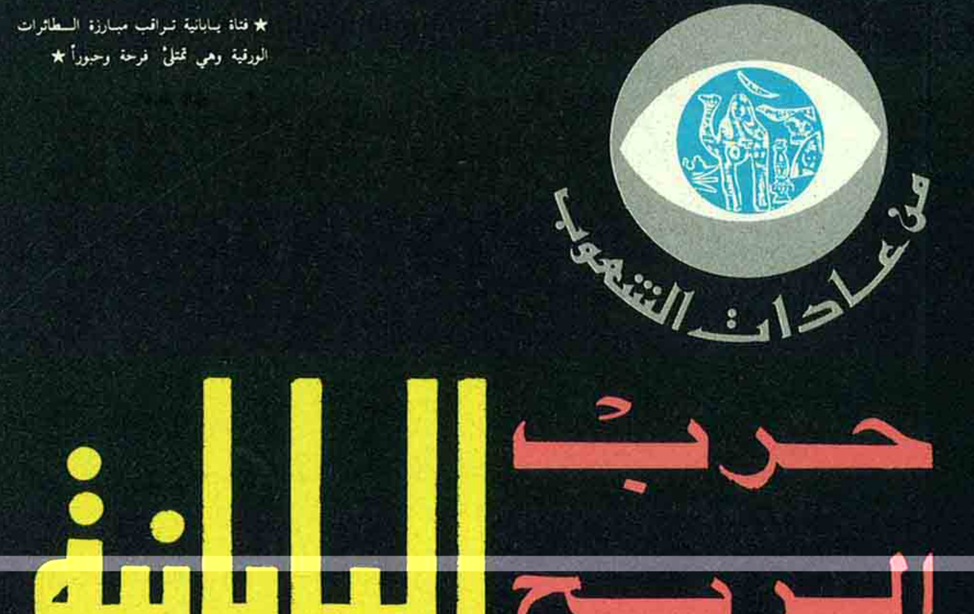
إن مشاريع "السعودية" للتوسع في السنوات القادمة تعني أن خدمتنا للركاب ستكون أفضل فأفضل.
إن إضافة ست طائرات "٧٤٧" وخمس طائرات "ترايستار" واحدى عشرة طائرة "ايرباص" على أسطولنا الحالي تعني أيضاً أن باستطاعتنا الآن أن ننقل ركابنا إلى أماكن أكثر ونؤمن لهم عدداً أكبر من الرحلات ونوفر لهم مزيداً من الراحة.
وعند افتتاح المطار الجديد في جدة، سيكون للسعودية نقطة وصول خاصة بها تتيح للمسافرين القادمين من الخارج فرصة الانتقال إلى قسمنا الخاص للرحلات الداخلية دون الاضطرار الى الانتقال من مبنى إلى مبنى آخر.
والدليل الأكبر على هذا التطور المستمر في خدمتنا للركاب هو أن السعودية هي الخطوط الوحيدة التي تؤمن المواصلات بين إثنين وعشرين مطاراً في المملكة.



للحجز والاستعلام: جدة ٦٤٣٣٣٣٣ الرياض ٤٧٧٢٢٢٢/٤٧٧٣٣٣٣ الظهران ٨٦٤٢٠٠٠



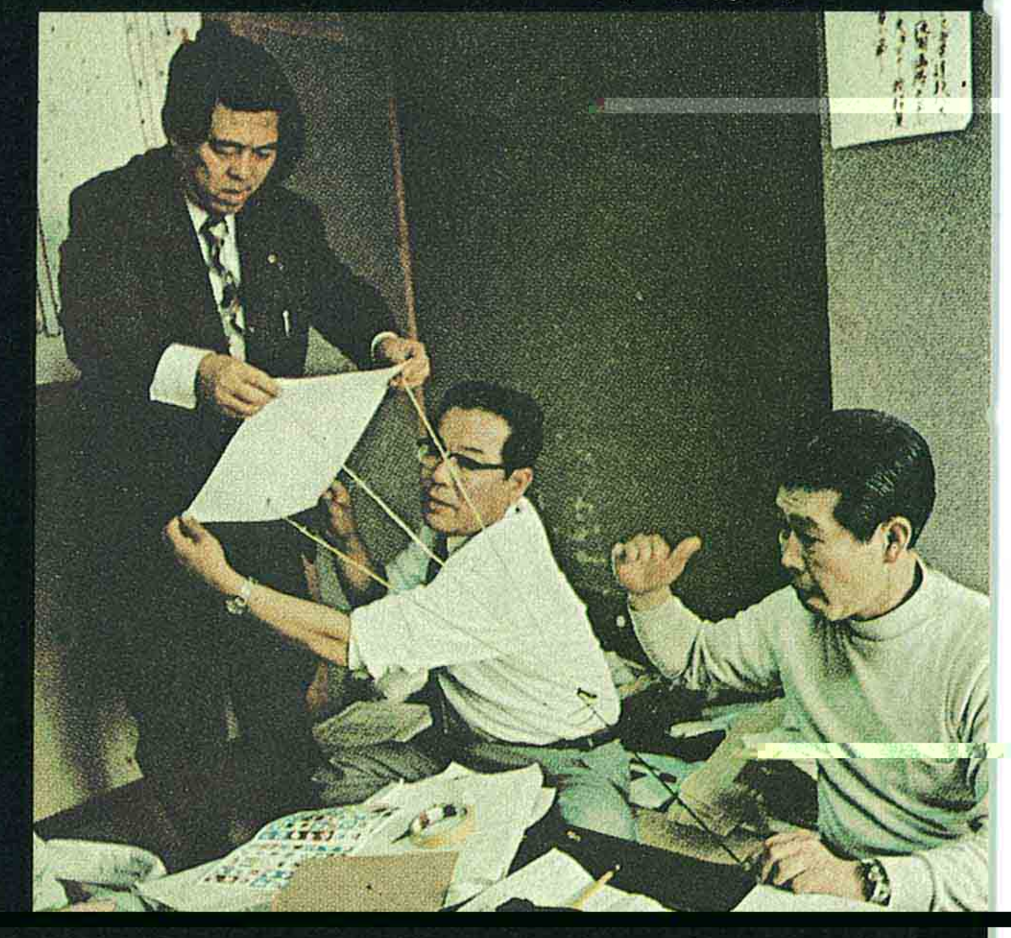
★ فتاة يابانية تراقب مبارزة الطائرات الورقية وهي تمتلئ فرحة وحبوراً ★



حرب الريح اليابانية

إعداد : د. أحمد عبد القادر المهندس

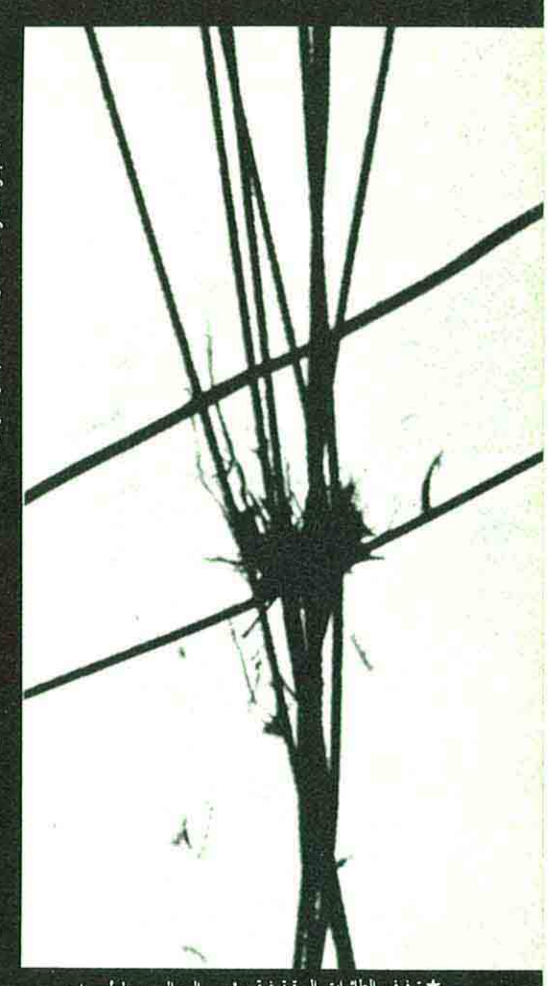
كيف يمكن أن يحارب الإنسان الريح ؟ ولماذا يحارب الريح ؟ هل يحارب الإنسان الهواء ليقضي على أعدائه الوهميين ؟ هل يقلد اليابانيون البطل الأسطوري « دون كيشوت » عندما كان يحارب الهواء بسيفه الوهمي ؟!



★ رجال يشرحون طريقة الحرب بوساطة الطائرات الورقية ★

القصة تبدأ في **مدينة هاماماتسو** Hamamatsu التي تبعد حوالي ١٣٠ ميلاً جنوب غربي **طوكيو باليابان** . وهناك تتجمع أعداد كبيرة من اليابانيين الذين ينتظرون بتوتر كبير هبوب الريح على أعالي الجبال والكثبان المحيطة بمدينة هاماماتسو . وتتركز الأبصار على طائرة ورقية مفعمة بالألوان وهي مشدودة بخيط قوي يصلها بوتد قوي في الأرض . وعلى مسافة غير بعيدة يقف أحدهم ليعطي إشارة البدء لتنطلق بعدها الطائرة الورقية في الفضاء وسط **أصوات** عالية تنادي إلى الأمام ... إلى الأمام « **واسشيو .. واسشيو** » .. وتعكس هذه الأصوات المشحونة

★ تبدو الطائرات المتصارعة كالعناكب في عراكها ★



★ ترفرف الطائرات الورقية فوق رؤوس الرجال وسط أصوات عالية يطلقها المتنافسون بينما تئز خيوط الطائرات كالنحل الغاضب ★

بالعواطف آمال الشعب الياباني في هاماماتسو الذي يعمل من أجل حياة أفضل . ويتكرر هذا المشهد في **أوائل شهر مايو (أيار)** من كل عام للاحتفال بأول الأولاد الذكور ، وتستمر الاحتفالات لمدة ثلاثة أيام . ويتكفل ما يقرب من ستين أسرة من جيران أسرة الصبي بشراء طائرة ورقية يحمل بعضها اسمه ، وتتحول السماء إلى ميدان فسيح لمعركة جوية تحاول فيها الفرق المتبارية إسقاط طائرات الفرق المنافسة . ويعتقد سكان مدينة هاماماتسو أن هذا المهرجان يعود تاريخه إلى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي عندما انطلقت أول طائرة ورقية على شرف ميلاد أحد الأمراء . **ويعتقد أيضاً بأن**

الحرب بوساطة الطائرات الورقية بدأت عندما أمر أحد الحكام شعبه أن يحاربوا بالطائرات الورقية بدلا من أن يحارب بعضهم بعضاً .

مظاهر الاحتفال

وتجذب هذه الحرب بالطائرات الورقية حوالي مليوني شخص تقريباً كل عام، حيث تستمر الاحتفالات والمهرجانات لمدة ثلاث ليال حيث يستمتع الناس بالغناء والرقص في شوارع المدينة المضاءة بمصابيح صنعت من الورق ، ويمتزج الناس مع بعضهم البعض وتتوطد الصداقة بين الزملاء في العمل .

ويقوم الرجال عادة بالمنافسة بالنيابة عن الصبيان . ويشارك الجيران بحوالي ٢٠ طائرة ورقية ويكون لكل صبي ذكر ولد في ذلك العام طائرة خاصة له . وتبلغ مساحة الطائرة الورقية حوالي عشرة أقدام مربعة وهي مزخرفة بألوان زاهية وعلامات تميّز الفرق المختلفة .

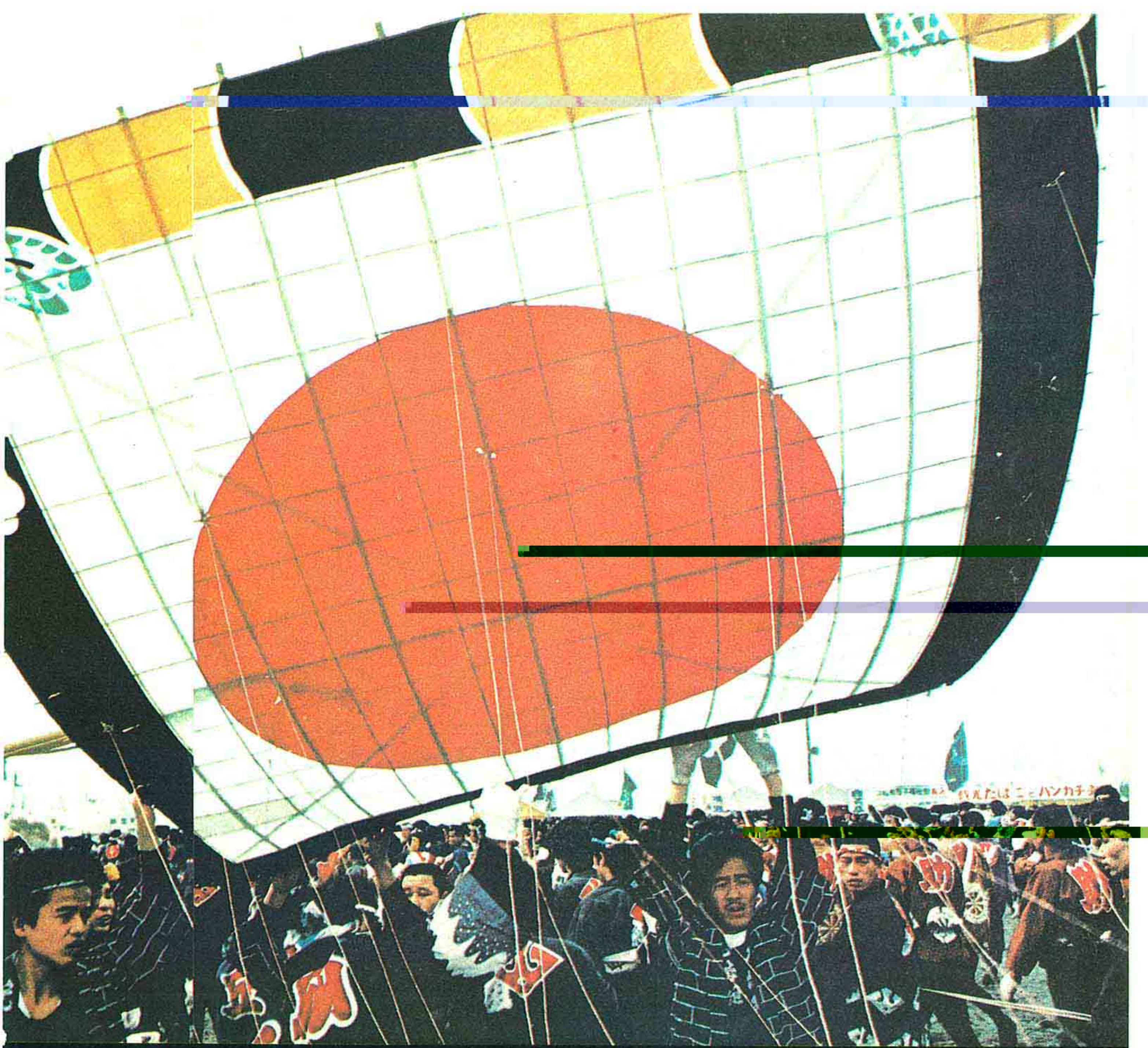
وتصنع الطائرة الورقية بأن يشق ساق **خشب البامبو** إلى دعائم قائمة يشكل منها إطار الطائرة ، ثم تشد كما تشد الطبلة بإحكام ، وتغطى بورق أرز خفيف الوزن وتلصق بعد ذلك فوق شبكة مصنوعة من أوراق البامبو . وتثنى خيوط القنب المستعملة على شكل مكابح ثم تربط بخيط الطيران . وغالباً ما يكون هذا التركيب قوياً ويستمر لفترة طويلة من الزمن .

مدينة هاماماتسو وحرب الريح

وتشتهر مدينة هاماماتسو التي تقوم فيها حرب الريح أو مهرجان الريح بأنها مركز صناعي معروف لإنتاج بعض

★ تقوم الأم بالإمساك بين وليدها الأول ليلمس خيط الطائرة الورقية التي تحمل اسمه ★





★ طائرة ورقية عملاقة مساحتها حوالي (١٠) أقدام مربعة وهي مزخرفة بألوان زاهية ومميزة ★

السيارات والدراجات النارية مثل سوزوكي ـ هوندا ـ ياماها وغيرها .

ولعل لهذه الحرب بالطائرات الورقية ضد الريح جذور راسخة في التقاليد اليابانية . حيث يمثل الابن البكر العمود الفقري للتركيب الاجتماعي في اليابان . فعندما يموت الرجل يرث الابن الأكبر كل ما يمتلك من ثروة ويحافظ على تلاحم واتحاد الأسرة . وتتجاوز تلك الروابط الأسرة الواحدة إلى بقية الأسر من الجيران .

وتساهم كثير من الجمعيات المحلية في الحفاظ على هذه الروابط لاستمرار التلاحم والمصالح بين الأسر . وتدفع كل أسرة لها ابن بكر حوالي ٥٠٠ دولار من أجل صنع الطائرة الورقية بالإضافة إلى وجبات الطعام الخفيفة .

ولا تخلو هذه الحرب الريحية اليابانية من بعض التضحيات المادية ، وخاصة بعد ازدياد التضخم المالي بحيث أن صنع الطائرات الكبيرة الحجم وتوزيع الطعام قد يؤثر في الاقتصاد المحلي إلى حد ما .

بدء الحرب وانتهائها

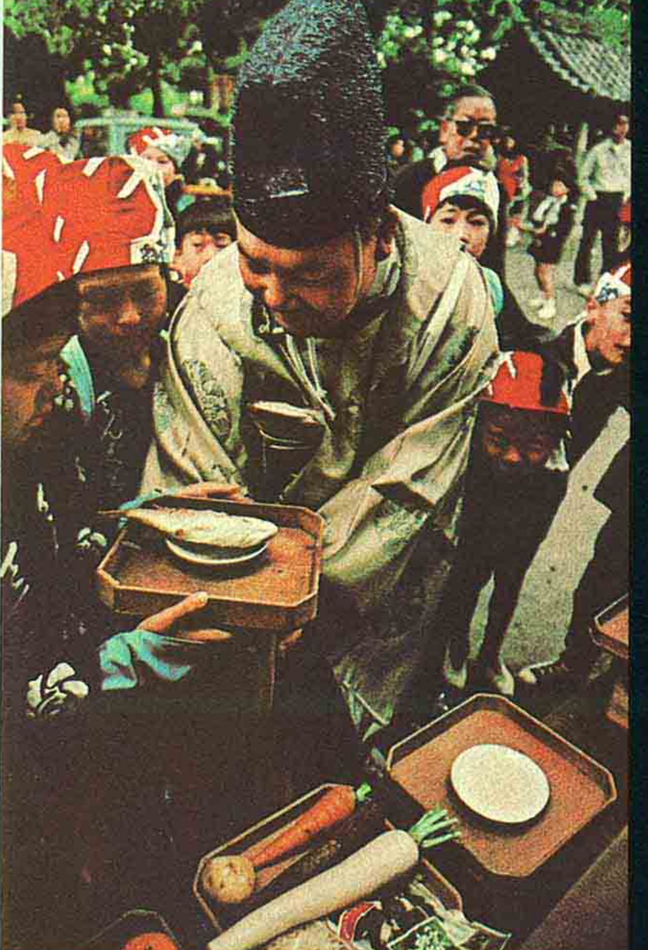
وعند بدء انطلاق الطائرات الورقية للحرب يطلق قائد الفرق صفارة عالية لإنذار الفرق المتنافسة أثناء قيامهم بسحب الخيوط خلال المباراة . وتأمل كل أم لوليدها بأن يفوز

★ قائد الفريق وهو يطلق صفارة إنذار سريعة لبدء المباراة ★



★ يقوم الحارس المكلف بالتحكم في حبل البكرة المحمولة على عجلات لاطلاق الطائرة الورقية ★

★ صبي صغير يقدم الطعام لقسيس شنتوي آملاً بالتوفيق والحظ لجيرانه الداخلين في مباراة الحرب بالطائرات الورقية ★





في هذه المعركة ضد الريح ، حيث تشكل هذه الحرب إيماءة ربما تجلب النجاح والحياة الطويلة والسعيدة لابنها البكر .

وعند انطلاق الطائرات الورقية في الهواء تتشابك وتتصارع مع استمرار الشد والسحب من الفرق المتنافسة ، وسرعان ما تبدأ بعض الخيوط في التقطع والاهتراء ، وتعلو أصوات الرجال المتحاربين وتدوي الطبول وتئز خيوط الطائرات أزيزاً عالياً كالنحل الغاضب .

وتتحرك فرقة صغيرة من الجنود من مكان لآخر لفض أي نزاع بين الناس . وعندما تسقط طائرة ورقية نتيجة للمعركة فإن فرقة إنقاذ خاصة تنتشلها وتزيل منها الأجزاء التالفة . . وبالرغم من هذا فإن الطائرات المحطمة تحرق وتذرى في مهب الريح . أما الطائرات التي تمثل الصبيان الأوائل فتهدى لأسرهم ليحتفظوا بها كتذكار ، أما الطائرات الأخرى التي نجحت في المعركة فإنها تخزن وتحفظ في مستودع أمين لتقاتل مرة أخرى في العام التالي .

وعندما تحمل الطائرات التالفة إلى فرقها فإن أعضاء الفريق يهللون كما لو كانوا منتصرين . ويعلّق على هذا أحد اليابانيين بقوله : « **إن النصر ليس مهماً عندنا لكن الطائرات الورقية المتحاربة تعكس ما في دمائنا من رغبة في القتال الذي نستطيع تحقيقه ضد الريح بوساطة طائراتنا الورقية** » .

الأرض .. والعشق

ما أجمـلَ الحـبَّ في عـرفانِ مُعْـتَرِف
ومـا أرقَّ الهـوى في الـروضة الأنُفِ
ومـا على النفس إن هـاجت خـوالجها
وشـدها عشـقها لـلأرض في شـغفِ
أنْ تملأ العـينَ مـن منثـور بهجتهـا
في كل لـونٍ فـريد الشـكل مختلفِ
تآلفـت في الـرمال السُّـمْر، واتحـدت
في الحر والبرد .. من «نبع»[1] ومـن «قـطفِ»[2]
لا تشبع العـين مـن تـكرار نـظرتها
فيهـا .. وتـرنو بلحـظ المُغْـرَم الدَّنِفِ
وهل يَمَـلُّ حبيـبٌ حُـبَّ مُلْهِمِـهِ
معـنى الصَّـفا والـوفا والـطِّيبِ والشرفِ؟!

* * *

أرضي عشـقتُكِ .. يـا أرضي، وعلَّمـني
دَوْسي على الشوكِ؛ شوكِ «العَرْج»[3] و«الزَّغفِ»[4]
أنَّ الهوى الحـق لا ينمـو بـلا وَلَـهٍ
ولن تـدوم طـويلاً زفـرة الصُّـدَفِ
معجـونة منـكِ أحـلامي، وأوردتي
قـوية النبض مـن إشراقـكِ الَّلهِفِ
إليـكِ يحلـو انتمائي .. يـزدهي فـرحي
فـأنتِ دفئـي، وتـرنيمي، ومنعـطفي
وأنتِ رَجْـعُ انفعـالاتي، وأنـتِ صـدى
صوتي، وأنـتِ البـديع الفـرد في صُـحُفي

عِشْـقُ الـترابِ قـديم في جـوانحنا
والنخلُ ما النخـلُ لـولا روعـة السَّـعَفِ؟!

* * *

وراح بـاللهفة الحَـرَّى يـطوفُ بهـا
ويَحتـفي بعنـاق «السَّرْح»[5] و«الـرُّدُفِ»[6]
قـرة هَـهُنا في قـرية غـرقتْ
في نومها .. غير صوتِ «الدِّيكِ»[7] و«الهَجَفِ»[8]
يـدقُّ .. يهتفُ .. بـان الفجـرُ فـانتبهي
ونبِّـهي نبِّـهي «الشّـاقي»[9] إلى «العَلَفِ»[10]
ومـرة يحضرُ «المَعْشى»[11] وآونـة
يهـزه الشـوق لـ«لسّـاري»[12] كأي حـفي
ويعشـقُ «البـوح»[13] و«الـوحيا»[14] ويـطربُهُ
حمـلُ «اللحـاف فقيهيَّـا»[15] على الـكتفِ
ومـرة يبلـع الـوادي تـأمله
ومرة في ظـلال «الصُّبْر»[16] و«الغـرَف»[17]
تمـنطقتْ بـ«القُسَـيَّا»[18] تلك، واتشـحَتْ
هـذي بثـوب ـ يغطيها ـ من «الغليفِ»[19]
ومـرة في المراعـي حيـث كان لـه
فيها حديث تنـامى مـن صُـوى الشَّـظفِ
ضَمَّتْ لفيفاً مـن الـرُّعيانِ بـين فـتى
شَـهم، وبـين فتـاة حلـوة الهَيَفِ
سارا معـاً يمـلأ الأجـواء همسُـهُما
فـي ألفـة .. لم يعـاكسـها، ولـم تَخَفِ

الحواشي

(١) النبع: شجر معروف تتخذ منه العصي.
(٢) القطف: شجر المر.
(٣) العرج: شجرة السدر.
(٤) الزغف: نبت ترعاه الماشية طرياً.
(٥) السرح: شجر صحراوي معروف واحدته سرحة.
(٦) الردف: جمع رديف بلهجة المنطقة. شجر الأراك.
(٧) الديك: ذكر الدجاج.
(٨) الهجف: القهاري.
(٩) الشاقي: الأجير أو الخادم.
(١٠) العلف: ما يجمعه الأجير للدواب سواء من الحشائش أو الزرع.
(١١) المعشى: نوع من الرقصات الشعبية بمنطقة جازان.
(١٢) الساري: لعبة ليلية يمارسها الفتيان.
(١٣) البوح: صدف البحر لعبة من لعب الأطفال.
(١٤) الوحيا: لعبة شعبية لها ضوابط معروفة في منطقة جازان.

[إلى صديق الأرض والحرف الأستاذ علوي طه الصافي
أهدي هذه القصيدة مقرونة بحبي وتقديري]

شعر : علي أحمد علي النعيمي



ومرة في فضول راح مُنطلقاً
إلى « المُراح »[٢٠] ليلقى فيه كلَّ وَفي
هذا مع « البَهم »[٢١] مشغول ومندفع
وتلك تحمل حلو الدَّرِّ في « القُفَفِ »[٢٢]
والصَّفوُ يُلقي على أنحائه حُلَلاً
فضفاضة وبشكل جدُّ مُؤتلفِ

وكان حُبٌّ وأشواق وكان لقاً
في فترة حَوَتِ الغالي من الطُّرَفِ

* * *

وبعد حين وقد نام التَّوغُّلُ في
مناكب الأرض في قلب الشَّجي الكلِفِ
ناداهُ ناداهُ عِشقُ الأرض ثانية
مَواكبُ العشق لم تهدأ ولم تقفِ
وقادهُ في سبيل الأرض هاجسُهُ
فخفَّ يعْبُرُ من « فَيفا » إلى « القَرَفي »
ومن رُبى « الدَّربِ » من « صَبْيا » ومن « ضَمَدٍ »
إلى « الطُّوال »[٢٣] من الجدران و« السُّجُفِ »[٢٤]
عبء ثقيل غرام الأرض كيفَ لَهُ
يحفظ أشيائها من عامل التلفِ ؟!
لكنه وهو يمضي في جوانبها
يخافق بِرداء الأرض ملتحفِ
أهدتْ له من صنوف الحبِّ أمثلة
وأصدقُ الحبِّ ما ينمو بلا كلَفِ
فصاح والشوقُ يَهمي في جوانحه
بوابل من وفا « سُعْدى » ومن « شغفي »
يا نعمتِ الأرضُ جل اللَّهُ مُلبِسَها
ثوباً من الحسن فوق الخَرْز والصَّدَفِ
مرتْ قرون عديداتٍ وأحسبُها
مرت سراعاً على تكوينها التَّرفِ
ولم تزل تملأ الأنظار بهجتُها
فيها التُّقى الذاهبون الصَّيْدُ بالخَلَفِ
هوى نقي ، وقوم طيبون وفي
رمالها نهر عز النفس فاغترفِ
نموذج واحد حي ، وزاوية
من الزوايا تجلّي ناصع الهدفِ

(١٥) اللحاف الفقيهي : برد من فاخر النسيج لا يستعمل إلا في المناسبات وقد بدأ يختفي .

(١٦) الضبر : شجر يعمر طويلاً جبلي البيئة ثمره حلو وظله وارف .

(١٧) الغرف : شجر وارف الظل من أشجار المنطقة .

(١٨) القسيا : شجر له حلوج متعددة يلتف على ما حوله .

(١٩) الغلف : من النباتات الحلجية يشبه نباتات الزينة قد تؤكل أوراقه مشوية .

(٢٠) المراح : عطن الماشية ومكان إيوائها ليلاً وربما انسحب الاسم على سكن أصحابها .

(٢١) البهم : صغار الضأن والماعز .

(٢٢) القفف : جمع مفرده قفة إناء متخذ من نبات الدُّبَّاء لحفظ الألبان والدهون .

(٢٣) فيفا ، والقرفي ، والدرب ، وصبياء ، وضمد ، والطوال : أسماء مدن وقرى في منطقة جازان .

(٢٤) السجف : جمع مفرده سجف ، بناء معمول من الأخشاب كحائط للمنزل حلت محله الجدران حالياً .



لوحة و فنان

• طبيعة صامتة •

• صالح محمد منصور خطاب •

● في تلك اللوحة ينهج الفنان نهج الفنانين **سيزان وبيكاسو**، الأول في تصويره الطبيعة الصامتة، والثاني في مرحلته التكعيبية.. فاللوحة تنتمي إلى حد ما إلى الأسلوب التكعيبي، أو المدرسة التكعيبية.

● ينظم الفنان عناصره المستمدة من البيئة كالدلة والمبخرة وخلافه، على منضدة مستوية هندسية الشكل، وتقوم على ارتكازات أساسية خاضعة للتشكيل، وليست خاضعة للطبيعة.

● الموضوع في هذه اللوحة ثانوي، والأهمية الأولى للشكل كما في المدرسة التكعيبية بصفة عامة، لذا نجد الفنان يسقط **البعد الثالث** في اللوحة، فتظهر في مجال البعدين وتبدو على أنها تصميم.

● اللوحة كلها على نفس القيمة في الدرجات اللونية، فليس هناك قريب وبعيد، أي أن الفنان يكسر **قاعدة المنظور** من حيث الدرجات اللونية، بل ويستخدم عدة مناظير كما يبدو في المنضدة وما عليها وفي الزخرفة وفي الخلفية.

● يحقق الفنان عنصر الاتزان في اللوحة عن طريق الخط، باستخدامه الخطوط المستقيمة المتعامدة، والخطوط المائلة وما تصنعه من زوايا متضادة، فبذلك يحيل اللوحة إلى نظام من الزوايا والمثلثات والخطوط، أي علاقات هندسية تظهر وكأنها نغمات لونية.

● ولد بالمدينة المنورة عام ١٩٥٦م، بالمملكة العربية السعودية.

● حصل على شهادة **البكالوريوس** في فنون الزخرفة والديكور من **كلية الفنون الجميلة بالقاهرة**.

● **اشترك في العديد من المعارض الفنية داخل وخارج المملكة العربية السعودية منها:**

★ معرض الربيع السنوي بالقاهرة.

★ المعرض السنوي للفنون التشكيلية بقاعة الفنون الجميلة بالقاهرة.

★ المعرض الدولي لدول البحر الأبيض المتوسط «بينالي الإسكندرية».

★ المعرض العام الرابع والخامس لمقتنيات الفنون التشكيلية بالرياض.

★ معرض الفن السعودي المعاصر بالرياض الثاني والثالث.

★ معرض كبار الفنانين السعوديين بالرياض.

● **أقام معارض شخصية لأعماله الفنية وهي:**

★ المعرض الشخصي الأول بقاعة كلية الفنون الجميلة بالقاهرة.

★ المعرض الشخصي الثاني بنادي الطلبة الوافدين بالقاهرة.

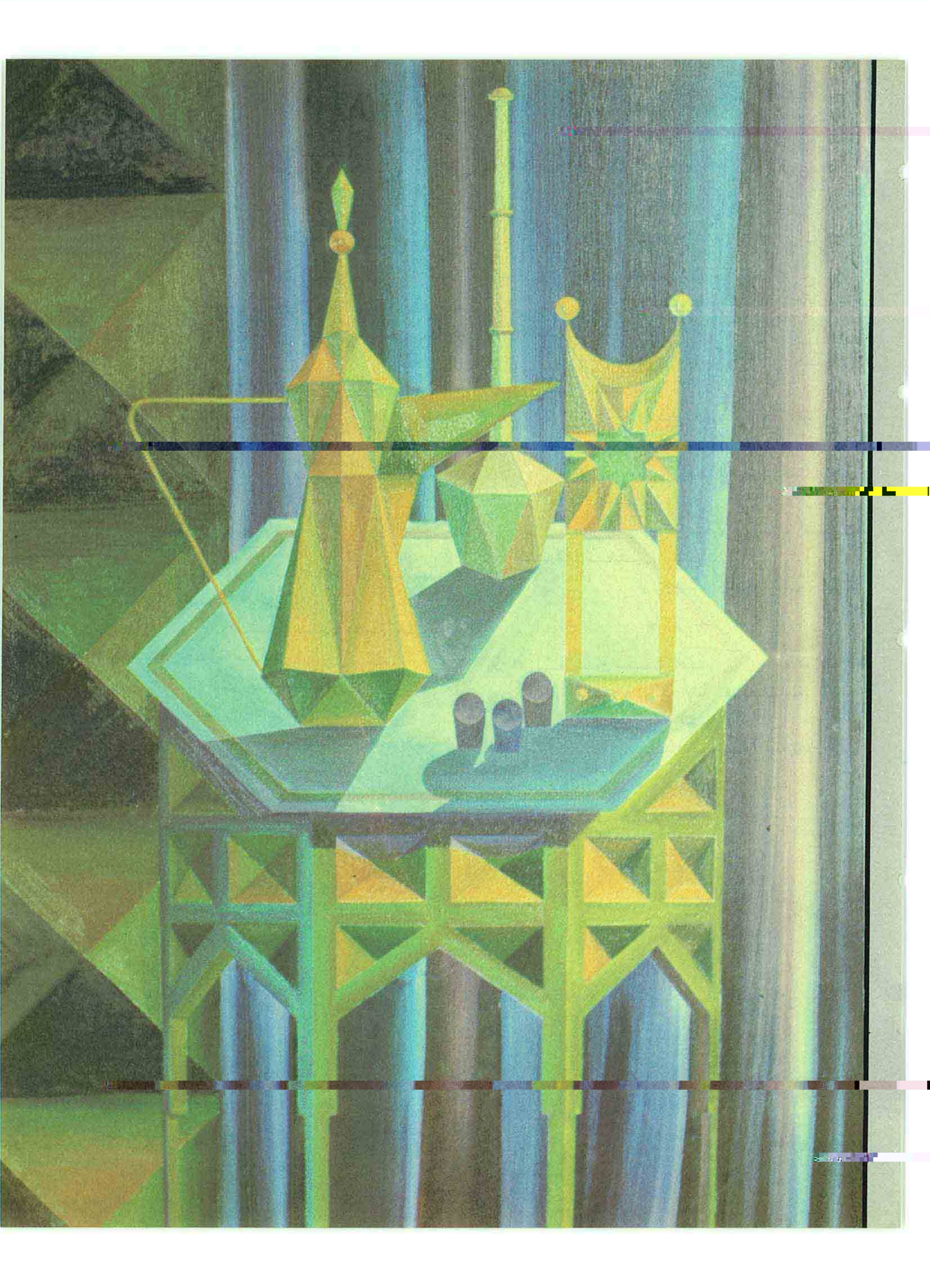
وهي:

★ المعرض الشخصي الأول بقاعة كلية الفنون الجميلة بالقاهرة.

★ المعرض الشخصي الثاني بنادي الطلبة الوافدين بالقاهرة.

● حصل على العديد من **الجوائز والمقتنيات** في المعارض التي اشترك بها.

● يعمل الآن أخصائياً للفنون والهوايات العلمية بالرئاسة العامة لرعاية الشباب بالرياض.





القدس

شعر : د. عبد الهادي حرب

ما بال فاتنتي أروم وصالها
فتصدّني ، وتنيلني إدلالَها
قد كنت إن ناديت يوماً باسمها
مدَّتْ إليَّ يمينها ، وشمالَها
فإذا الصحارى جنّةٌ ، أنهارُها
تجري ، وقد مدَّت عليَّ ظلالَها
والحور تسكب لي كؤوساً لا يَرى
في الصحو غيري والمنام خيالَها
وإذا أنا فوق المجرَّة حاضناً
أنوارَها ، ونجومَها ، وهلالَها
خلعتْ عليَّ جمالها وجلالها
في لمحة ، يا سعد من قد نالَها
قد ذبت في ذاك الوجود فخِلْتُني
تمثالَه ، أو خِلْتُه تمثالَها
فغرقت في سلسالها وهي التي
لم تمنح الظمآنَ حتى آلَها[1]
فإذا القوافي ثرَّةٌ منهالةٌ
قد فتَّحتْ بعد النوى أقفالَها
وإذا القصائدُ في يدي لم أدر مَنْ
غنّى بها ، أو صاغَها ، أو قالَها

* * *

قد كنت ذاك فما أنا بعد النوى
أنا صخرةٌ قد مزَّقتْ أوعالَها
وكأنّما رضيت بغربتها فلم
تشتقْ على مرِّ الزمانِ جبالَها

* * *

يا سائلي شعر التغزُّل بعد ما
عاثَ الزمان بلِمَّتي فأزالَها
وعتا بمفرقها ، وفرَّق جمعها
وأشابَ أشقرَها ، وراعَ قذالَها
أرجع إليَّ شبابَها وأعِدْ إلى
نفس المتيَّم رَوْضَها ، وغزالَها
وأعِدْ إلى قلبي الحياةَ فإنَّهُ
أرضٌ ولكن زُلْزِلَتْ زلزالَها
أرض كأرض القدس شرَّفها الإلـ
ـه على الزمان وغال من قد غالَها
وقع العدوُّ بها فيتَّمَ وُلْدَها
وأباحَ حرمتَها ، وشرَّدَ آلَها
وطغى بمسجدها ليبنيَ هيكلاً
بغياً وعدواناً ، وجاسَ خلالَها
أتلومني إن قمتُ بعدُ مذكّراً
أو باكياً ، أو نادباً أطلالَها
أو صارخاً بالنائمين : تنبَّهوا
أو داعياً يومَ الوغى أشبالَها

* * *

إنَّ العروبةَ يومَ مبعثِ أحمدٍ
نَظَرَ الإلهُ لها فبدَّلَ حالَها
بل كرَّمَ الإنسانَ يومَ اختارَ مِنْ
خير البريةِ خيرَها وكمالَها



نـالتْ بـه الشرفَ الـرفيعَ على الـوَرَى
فمضــتْ تجــرُّرُ دونَهم أذيالَـها
هــو رحمـةٌ للعالـمين ، وخاتَمُ
للمــرسلينَ ، وقـائدٌ أبطالَـها
إنسـانُ عــينِ وجــودِها ، مَثَلٌ لهـا
أعلى يعلِّمُ بـالهدى أجيالَها
أخــلاقُه ، وصفاتُه ، وسِماتُه
لـم تُبْصر الأكوانُ قـطُّ مثالَـها
لبس المرقَّعَ وهــو قـائدُ أمَّةٍ
جَبَتِ الـكنوزَ فـكسَّرَتْ أغـلالَـها
قـد جمَّـع الإسـلامُ بينَ شـتيتِها
وأنـارَ وجْهتَـها ، وأصـلحَ بالَـها
والله مـولاها ونـاصِرُها على
أمم كثـيرٍ مـا لـها مـولى لَـها
شَحَذَتْ بتقواهُ السيوفَ بـل اكْتَسَتْ
قبـلَ الـدروع مــن التُّقَى سِرْبالَـها
لـمَّا رآهـا الله تَمْشي نحوَه
لا تبتغـي إلا رضـاهُ سَـعَى لَـها
فأنالَـها شرقَ البـلادِ وغــربَها
بكتابـهِ وجنــوبَها وشمالَـها
سـارتْ على نـور الـكتابِ فسُوِّدَتْ
ثم انثنــتْ عــن شرعِـهِ فأمالَـها
نَزَعَ المهـابةَ مــن قلــوبِ عــدوِّها
وكسـا المهانةَ غيـدها ورجالَها

ذاقــت نــوالَ فَعالِـها فتقاعَسَتْ
لتـذوقَ مثـلَ الغـابقينَ وبالَـها
قــل للــذي يـرجو اسـتعادةَ قُدْسِنا
من غـيرِ حـربٍ قـدْ رجــوتَ مُحالَـها
ولِـمَنْ يُحاولُ أن تقـومَ عـروبـةٌ
مــن غـيرِ إسـلامٍ أردتَ زوالَـها

★ ★ ★

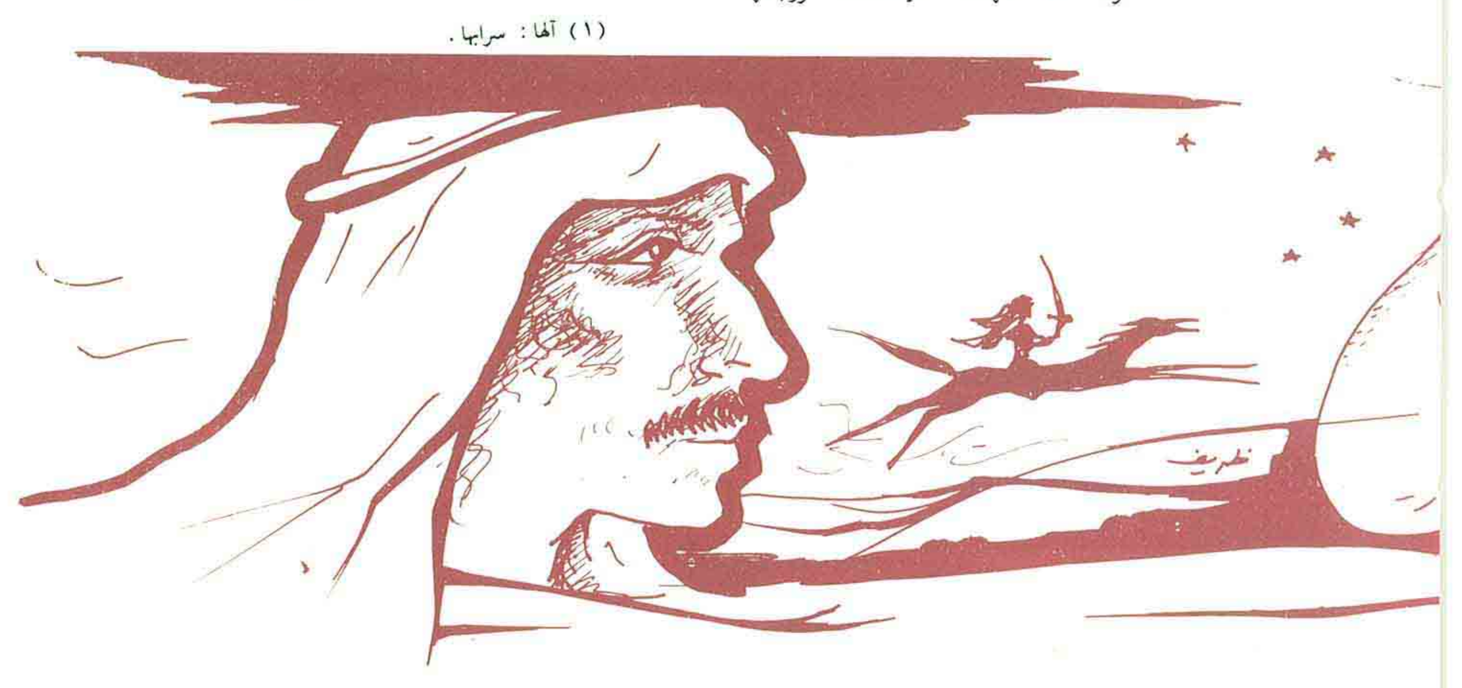
بُـحَّتْ فلســطينُ تنــادي أهلَـها
أأقــولُ قــد رحِــمَ المهيمــنُ آلَـها
أأقـولُ قــد ضــاعتْ وضــاعَ شبابُـها
هــدراً ودنَّستِ اليهـودُ هــلالَـها
لا لنْ أقـولَ فـي غـدٍ تُرْوِي الدِما
أغــوارَها ، وسهولَـها ، وجبالَـها
الله أكبرُ سـوف نسـمع قــدسَنا
الله أكبر غــورها وتــلالَـها
الله أكبرُ سـوف تـرجع أرضـنا
مـا دام فـوق الأرض شـخصٌ قالَـها

★ ★ ★

بَسَطَتْ ذراعَيْهـا لتحضُـنَ عُـوَّداً
بـالنصر أمَّـا هــدهدتْ أطفالَـها
فسجدتُ فـوق صـعيدِها ورشفْتُ مـن
سلسالِـها ، ولثمْتُ ثـمَّ رمالَـها.

الحواشي

(١) آلها : سرابها .





دعاء لأمي

شعر: د. عز الدين علي السيد

كنت أماه خاطراً معسولا ... يتخطى بك الزمانَ الطويلا
يوم أن كنتِ طفلة في يديها ... دمية ترسم الفتى المأمولا
تشغل القلب عن لذيذ طعام ... وشراب .. أشبعْتِها تقبيلا
في ذراعيك .. فوق فرشك نامت ... بهزيج يشفي الفؤاد العليلا
وحنان يكاد يكسبها الرو ... ح فتهفو إليك ترعى الجميلا
هكذا كنت في يديك أراني ... خلف رمز يغازل المجهولا

* * *

وخطابي الزمان بعد خيالا ... شاغلاً منك في حياتك بالا
حين ألقيتِ للطفولة ثوباً ... ضاق عن دمية الجمال كمالا
واستوى غصنك البديع رفيعاً ... في حياء الحسان فقْنَ جمالا
تلمسين الفؤاد لمسة وجدٍ ... وتضمين للضلوع ظلالا
هكذا كنت في يديك أراني ... في ليال مضت عليك طوالا

* * *



ودنت بي الغيوب .. للأحباب ... بين قلبين أينعا بالشباب
في ربيع كسا الغصون ثياباً ... فاتنات بحسنها الخلّاب
حاملات من البراعم سحراً ... عاطر النفح من شذى منساب
لمستني يداك برعم حسن ... راح ينمو مع الليالي العذاب
ما تبالين من حنانك أمّا ... ءُ .. بسهدٍ وشدة وعذاب
تصنعين العجيب قبل قدومي ... من فراشي .. ومركبي .. وثيابي

وأتاك المخاض بعد حنين ... لقدومي .. وبين نبر أنين
ساعة تعدل الحياة رجاءً ... من فؤادٍ ـ بما يحب ـ ضنين
لاح وجهي .. فسال دمعك شكراً ... لوهوبٍ على البلاء معين
ونسيت الشجون والألم النا ... صب .. لما رأيت نور جبيني
ليس وهماً .. وليس طيف خيال ... سارب الخطو في مهاوي الظنون
هكذا صرت في يديك أناغي ... خير قلبٍ على مناي أمين

درجت بي الحياة نحو فطامي ... فحملت الشجون من آلامي
حين أبكي وقد رنوت لثدي ... كان زادي وملتقى أحلامي
وبكفيك ما يزيل دموعي ... وبعينيك ما يزيد هيامي
تعبرين المساء رفقاً بقلبي ... في سهادٍ لكي يلذ منامي
إن تأوهت ضم صدريَ صدرٌ ... فيه وجدي .. وفرحتي .. وغرامي
ضمةٌ تمنح الشفاء حبيباً .. ... لم يزل دفق سحرها في عظامي

ونأى بي عن الطفولة عمري ... فرعاني حجاك يحكم أمري
أتلقى الدروس مُرّ مذاقٍ ... وأجوب الزمان من فوق جمر
فيراك الملول طاقة عزم ... ويراك الكليل قلعة صبر
فيوالي الكفاح بين رعودٍ ... مفزعاتٍ إلى المصير الأغر
هكذا أحكمت يداك حصوني ... وحمتني عبر الكفاح لنصري
إنْ أفاخر بك الحسان سعيداً ... واثق الصدق ما غلوت بفخري

رحم الله في ذرى الجناتِ ... من أنالت سنى الحياة حياتي
من رعتني مع السقام جنيناً ... يتجافى فراشها عن سباتِ
يصرف الوهم نفسها عن متاع ... بشهي الطعام والثمراتِ
حملتني وهناً على الوهن حتى ... وضعتني بموجع الأناتِ
ربّ فاجعل صلاة قلبي نوراً ... حول أمي وسابغ البركاتِ

مقياس المتانة

الأناقة والجمال مرادفان، ومفهوم الجمال
مطلق تماماً، فهو أكثر من تناسق في تركيب الالوان والشكل.
الجمال في أسمى معانيه هو الكمال، الكمال في البساطة
والوضوح وفي التصميم والانطباع. لكن ما معنى الجمال إن لم يكن أبدي؟
لذلك تعمل رادو بكل تركيز وديناميكية لبلوغ الكمال في خصائص
«داياستار» المقاومة للخدوش. إن اطارها المقاوم
للخدوش وياقوتها الكريستال الأزرق
سيحافظان على جمالها اليوم وغداً وأبداً.



الغيبوبة

أسبابها .. وعلاجها

بقلم
د . مدحت صابر الشافعي



الغيبوبة أن يغيب الإنسان عن الوعي تماماً لدرجة يفقد معها الاستجابة للمؤثرات الخارجية مثل الأصوات (كالنداء عليه) ومثل إحداث ألم بالجسم مهما زادت درجة الألم .

وتسبق الغيبوبة الكاملة درجات ثلاث هي على التوالي :

١ ــ أن تكون استجابته لهذه المؤثرات **بطيئة** لكنها موجودة ، فحين نوجه له أي نداء تجيء الاستجابة بعد فترة .

٢ ــ أن يستجيب الفرد لها بصورة **أشد بطءً** ويسبق الغيبوبة حالة لا يستجيب فيها الفرد للنداءات الصوتية بينما يستجيب لحدوث أي ألم بالجسم ، وهذه تسمى بحالة شبه الغيبوبة (Semicoma) .

أسباب الغيبوبة

يجدر بنا أن نقسمها إلى بندين :

- **أسباب موضعية** وتؤثر مباشرة على المخ ومراكزه .
- **وأسباب شاملة** لا يوجد بها مؤثر موضعي على المخ ومراكز التنبيه .

الأسباب الموضعية

(١) أسباب في الأوعية الدموية مثل نزيف بالمخ . جلطة بالمخ . نزيف تحت غشاء المخ ، وتأثر المخ بارتفاع ضغط الدم العالي .

وقد تحدث الغيبوبة نتيجة لكدمة شديدة بالمخ ، أو حدوث ارتجاج بالمخ ، أو أن يحدث تجميع دموي خارج أغشية المخ .

(٢) **إصابة المخ بالبكتريا** (Encephalitis) : وتصل البكتريا إلى المخ عن طريق الدم أو مباشرة بسبب إصابة خارج الرأس أو أن تمتد إليه بسبب التهاب **الأذن الوسطى** . وقد تصل البكتريا لأغشية المخ مسببة ما يسمى **بالالتهاب السحائي** ، وقد يتركز الالتهاب في صورة **خراج بالمخ** . وقد تحدث الغيبوبة أيضاً حين تحدث إصابة المخ **بالملاريا** ، أو حين يحدث احتقان بالمخ نتيجة إصابة المخ **بالزهري** (الطور الثالث من الزهري) . . وكذلك يصاب المخ **بالدرن** .

(٣) **أورام بالمخ** : وعادة تحدث الغيبوبة في هذه الحالة حين ينتشر الورم إلى المراكز المخية المسؤولة عن الوعي واليقظة ، ولكن من الممكن أن تحدث فجائياً حين يحدث نزيف بالورم .

(٤) يحدث بعد نوبات الصرع والتي يصحبها نشاط في جميع المراكز العصبية أن يلحق الاجهاد بعد ذلك بهذه المراكز ، والذي إن زادت حدته أدت إلى حدوث الغيبوبة ، وعادة يحدث هذا بعد نوبات الصرع المتكررة التي تستمر لفترة من الوقت .

الأسباب غير الموضعية

في بعض حالات الغيبوبة لا يكون هناك سبب موضعي يؤثر على المخ فقط لكنه **سبب شامل** يشمل أكثر من عضو من أعضاء الجسم من بينها المخ .

(١) **اضطراب عمليات الميتابولزم** داخل الجسم مثل حدوث **الغيبوبة الكبدية** (كوليميا) وهبوط وظائف الكلية (Uraemia) ، وغيبوبة **ارتفاع سكر الدم** بأنواعها ، وما قد يتبع علاجها من نقص شديد في سكر الدم ، واضطراب في أملاح الدم (الصوديوم والبوتاسيوم ـ الالكتروليت) وتحدث الغيبوبة أيضاً **لزيادة نسبة البروتينات بالدم** كما يحدث في مرض الميلوما (M. Myeloma) .

(٢) **اضطربات الغدد الصماء** (اللاقنوية ، بمعنى أنها تعطي إفرازها مباشرة في الدم دون حاجة لوجود قنوات) ، مثل هبوط وظائف الغدة النخامية (لاحتفاظ الجسم بالماء ، وانخفاض شديد في درجة حرارة الجسم ، ونقص شديد في سكر الدم) ، هبوط وظائف الغدة الدرقية وازدياد إفرازات الغدد الجاردرقية .

(٣) **اضطراب الدورة الدموية** مثل نقص شديد في كمية الدم في الدورة الدموية كما يحدث عقب النزيف الشديد ، وما يعقب ذلك من نقص شديد في كمية الدم الواردة إلى المخ ، والذي يحدث أيضاً عقب التوقف الوقتي للقلب (نتيجة لعدم وصول المؤثرات إلى عضلة القلب لانسداد موجود في الضفيرة الموصلة (Stoks Adams Attack) .

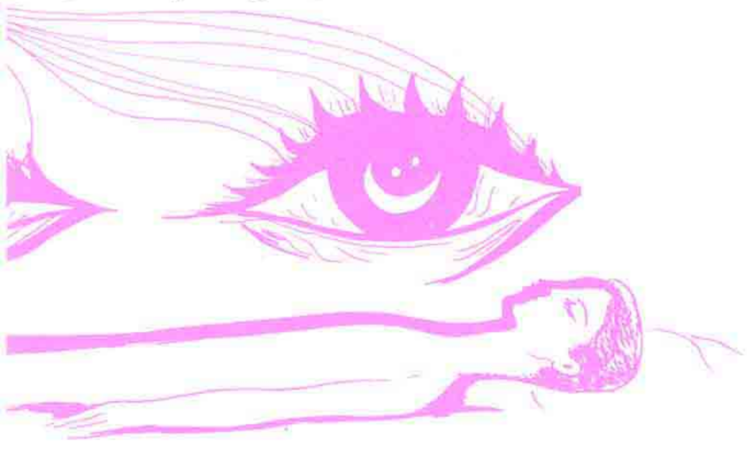
وتتميز هذه الحالة بأن الغيبوبة قصيرة المدى تنتهي بمجرد استعادة القلب لنبضاته .

(٤) وتلعب **الصدمات الكهربائية** دوراً في إحداث حالات الغيبوبة مثل : انخفاض درجة الحرارة الشديدة ، وضربة الشمس ومرض كازون الذي يحدث نتيجة لانسداد الدورة الدموية بسبب فقاعات النيتروجين التي تذوب في الدم في حالة وجود الجسم تحت ضغط مرتفع كما هو الحال في أعماق البحار ، وما إن يتم صعود الفرد إلى السطح بسرعة حتى ينجم عنه تكوّن فقاعات النيتروجين داخل الدورة الدموية حيث يتعزر التخلص من النيتروجين عن طريق الرئتين .

(٥) ومن السموم المشهورة التي تؤدي إلى الغيبوبة هي **التسمم بالمورفين** (يحدث هبوطاً في نشاط الجهاز التنفسي) وغاز أول أكسيد الكربون ، والأسبرين ، والأقراص المنومة (مثل الفينوباربيتون) بكميات كبيرة وتناول الكحول والخمور بكميات تنال من درجة الوعي عند الإنسان حتى تحدث الغيبوبة .

كيف تحدث الغيبوبة ؟

يوجد بالمخ نسيج شبكي يمتد من **النخاع المستطيل** (Medulla Oblangata) حتى الجزء الأسفل من **المهاد** (Thalamus) . وهو عبارة عن مادة سنجابية رمادية (Grey matter) ، وتوجد خلال النسيج عدد من النويات الشبكية تسمى طبقاً لموقعها (Reticular Nuclei) . ويستقبل النسيج الشبكي ألياقاً من



أنسجة المخ المسؤولة عن الحركة الإرادية، والمراكز الحسية في الجسم، وتخرج منه ألياف إلى المهاد، ثم إلى القشرة المخية. والمسؤول عن تنبيه ووعي ويقظة الإنسان هو تنبيه النسيج الشبكي للقشرة المخية، وهذا أيضاً مسؤول عن إيقاظ الشخص من النوم العميق. والجزء المختص بهذا النسيج الشبكي هو الجزء العلوي منه، والقريب من المهاد، ويسمى **بالجهاز الشبكي النشط** (Reticular Activating System)، ويظل الإنسان يقظاً ومتنبهاً بفضل تنبيه القشرة المخية للجهاز الشبكي النشط.

وبالتالي فالأخير يقوم بتنبيه حركة الأحشاء ودرجة توتر العضلات (Visceral movement and Muscle tone) ويفرز الأدرنالين (الابنفرين) من نخاع الغدة الجار كلوية. ويقوم كل من الجهاز الشبكي والقشرة المخية بدور منشط للآخر على هيئة **دائرة تنشيطية متبادلة بينهما**. والغيبوبة تحدث حين ينال كل سبب من الأسباب الموضعية والعامة (التي ذكرناها) النسيج الشبكي فيؤثر على وظيفته ونشاطه.

وكذلك فجميع المهدئات العصبية والمنومات تؤثر على ذلك النسيج الشبكي وتقطع الدائرة المتصلة بينه وبين القشرة المخية.

كيف يتم فحص مريض الغيبوبة؟

لا بد من **السؤال عن التاريخ المرضي للحالة**، وبالطبع يتم هذا بسؤال أقارب المريض. ويشمل ذلك السؤال عن مدى معاناة المريض من أمراض مختلفة مثل: مرض السكر، مرض الكلية، وأمراض الكبد، والقلب، ارتفاع في ضغط الدم، التعود على تناول مهدئات أو أدوية معينة، لعلاج مرض معين، أو تناول المورفين أو الخمور بكثرة.

ويتم السؤال عن كيفية حدوث الغيبوبة، فإن كانت قد حدثت بطريقة فجائية سريعة وهذا يشمل غيبوبة الصدمات مثل الحوادث وصدمة الكهرباء أو ارتفاع شديد في ضغط الدم أو جلطات أو انفجار في شريان المخ أو نقص شديد في سكر الدم.

وإن كانت الغيبوبة **تدريجية الحدوث** فلا بد من **فحص الأشياء المحيطة بالمريض**، مثل وجود **زجاجة دواء فارغة** (أقراص مهدئة). ويجب أن يوضع في الحسبان أن مدمن الخمر من الممكن أن يكون لديه غيبوبة سكر أو ارتفاع في ضغط الدم أو الغيبوبة التي تعقب الصرع (لتأثير إدمان الخمر على المخ). ومن وجود أقراص الأسبرين بجوار المريض من الممكن أن يكون معناه أنه تناول الأسبرين لتخفيف واحد من الحميات الثلاث المشهورة مثل الملاريا – الالتهاب السحائي (حيث الصداع الشديد) وضربة الشمس، هذا إلى جانب أنه من الممكن أن يكون قد تناول كمية كبيرة من الأسبرين.

بالنسبة **لكبار السن** من مرضى الغيبوبة يجب أن يوضع احتمال كبير لوجود ارتفاع شديد في ضغط الدم، وتصلب شرايين المخ أو جلطات منتشرة في المخ، أو وجود ورم خبيث بالمخ.

ولا بد من فحص **ملابس المريض** لاحتمال وجود دواء معين أو وجود رائحة معينة مثل الخمر وصبغات معينة، أو وجود دم (وهذا مما له أهمية في الطب الشرعي). وفحص رأس المريض مهم جداً فإن وجدت آثار لجراحة سابقة بالرأس أو أثر حادث سابق قد يكون مهماً.. حيث إنه قد تكون تسببت عنه **التصاقات بين أغشية المخ**.. مما يؤدي إلى نوبات صرع متكررة، وكذلك تفحص الجمجمة لاحتمال وجود كسور بها.

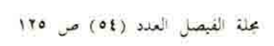
وتدفق **الصديد** من أذن مريض الغيبوبة مهم جداً، حيث إنه ربما يدل على وجود التهاب شديد بالأذن الوسطى، ونجم عن ذلك حدوث **خروج بالمخ**، بينما يعتبر تدفق الدم أو السائل النخاعي من أذن المريض معناه احتمال وجود كسر بقاع الجمجمة. ويزداد هذا الاحتمال لو أن الغيبوبة قد حدثت بعد حادث أصاب الرأس.

ولا بد من **أن نضع السماعة على رأس المريض**، فإن اتضح وجود **صوت** أو **حفيف** (Bruit) فإن لهذا أهمية كبيرة.. إذ قد يكون هناك **تمدد في شرايين المخ** أو اتصال بين شرايين وأوردة المخ، وفي الحالتين يوضع احتمال حدوث نزيف بالمخ – ولا بد من جس نبض جميع الشرايين السباتية.

ولا بد من **شم رائحة فم المريض**.. فمثلاً رائحة الخمور تؤيد وجود **التسمم الكحولي**، ورائحة الأسيتون تؤيد تشخيص الغيبوبة السكرية الكيتونية، (Diabetic Keto-Acidosis)، ورائحة الأمونيا تدل على تسمم البولينا، والغيبوبة الكبدية وتتميز بوجود رائحة مثل الخروج (Foetor Hepaticus). ووجود رائحة كريهة تصدر من الفم تدل على وجود **خراج بالرئة** وربما يكون مصحوباً بخراج آخر في المخ وهو المسؤول عن الغيبوبة.

وتدل رائحة الفم على تناول نوع معين من المواد السامة ولو اصطحب ذلك وجود تقرحات حول الفم وداخله فقد يدل على تناول المريض لإحدى المواد الحارقة الكاوية.

ولا بد من **قياس درجة حرارة المريض**. وحيث إنه في غيبوبة فلا بد من قياسها عن طريق الشرج (لا بد هنا من أن ننقص ١/٢ نصف درجة مئوية من قياس الترمومتر). والانخفاض الشديد في درجة حرارة الجسم تعني أن المريض في حالة صدمة دموية شديدة، أو هبوط في وظيفة الغدة الدرقية أو النخامية ووجود ارتفاع شديد في درجة الحرارة يدل على أن الحالة ربما تكون ملاريا بالمخ، أو التهاب سحائي، التهاب



بخلايا المخ (Encephalitis) أو ضربة شمس أو نزيف بالمخ (Apoplexy) أو تسمم الغدة الدرقية .

ولا بد من التأكد من حدوث إحدى المضاعفات لحالة الغيبوبة مثل الالتهاب الرئوي الشديد بسبب **عدم تقليب المريض أو لخراج بالإلية نتيجة إعطائه حقنة دون تعقيم أو التهاب شديد بالمثانة** ، وحوض الكلية ، نتيجة لاستخدام متكرر لقسطرة غير معقمة (من هنا يتضح دور التمريض السيىء) .

ولا بد من **فحص رقبة المريض** فإن وجدنا أي تصلب فهذا يؤيد تشخيص الالتهاب السحائي ، أو نزيف تحت النسيج العنكبوتي للمخ ، أو مجرد تأثير لما حدث داخل المخ على أغشية المخ (Meningismus) . ونصل إلى تشخيص إحدى الحالات الثلاث ببذل السائل النخاعي .

ومن طريقة **تنفس المريض** نصل إلى تشخيص سبب الغيبوبة ، فلو كان هناك شخير عالي الصوت مع ارتفاع شديد في درجة حراة الجسم يدل ذلك على حدوث **نزيف بالمخ** ، ولو كان التنفس متقطعاً (نوبات من توقف التنفس ثم تنفس بدرجة مرتفعة وهكذا بصورة منتظمة) (Chyne Stoke breathing) فإن هذا يؤيد وجود جلطة أو نزيف بالمخ أو ورم منتشر بالمخ ، وفي حالات غيبوبة السكر المصحوبة بالأسيتون يكون هناك عمق في التنفس كمن يحتاج للهواء (وذلك محاولة من الجسم للتخلص من الأسيتون عن طريق هواء الزفير) .

وبفحص عين مريض الغيبوبة قد يستدل على سبب الغيبوبة ، فإن كانت جاحظة كان هذا مصاحباً **لتسمم الغدة الدرقية** ، ولو كان الجحوظ في عين واحدة كان هذا ناجماً **عن ورم انتقل إلى داخل المخ** ، وهذا عادة ما يكون بسبب ورم **بالغدة الجار كلوية** ، خصوصاً الناحية اليسرى ، ولو كانت العين صفراء (أي أن بياض العين أصبح أصفر اللون) يؤيد هذا أن الحالة غيبوبة كبدية ، وأن هناك فشلاً في وظائف الكبد ، ويصاحب ذلك إصفرار في سقف حلق المريض والجلد ، ويؤيد ذلك الفحص المعملي .

وبفحص حدقة إنسان العين ــ فإن كانت متسعة ولا تعطي أي استجابة عند تسليط الضوء عليه (بمعنى لا يحدث ضيق (Irreactive) دل ذلك على مدى خطورة الحالة وتدهورها . . ولو كانت الحدقة ضيقة جداً (Pin Point Pupil) فالحالة إما **تسمم بالمورفين** أو نزيف بالمخ وبالتحديد في **جسر المخ** (Pons) . ونفرق بين الحالتين بوجود ارتفاع شديد في درجة حرارة الجسم في نزيف جسر المخ . وفي حالة حدوث الشلل النصفي نتيجة لسبب موضعي في المخ . . فإن ذلك يعني ارتخاء في المخ ، كما يعني أن وجنة المريض السليمة أكثر حركة مع التنفس من الوجنة الأخرى ، وتكون العينان متجهتين ناحية النصف المشلول .

وبأصبع اليد ، يمكن الاستدلال على ضغط العين والذي يكون منخفضاً في حالة غيبوبة السكر والبولينا . وقبل أن نترك العين لا بد من فحص قاع العين ومنه يتضح ارتفاع الضغط داخل الجمجمة ، أو نزيف داخل المخ ، أو تحت الغشاء العنكبوتي (Subarachnoid haemornhage) .

ولا بد من إجراء **فحص الجلد المريض** فلو كان هناك عرق غزير فهو يحدث عادة في حالات النقص الشديد في سكر الدم . . إثر إعطاء الأنسولين بكميات كبيرة لمريض غيبوبة السكر أو نتيجة إعطاء أنسولين لمريض بالسكر دون تناول طعام الإفطار وأن يتبع ذلك مجهود كبير ، أو إثر إفراز الأنسولين داخلياً بكمية كبيرة (Insulinoma) . ولا بد من سرعة تشخيص الحالة وسرعة إعطاء المريض فقط جلوكوز مركز بالوريد حتى نحول دون تحطيم المراكز المخية بطريقة غير رجعية .

وجفاف الجلد الشديد مع ارتفاع شديد بحرارة الجسم يؤيد حدوث ضربة الشمس . ويحدث الجفاف أيضاً مع حدوث خشونة بالجلد وفقد مرونة في حالات البولينا والتيفود . ويفحص الجلد جيداً في **أماكن وخز الإبر** . . فإن وجدت فقد يدل ذلك على أن المريض يتناول الأنسولين لعلاج السكر . لذا وجب على كل مريض بالسكر أن يحمل بطاقة تفيد تناوله للأنسولين وأوقات تناوله ، أو يدل على أن المريض من مدمني المورفين ويتناوله بالحقن .

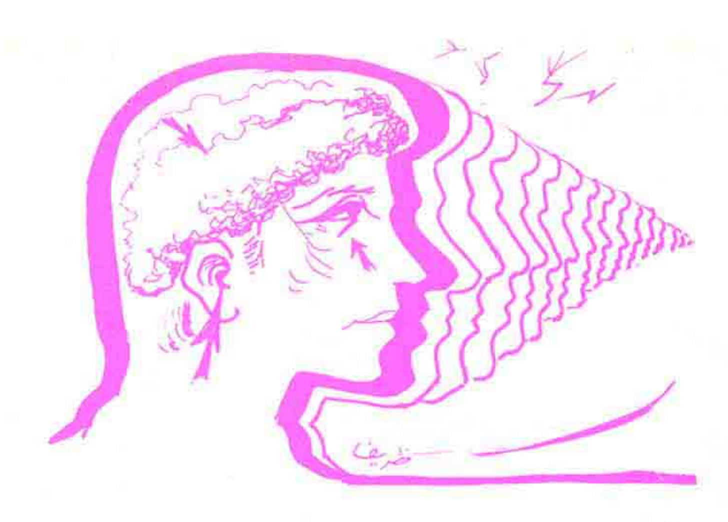
وإن كانت هناك **زرقة بالشفتين والجلد** دل ذلك على وجود هبوط بالجهاز التنفسي ، ويحدث هذا عادة من كثرة تعاطي المهدئات والمنومات مثل الفينوباربيتون أو أن هناك مرضاً منتشراً بالرئتين يحول دون أدائها الجيد . وهنا لا بد من سرعة إعطاء المريض الأكسجين .

ويفحص الجلد للتأكد من وجود بقع بنية أو تغير في لون الجلد أو في مخاطية الفم . ويحدث هذا في حالة مرض الأديسون (Addison's disease) المصاحب بهبوط في وظائف الغدة الجار كلوية .

وإن وجدت بقع دموية في جلد المريض : (لا تزول بالضغط عليها) فقد يشير هذا إلى أن لدى المريض استعداداً للنزيف أو أن هناك نزيفاً بالمخ . وبقياس الضغط . . فإن كان مرتفعاً فالحالة قد تكون نتيجة لارتفاع الضغط في الدم (في المخ) أو مصاحبة لحالة البولينا ، وإن كان منخفضاً فيجب توقع حدوث نزيف داخل المخ .

ولا بد من **فحص نبض المريض** ، فإن كانت سرعته متمشية مع ارتفاع درجة الحرارة (**بمعنى أن لكل ارتفاع درجة في درجة الحرارة زيادة في النبض بمعدل ١٠ نبضات في الدقيقة**) فهذا شيء طبيعي ولا بد للنبض أن يكون موجوداً ومتساوياً في الذراعين ، وعدم وجوده في ذراع قد يؤيد وجود جلطات في المخ . ولو كان النبض بطيئاً جداً فهذا يدل على ارتفاع في الضغط داخل الجمجمة (نتيجة لارتفاع في ضغط الدم أو ورم منتشر أو نزيف في المخ) . وهناك نبض مميز لمريض التيفود ولو كانت هناك اختلاجات أو كان النبض غير منتظم فإن هذا يدل على وجود مرض بالقلب ولا بد من القيام بفحصه . ويلعب القلب دوراً كبيراً فلو قل إخراجه لدرجة كبيرة نجم عن ذلك أنيميا شديدة في الدورة الدموية ، المخية .

ولو كان هناك عيب خلقي بالقلب مثل مرض فالوت الرباعي فإن مضاعفاته حدوث خراج بالمخ ، وعدم انتظام ضربات القلب يلعب دوراً



كبيراً في تكوين **جلطات داخل القلب** تنتقل بطريق الدم للمخ ، ويجمع مرض الزهري في إصابته **بين المخ والقلب** فلا بد من وضع ذلك في الاعتبار وإن كان هناك إصابة في إحدى صمامات القلب وصاحب ذلك ارتفاع في درجة الحرارة نضع احتمال عدوى بكتيرية في بطانة القلب (Infective Endocardieis) ويكون الاحتمال هو انتقال إحدى الجلطات المتكونة بالقلب إلى المخ أو حدوث نزيف تحت الغشاء العنكبوتي للمخ إثر نزيف حدث من تمدد لجدار الشرايين المخية كإحدى علامات ومضاعفات هذه الحالة ، ولا بد للتوصل لتشخيص وعلاج هذه الحالة من عمل مزرعة حساسية للدم .

ويتم **فحص الصدر** للتأكد من عدم وجود عدوى درنية التي قد تكون مصحوبة بتدرن في المخ أو عدم وجود خراج بالصدر أو تمدد بالشعب الهوائية وكذلك عدم وجود ورم سرطاني بالرئة .

ويتم فحص البطن لاكتشاف تليف بالكبد وتضخم بالطحال واستسقاء (غيبوبة كبدية) والتهاب درني بالبريتون أو نزيف داخل تجويف البطن ولا يتم فحص البطن إلا بعمل فحص مهبلي في الإناث وفحص شرجي في الإناث والذكور .

وبعد ذلك نقوم بفحص الجهاز العصبي الذي قد يتأثر (أعصاب الأطراف مثلاً) بأحد المسببات الموضعية المذكور . ويتضح ذلك بفحص أعصاب الأطراف .

الأبحاث التي تجرى لمريض الغيبوبة

وتجرى للمريض المصاب بالغيبوبة أبحاث على جانب من الأهمية مثل :

- فحص قاع العين .
- رسم القلب .
- أشعات مختلفة على الجمجمة والصدر .
- قياس مستوى السكر والبولينا بالدم .

وباستخدام **الموجات فوق الصوتية** يمكن تحديد الخط الأوسط للمخ وعن مدى إزاحته عن موضعه . وهذا شيء غير طبيعي ولا يتم إلا عن طريق تواجد ورم أو نزيف في أحد الجانبين ، كما ونأخذ عيّنة من السائل النخاعي للمريض للتحليل .

لو فشلت كل هذه الأبحاث والفحص الإكلينيكي في التوصل للتشخيص . . تعمل **مزرعة للدم** ويحتفظ بحوالي عشرين سم من بلازما المريض في الثلاجة بعد أن تحلل إلى محتوياتها ويفصل عنها مختلف الأدوية والسموم ، ومن ثم الاستفادة من البلازما لإجراء أي تحاليل نجدها ضرورية مستقبلاً .

كيفية رعاية مريض الغيبوبة

يجب أن نطمئن **إلى سلامة المجرى الهوائي** ، وقد يستدعي الأمر تركيب أنبوبة إلى داخل القصبة الهوائية – ويوضع المريض في وضع جانبي لأنه حين يكون المريض ملق على ظهره نخشى **سقوط اللسان إلى الخلف فيسد الحنجرة** .

ويجب متابعة مستوى الغازات في الدم مثل **ثاني أكسيد الكربون والأكسجين** ، لتحديد مدى حاجة المريض لجهاز التنفس الصناعي ، وطبقاً لما تدل عليه قراءة ضغط الدم يكون علاج ضغط الدم .

ويجب أن **يقلب المريض في فراشه تفادياً لمنع حدوث تقرحات الظهر أول ظاهرة لهذه التقرحات هو احمرار بالجلد وتحدث في المناطق التي ينضغط فيها الجلد بين السرير وعظام الجسم مثل منطقة الإلية وتعتبر هذه القروح نوعاً من (الغنغرينا التي تكون أشد في المناطق العميقة من الأنسجة السطحية** . وبتقلب المريض ودهان الظهر بالكحول وبودرة التلج كل ساعتين نتفادى حدوثها .

ومن الواجبات نحو رعاية مريض الغيبوبة تثبيت قسطرة للبول حرصاً على حساب خريطة السوائل ومنعاً لتلوث فرش السرير ، وهذا بدوره يسبب حدوث قروح الظهر . ومن آن لآخر يتم تحليل البول للحيلولة دون حدوث التهاب بالمثانة لوجود القسطرة ، كما يتم إدخال أنبوبة (رايل) من أنف المريض ليتم إعطاؤه بعض الغذاء عن طريقها حتى تتم الإفاقة .

ونظراً لأن المريض في غيبوبة كاملة ومنعاً لحدوث قروح قرنية العين بسبب جفافها (لأن جفني العين لا يطبقان ولا يتحركان ولهذه الحركة دور كبير في تحريك الدموع على القرنية) يجب أن نضع في العين **مرهماً مضاداً حيوياً (عادة التيراميسين)** لكي يحول دون التهاب القرنية .

ولا يستعمل مضادات حيوية كاحتياط ضد حدوث أي عدوى بكتيرية حتى لا تتولد لدى البكتريا مقاومة ضد هذه المضادات ، وإذا حدثت أي عدوى بكتيرية في الجسم فلا تعطى أيضاً أي مضادات حيوية قبل أن تعمل مزرعة حساسية لمعرفة نوع الميكروب والمضاد الحيوي الذي يؤثر عليه .

إلا أنه يمكن للطبيب بناء على خبرته مع أكثر الميكروبات شيوعاً في مثل هذه الحالات ، أن يستعمل مضاداً حيوياً شامل المفعول : (Broad Spectrum Antibiotics) .

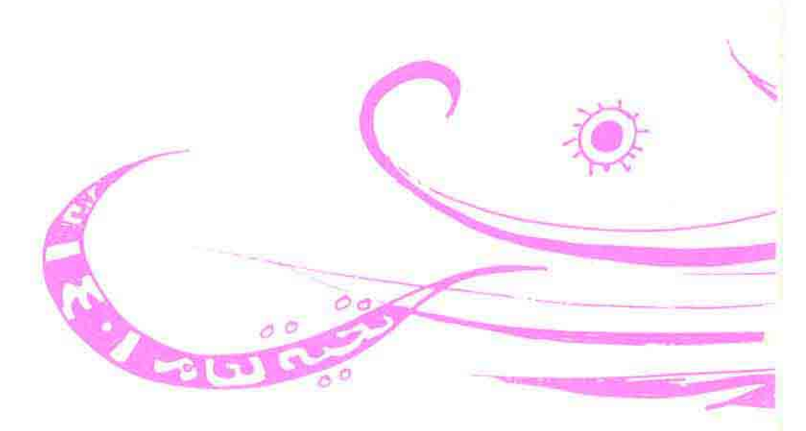
ولا شك أن جميع هذه الخطوات ضرورية إلى جانب ما هو أهم وهو البحث عن سبب الغيبوبة وإيجاد العلاج اللازم لها .



تحية للعام

للشاعر: مبارك المغربي

مَرحى! دعاك الهدى.. هذي منابرُهُ
هشّتْ إليك.. وقد شعّت منائرُهُ
وازيّنت بجميل الوشي ساحتُه
لاحت لها بعدما ازورّت بشائره
أتاك بالوحي روح كم هفوتَ له
والعقل لاوٍ، وكم فاضت مشاعره
وانجاب عنك ظلام كم شَقيت به
حيناً وسوّدت الدنيا دياجره
ما الشعر إلا شعور صادق فَتي
هاجت دواخله جاشت خواطره
والروض أمّا زكت عطراً خمائله
غنّى له أعذب الألحان طائره
لقد قضَيتُ زماناً كنتُ في شغُل
عن الطريق الذي تُرجى ذخائره
أضعتُه بين أهواء مضيِّعة
والعيش من رغَدٍ لانت مكاسره[1]
فكم شجاني نديُّ الصوت ساحره
وكم رماني غضيض الطرف فاتره
حتى إذا ما انجلت صبحاً غشاوته
من غير ما ندم... وانفضّ سامره
أتيت أحمل في جنبيَّ قلب جو
دلّت عليه بما فيه زواخره
هذي تحيته للقرن يسكبها
شعراً تطوف على الدنيا قيائره
تزف للموكب السحريُّ بهجتها
للعالم الرحب شاقتها مناظره[2]
فلترهفوا السمع إن الركب مقترب
منا.. وفي الركب حاديه وشاعره
في هجرة المصطفى للناس تذكرة
أصغى لها الكون فازدادت مفاخره
قد صاغها الدهر للتاريخ ملحمة
مدادها النور ما جفّت محابره
توحي بأن بلوغ الغاي ليس مُنىً
لكنه العزم جدّ السير قاهره
لم يهجر الربع عن مَقْتٍ له.. فَبه
أخدان نشأته.. فيه عشائره



١٤٠١هـ

لـكنه سار عنه وهو منقبض
ممن تصدوا له.. مما يخامره
وقد يطيب فراق بعده صلة
وقد يعود بعيد الدار هاجره
قد سار والليل مرهوبٌ أناخ على
صمت الفلاة فغطتها ستائره
والمشركون على آثاره انطلقوا
كي يظفروا بالهُدى.. والله ساتره
يا من رأى الغار مزهواً بزائره
ومن رأى كيف زان الغار زائره!
ومن أصاخ إلى قول الرسول وقد
كان الرفيق على قرب يحاوره
قد أنزل الله من فضل سكينته
عليهما.. والأذى تترى غوادره
وافى ديار الأُلى هشوا لمقدمه
من كل شهم حكت عنه مقاصره[٣]
أضفى عليهم صفاء من سجاحته
وفاح نشرٌ به يعتز ناشره
حتى إذا جاء نصر الله وانفتحت
أبوابه.. ودعا الرحمن شاكره
عم الأنام ضياء لا نظير له
وأين توجد في الدنيا نظائره؟
أعزّه الشرق فانصاعت أكاسره
وهابه الغرب فانقادت قياصره
وغيّرت صفحة التاريخ وجهتها
مذ أشرق الحق وانهلّت مآثره
عم الوجود فلم تظفر أوائله
بمثل ما جاء.. أو تسعد أواخره

★ ★ ★

أهلاً بمقدم قرن لا يشابهه
من القرون شبيه أو يناظره
قد جئتنا ورياح البغي تلفحنا
لم تَجْلُ عنا.. ولم تهدأ ثوائره[٤]
واهاً لفلسطين التي احتملت
ما لا يطاق.. دماً ما كفّ هادره
فهذه القدس ـ وا للقدس ـ حلّ بها
من المضلين غالي الصدر واغره
عاثت بها يده في كل ناصية
منها.. وما انقطعت يوماً مجازره
أتصبح القبلة الشماء حاضرة
للمفسدين وينسى الثأر واتره؟[٥]
وكيف تغلبنا في أرضنا فئة
من الطغام ويُخلي الغاب كاسره؟
وأين غابت عن الميدان كوكبة؟
من الفوارس قد كانت تحاصره؟
والدولتان بأعذار ملفّقة
قد عاثتا وَضَراً طالت معاذره[٦]
ومجلس الأمن ـ يا للأمن ـ في سِنةٍ
عما يدور.. كما تروي محاضره
لن تستقيم لنا حال وبُغيتنا
هذا الصراع الذي تُخشى مصائره
قد باعدت بيننا الأهواء واتسعت
دنيا الشقاق وغضّ الطرف ساهره
وفرقتنا وقد ضج الحمى ـ حجج
من الخلاف الذي كنا نحاذره
هانت عروبتنا في ظل متكأ
من الهناء وعيش لذ ناظره
لن يستفيد سوى الأعداء من فتن
نشق بها كي ينال السبق ماكره

فلا تُصيخوا لمن كان الخداع له
دأباً.. حكى عنه ماضيه وحاضره
ما للعروبة قد طال الطريق بها
وعربدت بنواحيها كواسره؟
والشرق! أين حماة الشرق من عبث
ما انفك ينخر في الأعضاء ناخره؟
قد أصبح العالم المجنون في هف
نحو الهلاك كأن الشرّ آمره
صرنا له ـ يا أباة الضيم ـ مهزلة
يلهو بنا كيفما شاءت محاوره
أما السلام الذي كنا نتوق له
كي نستظلَّ به، غامت بوادره
ويحي لمغترب في داره أخذتْ
منه الصروفُ، فما خارت مرائره[7]
يستقبل الغدر والعدوان محتملاً
شر الأذاة بصبر لا يغادره
يا أمة الشرق كم بالشرق من إحن
حاقت به بعد ما جُذت أواصره
قد أصبح اليوم في أسر أحيط به
وأغمدت بعد صولات بواتره
ما باله عاد أشتاتاً مبعثرة
تغري العدو فتصليه هواجره
قد آن يا قوم أن تحتل ساحتنا
روح التضامن.. أن ينهل ماطره
وأن نساند من هبوا ليتجهوا
نحو الجهاد لكي تقضى نذائره[8]
إن الفداء شعار عز حامله
فالحمد أوله والخلد آخره
حان التنادي لأخذ الثأر فاستبقوا
ما ذل شعب فدى بالروح ثائره

★ ★ ★

مرحى بداية قرن لاح في ألَقِ
من بعد غمّ طغت فينا فواقره[9]

في عالم حلت الفوضى بساحته
فساد فسقاً وأعمته جرائره
صال القويُّ به من غير ما حرج
الغدر باطنه والود ظاهره
ما بالنا نشتكي والداء مختبئٌ
فينا.. وإن تك أعيننا مصادره
ما بال قوم لنا كنا نعدهمو
ليدرؤا الشر أغوتهم عناصره
واستهجنوا الضاد ـ من للضاد ـ حين بدت
كالمركب الصعب لم تدرك مسابره[10]
ما ضلّ قوم زكت بالدين سيرتهم
أو زال مجد به نادت أكابره[11]
أو هان من نبذوا الأحقاد وانتهجوا
درب الوفاق وقد رفّت مشاجره[12]
هلّا رجعنا فطوّعنا النفوسَ على
حب السلام ليلقى الحمد باذره!
هلّا غسلنا من الأوشاب أنفسنا
كي يستقيم عليل الجسم ضامره!
إن أبرزت أمة الإسلام موقفها
من كل ما مسّه من ذا يسايره!
هلّا اتجهنا إلى الإصلاح وجهة من
يُرضي الإله فتغشانا مواطره
واستلهموا لغة القرآن إن بها
كنزاً من العلم لا تُحصى جواهره
رباه! إنك تدري ما نكابده
فالطف بنا واهد من ضلّت بصائره
وامنح عبادك عفواً أنت مالكه
واصفح عن الذنب من إلاك غافره
لاهُمَّ هيئْ لنا من أمرنا رشداً
حتى نفيء لنور عمّ باهره
وانشر إلهي للإسلام دعوته
حتى تعمّ الورى طُراً شعائره
هيهات يُخذلُ دينُ المصطفى أبداً
مهما أريد به.. فالله ناصره!!

الهوامش

(١) مكاسره: أطايبه.
(٢) مناظره: مثيله.
(٣) مقاصره: أصوله.
(٤) ثوائره: جمع ثائرة ـ ضجة.
(٥) واتره: متبعه.
(٦) الدولتان: أمبريكا والاتحاد السوفييتي.
(٧) مرائره: عزائمه.
(٨) نذائره: جمع نذيرة، ما يعطى نذراً.
(٩) فواقره: دواهيه.
(١٠) مسابره: أغواره.
(١١) أكابره: ذوو الشأن.
(١٢) مشاجره: منابته.

قصة قصيرة

بقلم : محمد علي قدس

طريق العودة إلى المدينة

كانت الشمس قد شارفت على المغيب .. في الوقت الذي انحدرت فيه سيارة من النوع الياباني الصغير عن الطريق العام . اتجهت نحو طريق صحراوية متعرجة . غبار كثيف تخلفه السيارة خلفها .. تتصارع فيه حجار الطريق ورماله الناعمة . كان الجو يميل إلى البرودة . نوافذ السيارة مغلقة والجو داخلها مريح جداً .

شخصان داخلها .. أحدهما يتولى القيادة ، وقد بدت الرحلة بالنسبة له ممتعة وشيقة ، والآخر يجاوره . تجاذبا أطراف حديث انعكست آثاره على وجه الآخر بأحاسيس قلقة . نغم فولكلوري راقص انساب عبر جهاز الراديو . قائد السيارة يقول كلاماً لا يعيه صاحبه .. كان في واد غير الوادي .. الذي هما فيه . تمخض بعد صمت بسؤال أيقظ في نفسه مخاوف جمة . ألقاه في لهجة متلجلجة :

ـ أتعرف الطريق حتماً .. أم ..؟!

وتطلع قائد السيارة في عيني صديقه الضيقتين ، وابتسم كعادته .. وقال يطمئن صاحبه ـ وكان محدود التجارب والثقافة رغم أنه تخطى عقده الثاني بسنوات ـ :

ـ الطريق ستكون سالكة بعد حوالي المئة متر . عند ذلك سيصبح الأمر سهلاً . ألا تشتاق يا أخي لرؤية الأرض التي اشتريناها معاً .

زاغت عينا الشاب الذي كانت ملامح وجهه قريبة لملامح الآسيويين . وقال غير واثق :

ـ بحلول الظلام سيصبح الأمر في غاية الصعوبة . خصوصاً وإننا سنتبع طريقاً غير معبدة !!

ـ لا تكن جباناً . ليس في الأمر صعوبة . علينا أن ندرك صلاة المغرب أولا قبل فواتها . ومن ثم نواصل الطريق . الأمر لا يستحق منك هذه المخاوف .

طرأت على ذهن الشاب الخائف .. كل القصص والحكايات التي استمع إليها من رفاقه وبعض الناس . قصص يقشعر لها البدن في مواقف آمنة ومطمئنة ، فكيف به وهو يتذكرها في نفس مواقفها وظروفها ؟ ترى ما مدى صحتها . وهل (هول الليل) و(الدجيرة) أي صلة بالحقيقة والواقع ؟ أم هما أحاديث خرافة كما يقولون . إن التفكير في ذلك كله يؤزم مخاوفه .



ـ ليتنا نعود أدراجنا إلى المدينة . أنا لا أرى لذهابنا إلى الأرض التي نقصدها أية ضرورة !؟ يمكن تأجيل ذلك إلى عصر اليوم التالي ، أو أي يوم آخر . إنك تصر على الذهاب كما لو أن الأرض ستطير من أيدينا .

ـ يبدو أننا قد أضعنا الطريق فعلاً ؟!

ـ وهل شككت في ذلك . كنت أعلم أنك أضعت الطريق . ظني فيك لا يخيب أبداً . لا حول ولا قوة إلا بالله .

ـ أنا أقصد أضعت الطريق إلى الأرض .

قالها قائد السيارة بعد أن توقف بها برهة . . وجاس ببصره في الخلاء . لم يبق في السماء سوى حزام ناري يعصب جبين الغرب . . ونجوم بدأت تبرق وتلمع . أما الأرض فقد كانت منبسطة تلملم أبعادها عتمة قادمة . . الأتربة وبعض الأعشاب الهشة الجافة تتحرك فوق الأديم مع هبات النسيم الباردة .

ـ من طاوع البوم ، مأواه الخراب ! لا نريد الطريق إلى الأرض . عد بنا إلى المدينة . إذا كنت تعرف الطريق العام . . فاتجه بالسيارة إليه قبل استفحال الأمر .

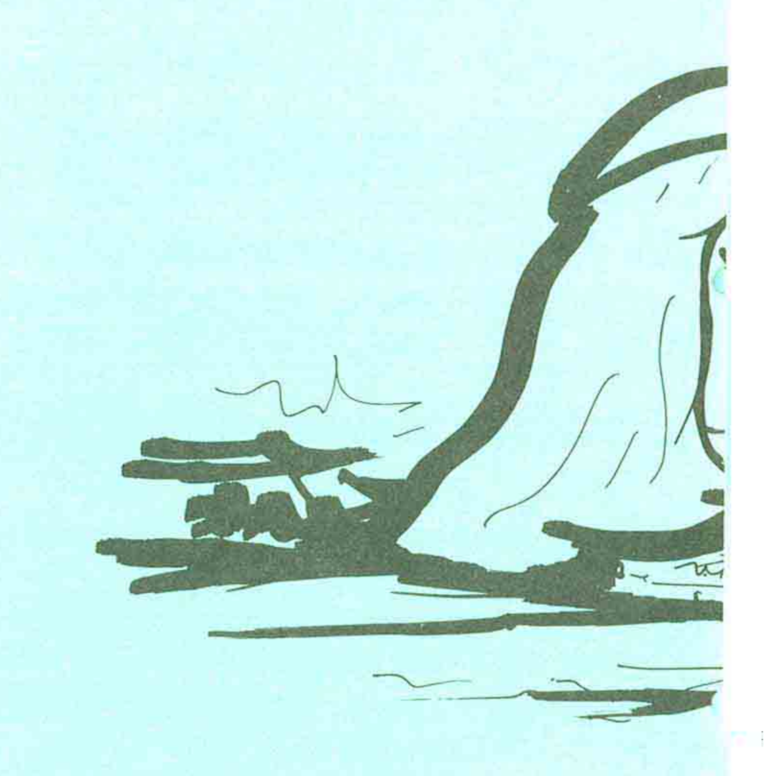
قالها صاحب المخاوف . . وقد ضاق ذرعاً بتصرف صاحبه .

. . بدا أن الرفيقين يختلفان في كثير من الأمور . . لا تجمعهما فكرة واحدة . فعندما تتوفر الجرأة والدربة عند أحدهم تجد الآخر فقيراً إلى كل هذا .

كان قائد السيارة لا يعير مخاوف رفيقه أي اهتمام . كان يعرف فيه طباعه الميتة ، والغرق في قدم ماء ، لذلك كان عليه أن يفكر . . بعيداً عن هواجس صاحبه :

ـ لقد كان هناك برميل صدئ يحدد بداية الطريق السالكة . لا أثر له أبداً . إنه المعلم الوحيد الذي يقودنا إلى المخطط. لا أدري أين اختفى ؟

ـ لا شك أنك جننت . هل أنت جاد فيما تقول . أهذا أثر تحدد به الطريق ؟ أنت كمن لجأ إلى تحديد المكان بظل سحاب عابر . كان عليك أن تحدد الطريق بأثر لا يزول ولا يحول . من الأفضل أن نعود . لن أطيعك بعد اليوم في أي أمر من الأمور . وإذا لم تتجه بنا نحو طريق



العودة إلى المدينة . . فسأتركك مع أفكارك الخاطئة والمتهورة ، وأعود سيراً على الأقدام .

وأمسك قائد السيارة بكتف صاحبه المقتول بخوفه وصاح :

ـ لا بأس . . سنعود سنعود . لو كنت أعلم أنك ستجبن في موقف كهذا لما اصطحبتك معي . كيف لو أن الأمر [illegible] الطريق .

قال العبارة الأخيرة همساً .

* * *

ـ ما بك ؟ لماذا توقفت ؟

ـ ليس بإرادتي . السيارة تأبى أن تسير !!

وانتفض رفيقه وقد اختلطت عليه مشاعر الخوف والاضطراب :

ـ ماذا تعني ؟

ـ أعني أن السيارة قد غرقت في بحر من الرمال .

ـ أرأيت ! ليتني ما أطعتك ليتني . . كنت أعلم أنها رحلة لعينة منذ بدايتها . وتشاءمت بعد إصرارك على الذهاب . هكذا أنت دائماً تصر على الخطأ .

ـ اسمع . . الزم الصمت ، وإلا سأعجز عن فعل أي شيء . مخاوفك الساذجة كانت سبباً في انتحاس رحلتنا . يجب ألا نقف مكتوفي الأيدي . لا بد من عمل أي شيء لإخراج السيارة من هذه الرمال ، ولن نستطيع فعل أي شيء حين يفقد أي منا أعصابه .

ـ وماذا بقي لنا من أعصاب حتى نفقدها . لقد حل بنا الظلام وليس لدينا ضوء كافي .

ـ اجلب لي بعض الحجارة وسأبدأ في رفع السيارة بواسطة الرافعة . هيا بسم الله .

. . الوقت يمر بطيئاً . . دب التعب والإعياء في جسد الرفيقين . وكان صاحب المخاوف في أسوأ حال . الليل أوشك على الانتصاف ، وضوء القمر ينحسر بالظلام الزاحف . إن هي إلا ساعات قليلة . . ويخيم الظلام ويستولي على كل شيء . بدأ الخوف يغزو قلب الرفيقين لكنه عند صاحب المخاوف أسوأ وأشد ، ولولا أنه في وضع لا يسمح له بالعراك والصراع لأمسك بخناق صاحبه وأوسعه ضرباً ولكماً . عجزا تماماً عن تحقيق نتيجة إيجابية للخلاص مما وقعا فيه . ولا أمل في خروج السيارة ما لم تسحب بسيارة أخرى !

ـ وما العمل يا صاحب الأفكار الجهنمية ؟ أراك قد استرحت الآن ! وأدركت فداحة ما أقدمت عليه بإصرار .

ـ لقد بذلنا ما في وسعنا . وقد أسقط في أيدينا كما ترى . ولكن الله لن يُضيِّعنا . هناك حل واحد .

ولمعت في وجه الشاب صاحب الملامح الأسيوية . . دلائل ارتياح وقال بحماس :

ـ وما هذا الحل ؟

ـ يمضي أحدنا إلى الطريق العام للاستنجاد بالسيارات العابرة . والآخر يبقى إلى جانب السيارة لحراستها . . وينتظر قدوم الآخر مع النجدة !!

كان الأمر بالنسبة لمن اصفر لونه . . وأصيب بالرعشة في مفاصله وأطرافه ، صعب وصعب جداً خصوصاً وأن الخيارين بالقياس لحال الراهنة يشكلان خطراً عليه ، ففي كلتي الحالتين سيسقط قلبه بين قدميه لكنه لا يملك إلا أن يوافق . . فلا ثالث لهما . وحتماً سيُجبره صاحبه على

اختيار أحدهما . وقَبِل بالأمر الأخير ، حيث وجد فيه . . ما يقنعه بأنه يحقق له بعض الطمأنينة والأمان . سيمكث داخل السيارة ويُحكم إغلاق الأبواب . عندئذ لا خوف عليه ولا حزن .

تابع صاحبه وهو يتجه نحو الغرب . . وسرعان ما ابتلعه الظلام ، وأصبح أثراً بعد عين . كان ضوء القمر لا زال يشع بشعاعه الفضي . سرت في جسمه قشعريرة مباغتة ، أوحى إليه سماع حركة ما بالخارج . كل شيء غير ساكن . صوت ذئب يعوي ، ربما كان قريباً من السيارة زجاج النوافذ يعزل الهواء والأصوات . انتفض جسمه انتفاضة غريبة . . ودّ لو انفجر بالبكاء . . وينشق فمه عن صرخة مدوية . كل القصص التي استمع إليها من أصحابه ورفاقه ، تجسدت له أحداثها في اللحظة والتو وكأنه يعيش كبطل من أبطالها . نفس الموقف ، الظروف ، والأحاسيس أيضاً .

* * *

رفع رأسه وبصره وشخص في الفراغ من خلال نافذة السيارة . . توهم أشياء كثيرة ، لم يلحظ أن الصحراء المنبسطة تفضض رمالها بضوء القمر . . وأصبح للأشياء ظلال . توهم أن النجم الساطع في جهة الشمال سيارة قادمة (هول الليل) يجسد نفسه في مثل هذه المواقف . انكفأ بوجهه على المقعد وجسده يرتعد . . البرد يتسرب إلى داخل السيارة من جهات ما . والخوف يملك زمام نفسه وقلبه . تذكر كيف كانت بداية يومه ، كان يوماً هادئاً وشيقاً منذ ساعات الصباح الأولى . وقد تحققت له فيه الكثير من الآمال التي كان يحلم بها منها حصوله وصاحبه على قطعة الأرض التي دفعا فيها حصيلة عمرهما ، وفي ضحى اليوم أنهيا عملية الإفراغ بالمحكمة . وقد أصر صاحبه على الوقوف على موقعها بنفسه ليطمئن قلبه .

رفع رأسه للمرة الثانية والخوف يستولي على مشاعره . ثبّت نظره جهة الغرب حيث ابتلع الظلام صاحبه . أحس بصلابة رأسه . . كأنه يحمل صخرة بين كتفيه . لمح من بعيد ظلاً قادماً . كان يتجه صوب السيارة . ضوء القمر يرسم ظلاً عملاقاً لخيال القادم يسبق صاحبه في الاقتراب . تذكر ربما يكون القادم غير صاحبه . . أو . . أنه . . !؟ القادم وحيد ، وصاحبه ذهب لإحضار سيارة تنجدهم . أمعقول أن يرفض الجميع تقديم يد العون والمساعدة لمن هم في حاجة إليها ؟

إنكفأ على المقود وقد سرت قشعريرة في بدنه . . ابتلع ريقه حتى جف . . أحس بالعطش مع أن الجو بارد . جبينه أصبح رطباً بالعرق . أرنبة أنفه باردة وكذلك أطرافه .

خبط شديد على زجاج النافذة التي تلاصق جسده النحيل . . صوت مخنوق يطلب منه فتح الباب . رفع ببطء رأسه لكنه تردد في الذهاب ببصره إلى حيث يكون الصوت . كان الشلل قد دب في تفكيره ومشاعره وأخيلته . كانت رأسه كصخرة صماء يصعب تحريكها .

نظر بحذر . . وجهه باهت . . بُهتة الموت . أطرافه تجمدت ، فقد استولى الخوف على كل شيء فيه .

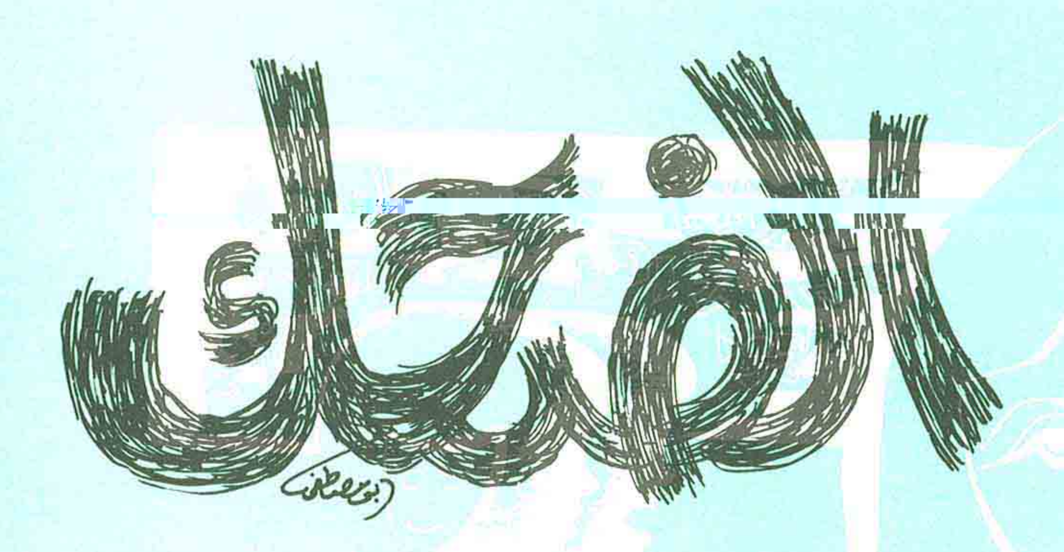
يا الهي . . الوجه وجه صاحبه . . لكنه مشوه ومطموس . أنفه مفلطح ، وفمه مشقور الشفتين . . بدت إحدى عينيه مغلقة ، والأخرى مفتوحة عن آخرها . أهو صاحبه . . ربما !! لكنه لن يفتح له . كل القصص والحكايات تداعت له ، ومن يضمن له أن الذي بالخارج صاحبه الذي رافقه .

حين رفع الرجل في الخارج يده ليلامس زجاج السيارة . . كان الدم يسيح على صفحة الزجاج من الخارج وبدا فمه مفغوراً في ارتياع .

. . صرخ الشاب المأسور بخوفه . . وارتطم رأسه بمقود السيارة وسقط مغشياً عليه .



للكاتب الأميركي: وليم سارويان
ترجمة: سهيل أيوب



ـ **تريدينني أن أضحك؟**

أحسّ بالوحدة والغثيان يجتاحان صدره في غرفة الصف الخاوية، فإن رفاقه كلهم، **دان سيد وجيمس ميسيبو وديك كوركوران**، يتراكضون الآونة على طول قضبان السكة الحديدية يضحكون ويلعبون. فما هذه الفكرة اللعينة التي راودت **الآنسة ويسيغ** تشعره بالغثيان.

ـ أجل.

يا لشفتيها القاسيتين، المرتعشتين، وعينيها الكئيبتين الحزينتين!

ـ **ولكنني لا أريد أن أضحك.**

شيء غريب... العالم بأسره، وتقلبات الأشياء، والشكل الذي ظهرت به.

ـ اضحك.

يا لتوترها المتزايد المكهرب! يا لتصلبها وحركات جسدها العصبية، والبرودة التي تموج حواليها، ويا للغثيان الذي يسري في عروقه!

ـ **لماذا؟**

لماذا؟ كل شيء مربوط بإحكام. كل شيء سمج كريه. فكره المأسور وكأنه في مُصيدة، لا حسّ ولا شعور.

ـ عقوبة لك. ضحكت في الصف. عقوبتك الآن أن تضحك ساعة كاملة، تضحك وحدك. من تلقاء نفسك. أسرع، فقد أضعت حتى الآن أربع دقائق.

ذلك يبعث على القرف. لم يكن شيئاً مسلياً أن تُحبس بعد انتهاء الدروس، ويُطلب إليك أن تضحك. ليس ثمة شيء من إحساس في هذه الفكرة. ما الذي يمكن أن يرغمه على الضحك؟ المرء لا يستطيع أن يضحك من دون سبب. يجب أن يكون هنالك شيء معين، شيء يبعث على التسلية أو الغرور، شيء هزلي ساخر. والأمر الأكثر غرابة، بسبب من سلوكها وتصرفاتها، هو الأسلوب الذي تنظر فيه إليه، وتلك العذوبة. إنها تبعث على الرعب. ماذا تراها تريد منه؟

كان يشعر برائحة المدرسة، رائحة الأرض، وغبار الحوّار، ورائحة الفكرة، والتلاميذ الذين ذهبوا، وهذه الوحدة، والحزن.

ـ **يؤسفني أني ضحكت.**

انحنت الزهرة وقد عراها الخجل. إنه يشعر بالحزن، وهو لا يكذب في قوله. وهو يشعر بالأسف، لا على نفسه بل من أجلها هي. فهي في ريعان الصبا، معلمة وكيلة، في ملامحها تقاطيع حزن عميق أبعد وأقسى من أن يدرك المرء معانيها. إنها تحمل هذه الملامح معها كل صباح. وكان ضحكه بسببها. فهي تثير السخرية، مثلما يبعث على السخرية ما كانت تنطق به، وأسلوبها في الكلام، وطريقتها في التطلع إلى كل تلميذ على حدة، وحركاتها وهي تسير. ولم يكن يشعر برغبة في الضحك. ولكنه انفجر على حين غرة ضاحكاً، فرمت إليه بصرها ورمى إليها بصره، إلى وجهها، فلمح طوال برهة ذلك التبادل الغريب في الأفكار والمشاعر، ومن بعده الغضب والحقد، يطلان من عينيها. «**لسوف تبق هنا بعد انتهاء الدروس**». لم يكن يريد أن يضحك. حدث ذلك ببساطة مطلقة. وكان هو آسفاً. كان خجلاناً. وكان ينبغي أن تعرف هي ذلك. كان يخبرها به.

ــ أنت تهدر الوقت سدىً . فلتبدأ أنّ الضحك .

كانت قد أدارت له ظهرها وشرعت تمسح بعض الكلمات عن اللوح الأسود : إفريقيا . القاهرة . الأهرامات . أبو الهول . النيل . . وكانت تمسح هذين التاريخين : ١٨٦٥ و ١٩١٤ م . وكان يشعر بالتوتر رغم أنها أدارت له ظهرها . كان التوتر يجثم على غرفة الصف يؤكده الفراغ ويضخمه . وكان هنالك فكره وفكرها ، وحزنه وحزنها ، جنباً إلى جنب ، يتلاطمان ويصطدمان . لماذا ؟ أراد أن يكون ودوداً . منذ الصباح الذي دلفت فيه إلى غرفة الصف أراد أن يكون ودوداً . وأحسّ بذلك على الفور ، أحسّ بغرابتها وانعزالها . فلماذا تراه ضحك إذن ؟ . . لماذا حدث ذلك كله على هذا الغرار التافه ؟ . . لماذا قُدِّر أن يكون التلميذ الوحيد الذي جرح شعورها في الوقت الذي رغب فيه حقاً أن يكون صديقاً لها منذ البداية ؟

ــ لا أريد أن أضحك .

هنالك شيء من الاستخفاف ممزوج بشيء من النحيب ، النحيب الخجلان ، في نبرة صوته . بأية حقوق يحطم في نفسه شيئاً بريئاً ؟ لم يقصد أن يكون قاسياً ، فلماذا لا يتاح لها أن تفهم ذلك ؟ وبدأ يشعر بالحقد على غبائها وبلادتها وعنادها . قال في دخيلة نفسه : « لن أضحك . في مقدورها أن تستدعي السيد كاسويل فيجلدني . لن أضحك مرة أخرى . كان ذلك خطأ مني . رغبت في البكاء وفي شيء آخر أيضاً . لم أقصد ذلك . في مقدوري أن أحتمل الجلد . لكنه ، يا إلهي ، يؤلم كثيراً . غير أنه لا يؤلم مثلما تؤلم هذه الحال . لقد شعرت بالسوط ينهال على مؤخرتي ، وأنا أعرف الفرق بين هذين الألمين » .

حسناً . فليجلدوه . فهو لا يبالي بالجلد . الجلد يلسع . وهو يشعر بالألم الواخز طوال أيام بعد ذلك ، ويفكر فيه . . فليجلدوه ويمزقوه ألماً ، فلن يضحك .

رآها تجلس وراء طاولتها تحملق فيه . تكاد أن تطلق لنحيبها العنان . تلوح مريضة مرتجفة . فتدفقت الشفقة إلى فمه مرة أخرى ، شفقة مريضة عليها . فيم تراه يبدي مثل هذا الانزعاج الكبير على معلمة مسكينة يحبها حقاً ، ليس معلمة كبيرة قبيحة ، بل معلمة صغيرة لطيفة شعر بالرهبة أمامها منذ أول لحظة .

ــ أرجو أن تضحك .

يا للضعة ! هي لا تأمره الآن بل ترجوه أن يضحك ، في الوقت الذي يرفض فيه أن يفعل ذلك . ماذا ينبغي على الفتى أن يفعل ، بربكم ؟ ماذا ينبغي على الفتى أن يفعل بحيث يكون ما يفعله صواباً ، وبمجرد إرادته الخاصة ، وليس بصورة عرضية مثلما يرتكب الأمور الخاطئة ؟ وماذا تراها تقصد ؟ ما هو السرور الذي تشعر به وهي تسمعه يضحك ؟ يا للعالم السخيف ، ومشاعر الناس الغريبة ، وهذا التكتم الذي يجعل كل امرئ يختبئ داخل نفسه ، يرغب في شيء ويحصل على شيء آخر

على الدوام .

حسناً ، لسوف يضحك ، سوف يضحك الآن ، ليس من أجله هو بل من أجلها هي . ولو شعر بالمرض من جراء ذلك فسوف يضحك . أراد أن يعرف الحقيقة ، وكيف تكون . إنها لا « تجعله » يضحك ، بل « ترجوه » أن يضحك . ولم يعرف كيف كان ذلك ، ولكنه أراد أن يعرف .

قال في دخيلة نفسه : « لربما استطعت أن أفكر في قصة مضحكة » . وشرع يحاول أن يتذكر جميع القصص المضحكة التي رويت له . ولكن الأمر كان غريباً جداً ، فقد عجز عن أن يتذكر قصة واحدة . فطفق يفكر في أمور أخرى . الطريقة التي تسير بها **آني غران** . يا لله ! إنها لم تعد تبعث على الضحك أيضاً . كانت هذه الأمور تغرقه في موجة من الضحك فيحمرّ وجهه وتنبهر أنفاسه ، ولكنها تبدو له الآن أشياء مائتة مجردة من كل شيء . إن جميع الأمور التي يفكر فيها الآن لا تبعث على شيء من الضحك . وهو عاجز عن أن يضحك . يا لله ! حسناً ، لسوف يضحك ضحكة قديمة ، ويكون ممثلاً . ها ، ها ، ها . يا لله ! كان ذلك قاسياً . إن أسهل الأمور التي يأتيها أو يمكن أن يأتيها في هذا العالم ، الضحك ، تعجزه الآن بصورة مخيفة فلا يستطيع أن يقهقه ولو قليلاً .

وتدبر أمره فشرع يضحك ، وهو يشعر بالخجل والقرف . كان خائفاً من أن ينظر في عينيها . رفع بصره عالياً صوب الساعة المعلقة في الجدار ، وحاول أن يتابع إرسال ضحكاته . كان أمراً رهيباً أن تطلب إلى صبي أن يستمر في الضحك ساعة كاملة . الضحك من لا شيء . وأن ترجوه أن يضحك دون أن تعطيه سبباً للضحك . ولكنه سيضحك ، ربما ليس ساعة كاملة ، ولكنه سيحاول على أية حال . لسوف يفعل شيئاً . وكان من أطرف الأمور على الاطلاق صوته ، وفراغ ضحكته التي غدت بعد لحظات شيئاً مسلياً ، شيئاً مضحكاً ، شيئاً أهرق الغبطة في نفسه لأنه جعله يضحك حقاً . وهذا هو الآن يضحك ضحكته الحقيقية ، يضحك بكل أنفاسه ، بكل دمائه . يضحك من فراغ ضحكته الكاذبة ويشعر بالخجل ينسلّ منه هارباً لأن ضحكته لم تعد زائفة ، بل صارت حقيقية . وكانت غرفة الصف الخاوية تعج بضحكته . وكان كل شيء يبدو على أحسن ما يرام . كل شيء يبدو رائعاً . ومرت على ذلك دقيقتان .

طفق يفكر في أشياء مضحكة حقاً وقعت في كل مكان في البلدة بأسرها ، والناس يسيرون في الشوارع يحاولون أن يخلعوا على أنفسهم نظرة خاصة ، ولكنه يعرف أنهم لا يستطيعون خداعه . إنه يعرف مقدار أهميتهم من أسلوبهم في الحديث ، وأعمالهم الكبيرة ، وكلها أمور تافهة خدّاعة . ولكنها جعلته يضحك . وتركته يفكر في كاهن الكنيسة المشيخية ، وأسلوبه المنافق في تلاوة الصلوات . وليس هنالك من يؤمن بما يقول . وأولئك الناس الكبار الذين يركبون سيارات كبيرة ، (كاديلاك) و (باكارد) ، يراوحون ويغادون على طول البلاد وكأنهم يودون الذهاب إلى أمكنة معينة ، والعصابات القوية العامة ، وجميع تلك الأمور الزائفة ، هذه كلها ترغمه على الضحك حقاً . . . والصبية الكبار يتراكضون خلف الفتيات الكبيرات بسبب من الانفعال والحرارة ، وسيارات الشوارع الذاهبة الآتية وليس في كل منها أكثر من راكبين اثنين . هذه الأمور كلها تبعث على الضحك ، وخاصة تلك السيارات الكبيرة التي تقل امرأة عجوزاً ورجلاً يرصّع وجهه شاربان طويلان . وقد بقي يضحك ويضحك حتى انبهرت أنفاسه واحمرّ وجهه . ثم تلاشى الخجل على حين غرة ، فاستمر يضحك ويمدّ أنظاره إلى الآنسة ويسيغ ، ومن ثمة انفجر كل شيء : عبرات دافقة في عينيها . رباه ! إنه لم يكن يضحك منها .

كان يضحك من جميع تلك الأمور السخيفة ، جميع تلك الأمور السخيفة التي يقومون بها يوماً بعد يوم . وكل تلك الأشياء التافهة . كان ذلك يبعث على الاشمئزاز . وكان هو يرغب على الدوام في أن يفعل الأمور الصائبة ، فإذا بها تنتهي إلى عكس ما كان يريد . كان يريد أن يعرف لماذا ، وكان يريد أن يعرف كيف تشعر بالأمور في نفسها ، في صميمها ، في المكان الذي تحفظ فيه سرها . وقد ضحك لها ، وليس لأنه يريد أن يتسلى . وهذه هي أمامه ترتجف . عيناها نديتان والعبرات تنسكب منها . والقلق غلّف ملامحها . فيا هو لا يبرح يضحك بسبب من جميع ذلك الغضب وتلك الشفقة ، وخيبة الأمل في قلبه ، وهو لا يبرح يضحك من تلك الأمور

المحزنة في العالم، والأشياء الطيبة التي يبكي الناس عليها، والكلاب الشاردة في الطرقات، والخيول المنهوكة التي يتوالى انهيار السياط عليها وهي تخبّ في اضطراب، والناس الخجولين الذين يسحقهم الناس السمان والقاسون عقلياً، والطيور الصغيرة المائتة على جانب الطريق، والفوضى في كل مكان، والصراع الأبدي، والوحشية، والأشياء التي تجعل الإنسان حقوداً.

كان الغضب يبدل ضحكته، والعبرات تتراكم في عينيه. كانا في غرفة الصف الخاوية، عاريين في موج وحدتها وارتباكهما، أخاً وأختاً، وكل واحد منهما يرغب في الحصول على نقاوة الحياة وحلاوتها، وكل واحد منهما يتوق إلى مشاركة الآخر في حقيقة مشاعره، ورغم ذلك كان كل منهما، لهذا السبب أو ذاك، غريباً عن الآخر نائياً عنه ووحيداً.

سمع الفتاة تطلق تنهيدة حرى، فانقلبت الأمور عاليها سافلها، فإذا به يبكي، يبكي بكاء صادقاً حقيقياً، أشبه بطفل رضيع، كما لو كان ثمة شيء قد حدث. فأخفى وجهه بين ذراعيه، وشعر بعبء ثقيل يتراكم على صدره. كان يفكر أنه لم يكن يرغب في الحياة. لو أنه يعرف أن الأمور ستصل إلى هذه الحدود فقد كان يتمنى أن يموت إذن.

لم يعرف إلى متى ظل يبكي، ولكنه شعر على حين بغتة أنه لم يعد يبكي أو يضحك، وأن الغرفة سادها صمت شامل. يا للخجل! كان خائفاً من أن يرفع رأسه وينظر إلى معلمته. كان ذلك مثيراً للقرف.

● بن.

الصوت هادئ، خافت، مهيب. كيف تراه يقوى على النظر إليها مرة أخرى؟

● بن.

رفع رأسه. عيناها جافتان ووجهها يبدو أكثر تألقاً وأبهى طلعة منه قبلاً.

● أرجو أن تجفف عينيك. هل لديك منديل؟

ـ أجل.

مسح النداوة عن عينيه، ونفخ في أنفه. يا للمرارة في الأرض! لكم يبدو كل شيء كئيباً!

● كم هو عمرك، يا بن؟

ـ عشر سنوات.

● وماذا تنتوي أن تفعل؟ أقصد...

ـ لست أدري.

● ووالدك.

ـ إنه خياط.

● هل تحب المكان هنا؟

ـ أعتقد ذلك

● هل لك إخوة وأخوات؟

ـ ثلاثة إخوة، وأختان.

● هل تفكر في الرحيل؟ إلى مدن أخرى؟

كان ذلك يبعث على الدهشة، أن تخاطبه وكأنه رجل كبير ناضج، وتحاول أن تنبش أسراره.

ـ أجل.

● أين؟

ـ لست أدري. أعتقد إلى نيويورك. أو ربما المدينة القديمة.

● المدينة القديمة؟

ـ إنها ميلانو. مدينة والدي.

● أوه!

أراد أن يسألها عن نفسها، أين كانت، وإلى أين تذهب. أراد أن يكون رجلاً، ولكنه كان خائفاً. خطت إلى غرفة الملابس ورجعت تحمل معطفها وقبعتها وحقيبة يدها. وشرعت تلبس معطفها.

● لن أكون هنا غداً. فقد استردت الآنسة شورب عافيتها. ولسوف أرحل بعيداً.

أحسّ بمرارة الأسف. لكنه لم يستطع التفكير في شيء يقوله. شدت حزام معطفها، ووضعت قبعتها على رأسها. آه، يا رب! يا لهذا العالم! جعلته أول الأمر يضحك، وجعلته يبكي، وهذه هي الآن... لكم يشعر بالأسف من أجلها! أين تراها ستذهب؟ أفلن يتاح له أن يراها مرة أخرى؟

● تستطيع أن تذهب الآن، يا بن.

هذا هو يرفع نظره إليها صادفاً عن الذهاب. هذا هو يرغب في الجلوس والتطلع إليها.

نهض متثاقلاً، ومشى صوب غرفة الملابس يحضر قبعته. ثم اتجه ناحية الباب، والوحدة تفعم فؤاده، واستدار ينظر إليها للمرة الأخيرة.

ـ وداعاً، يا آنسة ويسيغ.

● وداعاً، يا بن.

ركض متسارع الخطوات على طول أرض المدرسة. ووقفت المعلمة الوكيلة الصبية في الساحة تلاحقه بنظراتها. لم يكن يعرف فيم تفكر، ولكنه عرف أن يشعر بأسى عميق، وأنه كان خائفاً من أن يلتفت ليرى إذا كانت تنظر إليه. وخاطب نفسه قائلاً: «لربما إذا عجّلت خطواتي ألحق دان سيد وديك كوركوران والصبية الآخرين، وربما أصل في الوقت المناسب فأشاهد قطار البضائع يغادر البلدة».

حسناً، لن يعرف أحد على أية حال. لن يعرف أحد ماذا حدث وكيف ضحك وبكى.

ركض على طول الطريق إلى **خط السكة الحديدية**. كان الأطفال قد ذهبوا جميعاً، والقطار قد رحل، فجلس تحت **أشجار الأوكاليبتوس**.

العالم كله يموج في الفوضى. فأطلق لنشيجه العنان مرة أخرى.





الأوائل لأبي هلال العسكري

عرض وتقديم: عبد اللطيف السعيد

على الرغم من أن **أبا هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سعيد** يعتبر قمة من قمم الأدب، وعلى الرغم من مكانته الرفيعة بين أئمة اللغة والأدب وقيمة مؤلفاته، فإن المصادر التي بحوزتنا لم تسلط كثيراً من الضوء على حياة هذا الأديب، وقد حددت بعض المصادر سنة وفاته (٣٩٥ هـ) وهذا يعني أن أبا هلال قد عاش في القرن **الرابع الهجري** عصر رسوخ الحضارة الإسلامية وازدهار الفكر العربي.

فقد تعددت مراكز الأدب بفضل تشجيع الخلفاء العباسيين والولاة في الأمصار للحركة العلمية، ومبالغتهم في إكرام الأدباء ومجالستهم، وتحولت الثقافات اليونانية والفارسية والهندية وكل معارف الشعوب التي أظلتها **الدولة العباسية** إلى الثقافة العربية، مما أدى إلى تطور **النثر العربي**، فأظهر مرونة واسعة، حيث احتوى كل هذه الينابيع واتسع لها صدره.

وتنوعت فنون الكتابة فكان منها **الرسائل والتصانيف العلمية والأدبية**، ومنها **المقامات والمناظرات والعهود**، واتسع مجال التفكير وامتدت العقول بتأثير النقل والترجمة إلى وضع الكتب واتباع الأساليب التصنيفية فيها. وتركت حياة الترفه أثرها على أسلوب الكتابة، فمالت الكتب إلى التفصيل والإطناب، والسهولة في أداء اللفظ، والتأنق في اختياره.

في هذا العصر عاش أبو هلال العسكري منعزلا في انصراف تام إلى العلم، وقد نسب إلى بلدته التي ولد فيها (**عسكر مكرم**) وهي من قرى **الأهواز**، وقد نشأ نشأة علمية بفضل رعاية خاله، واهتمامه به، وملازمته له، وقد كان خاله **أبو أحمد العسكري** عالماً مشهوراً بسعة الاطلاع (وعنه نقل معظم أخبار كتابه الأوائل)، وقد أخذ العلم والثقافة عن أبيه، وعن بعض معاصريه **كيونس بن عمران والعتبي، وأبي القاسم عبد الله البلخي**.

وقد عمل أبو هلال في البيع والشراء طلباً للرزق، وسد العَوز، ولعل عزة نفسه منعته من التكسب بأدبه وعلمه فهو كريم الـخُـلُـق، عفيف النفس.

مؤلفاته

صنف أبو هلال العسكري عدداً من المؤلفات الأدبية واللغوية، ضاع معظمها، ولم يصل إلينا إلا بعضها، وأشهر هذه الكتب:

- كتاب الصناعتين: النظم والنثر.
- كتاب جمهرة الأمثال.
- كتاب الفروق اللغوية.
- كتاب معاني الأدب.
- كتاب معاني الشعر.
- معجم في بقايا الأشياء.
- كتاب التلخيص في معرفة: أسماء الأشياء.
- كتاب التبصرة.
- كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة.
- كتاب الحماسة.
- كتاب الدرهم والدينار.
- كتاب المحاسن في تفسير القرآن.
- كتاب العمدة.
- كتاب فضل العطاء على اليسر.
- كتاب ما تلحن فيه العامة.
- كتاب نوادر الواحد والجمع.
- وكتاب **الأوائل** الذي نعرض له، إضافة إلى ديوان شعر.

كتاب الأوائل

وضع أبو هلال العسكري هذا الكتاب ليسجل فيه نشأة كثير من الأفعال والعادات والأقوال. وهو كتاب يجمع إلى تأريخ هذه الأشياء طراوة الأسلوب ورشاقته ومتعة الخبر، وجمال التعبير، مما يجعل منه دراسة أدبية تتناول أوائل ظهور بعض المسائل، والأحداث التاريخية، والعادات الاجتماعية، والدينية، وقد أضاف إلى أخباره أحياناً شروحاً

لغوية وتعليقات تعطي للكتاب قيمة لغوية أيضاً .

وهو يقف عند الخبر أحياناً مستعرضاً وجوهه المتعددة ، بما وصل إليه من روايات مختلفة دون أن يعلق عليه ، ليترك للقارئ حرية الاستنتاج والموازنة بين هذه الروايات ، فهو ليس كتاب نقد ، وإنما يكتفي مؤلفه بعرض الخبر ، والوقوف جانباً دون التدخل فيما يروي من أخبار ، إلا إذا شك بصحة حادثة أو خبر ، فيشير إلى ضعف الخبر ، وتجاوزه حدود المألوف .

ويتصف الكتاب بحسن الترتيب والتبويب ، خلافاً للكتب المعاصرة له أو التي سبقته ، حيث يسودها نوع من الفوضى في ترتيب موادها . ويجد القارئ متعة كبيرة في أخباره بفضل أسلوبه الممتع .

أقسام الكتاب

يتألف الكتاب من مقدمة وعشرة أبواب تتسلسل بحسب تتابع أخبارها تاريخياً .

١ ـ **المقدمة** :

يستهل أبو هلال العسكري كتابه بمقدمة يتحدث فيها عن رتبة الأدب والأدباء ، ومنزلة العلم والعلماء وذكرهم العالي في الأقطار ، مستشهداً على ذلك بأمثلة من **القرآن الكريم والشعر العربي** ، يقول :

« الحمد لله الذي رفع رتبة الأدب وذويه ، وأعلى منزلة العلم وحامليه ، وجعلهم للدين قواماً ، وللمحاسن نظاماً ، ففهّم بهم الغبيّ وأنطق العَييّ ، وصيّرهم ورثة أنبيائه ، وأئمة لأوليائه وحججاً على أعدائه ، وألبسهم العزّ ما أبقاهم ، وخلّد ذكرهم حين أفناهم ، فأعيانهم مفقودة ، وأمثالهم في القلوب موجودة ، وذلك من أعظم النّعمى عليهم ، وأفضل المنن لديهم ، ولما في بقاء الذكر من الجمال ، وفي خلود الاسم من الكمال : قال **إبراهيم** عليه السلام فيما حكى الله تعالى عنه : **﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾** ، وقال الله تعالى : **﴿ بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون ﴾** ، فقرّعهم بإعراضهم عما فيه ذكرهم ، وتباهيهم عما فيه جميل ذكره **﴿ وإنه لذكر لك ولقومك ﴾** فامتنّ عليهم بالقرآن لما هم فيه من بقاء الذكر ، وجميل النشر ، وقد قال الأول : ذكرُ الرجل عمرُه الثاني ، قال الشاعر :

لعمرُك إنّ المرءَ تخلُد بعده
أحاديثُه ، والمرءُ ليسَ بخالد[1] »

ثم يبين فضل العلم ، وأن أنفعه ما يحاضَر به ، وأن مما يعين على حفظه حسن تصنيفه وتأليفه ، وأن الأولى بالتصنيف منه ما يحتاج إليه الناس .

ويشير بعد ذلك إلى الغاية من تأليف الكتاب ، وهي التأريخ لأوائل الأشياء وبدايات ظهورها ، استجابة لظمأ النفوس المتعطشة إلى حب الاطلاع ، فهو بذلك يشبع رغبة هذه النفوس : « وقد رأيت أكثر الخاصة ، وجُلّ العامة لَهجين بالسؤال عن أوائل الأعمال ، ومتقدمات الأسماء والأفعال ، لم يجدوا في ذلك كتاباً يجمع فنونها ويحوي ضروبها بأخبارها ، وشرح وجوهها وأبوابها ، إلا نبذاً متفرّقة في تضاعيف الصحف ، وابتداء الكتب ، لم تذكر أسبابها ، ولم تشرح أبوابها ، فعملت كتابي هذا مشتملاً على هذا النوع من الأخبار ، وحاوياً لهذا الفن من الآثار ، مشروحاً ملخصاً ، لا يشوبه كدر ، ولا يرهق وجهه قتر ، ليكون عوناً على المذاكرة ، وقوة للمناسمة[2] » .

٢ ـ **الباب الأول** : في الإخبار عما كان من قريش ، وفيهم من أوائل الأفعال وابتداءات الأمور :

تحدث أبو هلال في هذا الباب عن بعض الأوليات التي كانت في زمن الجاهلية ، والتي تنسب إلى قريش ومن ذلك ذكره لبداية ارتفاع ذكر قريش بين القبائل ، وبداية ظهور بعض العادات التي حدثت في **مكة** ، وفي **موسم الحج** فيها ، كبداية تحريم الخمر ، وكسوة البيت ، وبدء بناء البيوت فيها .

٣ ـ **الباب الثاني** : فيما جاء من ذلك عن عامة أهل الجاهلية بعد قريش من العرب :

وقد ذكر فيه أبو هلال بعض الأوليات التي كانت في زمن الجاهلية ، والتي تنسب إلى عامة العرب من غير القرشيين ، كبدء الخطابة على العصا وعلى الراحلة ، والرجم في الزنا ، ووضع المنجنيق ، وأول من وضع الكتاب العربي ، وأول من اتخذ أسنة الحديد ، وتحريم القمار .

٤ ـ **الباب الثالث** : فيما جاء من ذلك منسوباً إلى **النبي** صلى الله عليه وسلم :

وهو يذكر في هذا الباب الأفعال التي تنسب بداياتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد ظهور الإسلام ، كالبدء بذكر البسملة في كتب المراسلات ، واستعمال الأختام ، وبدء الوحي ، والصلاة ، وزواجه صلى الله عليه وسلم وغزواته .

٥ ـ **الباب الرابع** : فيما جاء من ذلك منسوباً إلى الصحابة رضي الله عنهم :

ويدخل في هذا الباب ذكر أول من أسلم من المهاجرين والأنصار ، وأول من نصب من الخلفاء ، وأول من سمي **أمير المؤمنين** ، وبداية تدوين التاريخ الهجري ، وأول من استشهد في سبيل الإسلام ، وذكر المهاجرين الأوائل ، وبداية تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، وجمع القرآن الكريم .

٦ ـ **الباب الخامس** : في ذكر ما روي عن الملوك في الإسلام :

أوائل الأعمال المذكورة في هذا الباب منسوبة كلها إلى الخلفاء والحكام ، والذين تتابعوا على الحكم في الدولة العربية بعد الخلفاء الراشدين ، فيذكر فيه بداية تنظيم الدولة ، واستعمال الدواوين ، وضرب الدراهم ، ووضع الأوزان .

٧ ـ **الباب السادس** : فيما جاء من ذلك عن الأمراء ، والوزراء ، والرؤساء :

وفيه ذكر لأوائل الأمراء الذين تولوا على **مكة** ، **والمدينة** ، **ومصر** ، **والبصرة** ، **والكوفة** ، **والشام** . كما يذكر فيه أوائل الوزراء

وبداية ظهور الرشوة ، واستعمال الحرس والعسس ، وإجازة الشعراء والأدباء .

٨ ـ **الباب السابع** : في ذكر القضاة والعلماء والأدباء ، والقصاص ، وأصحاب المذاهب ، ومصنفي الكتب :

يذكر في هذا الباب أوائل القضاة في الإسلام ، في مكة ، والمدينة ، والكوفة ، والبصرة ، وأول ظهور الاختلاف في قضايا فقهية متعددة ، وأول من وضع الإعراب والعروض ، وأوائل من صنفوا في علوم مختلفة ، **كالطب ، والفلك ، والكلام ، والفقه ، وغريب القرآن ، وصنعة الشعر** .

٩ ـ **الباب الثامن** : في ذكر النساء :

خص أبو هلال هذا الباب لأوائل الأشياء والأفعال المنسوبة إلى النساء عامة ، في الجاهلية والإسلام ، فيذكر أخباراً عن أول من استعملت الكحل ، وأول من غنت الغناء العربي ، وأول من بايعت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأول المهاجرات في الإسلام .

١٠ ـ **الباب التاسع** : في الإخبار عما جاء منه عن العجم خاصة :

يتحدث في هذا الباب عن العادات التي انتشرت بين الناس والتي يرجع بداية ظهورها إلى غير العرب والمسلمين ، كالاحتفال بعيد النيروز ، وصناعة الآجر ولبس التاج .

١١ ـ **الباب العاشر** : في ذكر أنواع مختلفة من أحاديث رويت عن العرب والعجم ، قصرت عن الانفراد بباب مستقل :

وفيه يذكر أول بيت بُني وبدء خياطة الثياب ، وركوب الخيل ، وتقصيد القصائد ، وإطالة الرجز ، وبناء الحصون .

مصادر كتابه ، وقيمته

إن أخبار أبي هلال العسكري في كتابه (الأوائل) استقاها مشافهة عن خاله ، وأبيه ، وبعض مشايخه ، وربما يكون قد اطلع على بعض الكتب التي ألفت في علم الأوائل قبله ، ككتاب **أبي عروبة الحراني** الذي يحمل نفس العنوان ، وكتاب آخر **لسليمان بن أحمد الطبراني** ، وكتاب **الأوائل والأقاويل لأبي إسحاق ابن سليمان الإسرائيلي** المولود في **مصر** ، بيد أننا لا نجد أي إشارة إلى هذه الكتب أو إلى اطلاعه عليها ، أو نقله عنها ، سوى إشارة إلى أنه أخذ بعض أخباره عن الكتب القديمة ، دون أن يسمي هذه الكتب . إلا أننا نجد أخباراً كثيرة ذكرها في الكتاب مبثوثة في كتب الأدب والتاريخ التي صنفت قبله ، **كالأغاني لأبي الفرج الأصفهاني** ، وبعض كتب **الجاحظ ، وابن قتيبة ، وطبقات ابن سعد** . ولعل أبا هلال العسكري استفاد من هذه المؤلفات في ذكر بعض أخباره .

وهو ينقل جل أخباره رواية عن خاله أبي أحمد العسكري الذي أخذ عنه علومه ، وتأثره به لملازمته إياه ، وعن الرواة الثقات المعروفين بصدقهم .

وضع كثير من المؤلفين بعد أبي هلال العسكري كتباً تأثروا فيها بكتابه ، منها :

الأوائل لمحمد بن أبي القاسم الراشدي ، والأوائل لإسماعيل بن باطيش ، وكتاب **الوسائل إلى معرفة الأوائل لمحمد ابن عبد الله الشبلي** ، وكتاب آخر **لجلال الدين السيوطي** ، وكتاب **إقامة الدلائل على معرفة الأوائل لأحمد بن حجر العسقلاني** .

صور من أخبار الكتاب

نسوق أمثلة من كتاب ، اخترناها من أبوابه المتنوعة ، دليلاً على ما قلناه من رشاقة أسلوبه ، وجمال عبارته ، وعذوبة حديثه ، وعظيم فائدته :

« أول من خطب على العصا وعلى الراحلة **قس بن ساعدة الإيادي** :

وهو أول من أظهر التوحيد بمكة وما حولها مع **ورقة بن نوفل ، وزيد بن عمرو بن نفيل** ، ولو لم يكن من فضل قُس إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم روى عنه لكفاه فخراً .

أخبرنا أبو أحمد عن أبيه عن **عسل بن ذكوان** عن **يحيى بن عبد الحميد الوراق** عن **أبي معاوية** عن **الأعمش عن مسلم بن مسروق** عن **عبد الله** قال : قدم وفد إياد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما فعل قُس بن ساعدة ؟ قالوا : هلك يا رسول الله . قال : كأني أنظر إليه **بسوق عكاظ** يخطب الناس على جمل أحمر ، ويقول : أيها الناس اسمعوا وعُوا ، من عاش مات ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت . ليلٌ داج ونهارٌ ساج وسماءٌ ذات أبراج ، ونجومٌ تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مدحاة ، وأنهار مجراة . إنّ في السماء لخبراً وإنّ في الأرض لعبراً ، ما بال الناس يذهبون فلا يرجعون ؟ أرضوا بالمُقام فأقاموا ، أم تركوا فناموا ؟ يقسم قُس بالله قَسماً لا إثم فيه ، إن لله ديناً هو أرضى له وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكراً . ثم أنشأ يقول :

في الذّاهبينَ الأوّلينَ من القرون لنا بصائرْ
لمّا رأيتُ مواردأ للموت ليس لها مصادرْ
ورأيتُ قومي نحوها يمضي الأكابرُ والأصاغرْ
لا يرجعُ الماضي إليَّ ولا من الباقين غابرْ
أيقنْتُ أنّي لا مَحالَةَ حيث صار القومُ صائرْ

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يعرض هذا الكلام يوم القيامة على قُس بن ساعدة فإن كان قاله لله فهو من أهل الجنة » وهو أول من قال : « **أما بعد** » .

أخبرنا **أبو قاسم عبد الوهاب بن إبراهيم** عن **العقدي** عن بعض رجاله قال : أوصى قُس بن ساعدة ولده ، فذكر الله ، ثم قال : « أما بعد ــ وهو أول منْ قالها ــ فإن المعي تكفيه البقلة وترويه المذقة[٣] ، ومن عيّرك شيئاً ففيه مثله ، ومن ظلمك يجد من يظلمه ، وإن عدلت على نفسك عدل عليك من فوقك ، وإذا انتهيت عن شيء فابدأ

بنفسك ، ولا تجمع ما لا تأكل ، ولا تأكل ما لا تحتاج إليه ، وإذا ادخرت فلا يكونن كنزك إلا فعلك وكن عفّ العيلة ، مشترك الغنى تسُدْ قومك ، ولا تشاور ولا تدع في عنقك طوقاً لا يمكنك نزعه إلا بشق نفسك ، وإذا خاصمت فاعدل وإذا قلت فاقتصد ، ولا تستودعَنّ سرّك أحداً ، فإنك إن فعلت ذلك لم تزل وَجِلاً ، وكان المستودع بالخيار إن جنى عليك كنت أولى بذلك ، وإن وفى لك كان الممدوح دونك » .

وقالوا : أول من قال « أما بعد » : « **داود عليه السلام** ، وهو قوله تعالى : ﴿ **وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** ﴾ .

أخبرنا أبو أحمد عن **الصولي** عن **زياد بن الخليل** عن **إبراهيم عن عبد العزيز** عن **أبي الزناد** عن أبيه عن **بلال بن أبي بردة** ، عن جده **أبي موسى** أنه قال : « فصلُ الخطاب : أما بعد » وقال الشّعبي كذلك ، ومعناه أنه يفصل بين : الحمد لله وغيره مما يُبْتدأ به ، ويجيء بعده من : القول قال الشاعر **السابق البربري** :

اسمُ الذي أُنزلَتْ من عنده السُّوَرُ
والحمدُ لله أمّا بعدُ يا عمرُ
فإنْ رضيتَ بما تأتي وما تذرُ
فكنْ على حذر قد ينفعُ الحذَرُ

وقال آخر :

سأرعى منك ما ضيَّعْتَ مني
وهل يُرعى لذي غدر ذمامُ
وأما بعد فالدُّنيا علَيْنا
مُكَدَّرةٌ لفقدك والسّلامُ

والمعنى أنها لا تقع مبتدأة ، ويجوز أن تقع بعد « **بسم الله الرحمن الرحيم** » .

فيكون معناه : أما بعد قولنا : بسم الله الرحمن الرحيم . ولا بُدّ من مجيء الفاء بعدها لأن أما لا عمل لها إلا اقتضاء الفاء ، لأن الفاء تصل بعض الكلام ببعض وصلاً لا انفصال بينه ، ولا مُهلة فيه . و (**أما**) فاصلةٌ ، فأتيتَ بالفاء لترد الكلام على أوله .

وقال **الضحاك بن مزاحم** : فصل الخطاب : العلم بالقضاء .

وقال **شريح والحسن** : فصل الخطاب الشهود والأيمان . ذهبا إلى أنه بهما يجب الحكم ، وتفصل الأمور[4] .

يبدو واضحاً في هذا الخبر ما قلناه ، عن روايته الخبر بوجوه متعددة دونما تعليق على صحة أحد هذه الوجوه أو خطئها سوى ما نجده من الشروح اللغوية ، ونلاحظ في هذا النص كثرة استطراداته من خبر إلى آخره إلى شرح أو تعليق لغوي ، وهي سمة عامة لكتب القرن الرابع الهجري .

ونص آخر من الباب الرابع تحدث فيه أبو هلال عن بدء التاريخ الهجري يقول : « أول من كتب التاريخ من الهجرة **عمر** رضي الله عنه في شهر **ربيع الأول** سنة ستّ عشرة ، وكان سبب ذلك فيما روى أبو أحمد عن بعض رجاله أن **أبا موسى الأشعري** كتب إلى عمر : إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيها نعمل ، قد قرأنا صكاً منه محلّه شعبان ، فما ندري أي الشعبانين ، **الماضي أم الآتي** ؟ فعمم عمر رضي الله عنه على كتب التاريخ ، وأراد أن يجعل أوله **شهر رمضان** ، فرأى أن الأشهر الحرم تقع حينئذ في سنتين ، فجعله من المحرم ، وهو آخرها ، فصيّره أولا لتجتمع في سنة واحدة .

وكانت الكتب تؤرخ من موت **كعب بن لؤي** ، فلما كان **عام الفيل** أرخت منه ، وكانت المدة بينهما خمسمائة وعشرين سنة . وأرخ **بنو إسماعيل** من نار **إبراهيم عليه السلام** إلى بنائه البيت ، ومن بنائه البيت إلى تفرق **معد** ، ومن تفرق معد إلى كعب بن لؤي ، ثم أرخوا بعام الفيل ، ثم من **الهجرة** وعادة الناس أن يؤرخوا بالشيء المشهور والأمر العظيم المذكور ، فأرخ بعض العرب **بعام الخنان**[5] لشهرته بتماوتهم فيه . قال **النابغة الجعدي** :

فمنْ يكُ سائلاً عني فإنّي
من الفتيان أيّامَ الخُنانِ
مضتْ مئةٌ لعام وُلِدتُ فيه
وعامٌ بعد ذاك وحِجّتانِ
وقد أبقتْ صروفُ الدهر مني
كما أبقتْ من السَّيْف اليَمانِ

وتقول العرب : أرَّختُ الكتابَ ، ووَرَّختُه ، ولا تكاد **(ورخت)** تستعمل اليوم . وكانت العرب تؤرخ بالنجوم قديماً ، وهو أصل قولهم : نجّمت على فلان كذا حتى يؤدّيَه في نجوم[6] » .

يبدو في هذا الخبر اهتمام أبي هلال بأسباب بدايات الأشياء وظهورها ، فهو يذكر الأسباب الموجبة لبدء التاريخ أولا ، والسبب الموجب لاعتبار شهر المحرم أول أشهر السنة الهجرية ، ويستطرد بعد ذلك إلى ذكر بعض كبار الحوادث التي أرخ بها العرب .

وبعد

فنرجو أن نكون قد وفقنا في تسليط الضوء على هذا الكتاب القيم الممتع ، الذي يعتبر ذخيرة من ذخائر تراثنا الفكري ، وعلى حياة مؤلفه الذي يعتبر إماماً من أئمة اللغة والأدب ، وعَلَماً من أعلام الفكر العربي .

الهوامش

(١) مقدمة الكتاب ص٣ .
(٢) المناسمة : طلب الخبر وأخذه ، والنص من المقدمة ص٦ .
(٣) المذقة : اللبن الممزوج بالماء .
(٤) كتاب الأوائل ، ج١ ، ص٨٤ .
(٥) الخُنان : داء أصاب الإبل أيام المنذر بن ماء السماء .
(٦) الكتاب ، ج١ ، ص٢٢٣ .



المساجد الإسلامية



الأقصى ، (المسجد) :

كان **عمر بن الخطاب** أول من أمر ببناء مسجد في الحرم القدسي ، قريباً من موضع **الصخرة** التي بنيت عليها القبة ، ولكن الوليد بن عبد الملك هو الذي أنشأ المسجد الأقصى في مكانه الحالي ، عام ٩٧ هـ/٧١٥ م ، وأعاد الخليفة **المنصور** بناءه عام ١٤٠ هـ ، إلى أن تم إنشاؤه بأمر **الخليفة المهدي** عام ١٦٣ هـ/٧٤٧ م ، حتى أخذ صورته وحجمه الحاليين . وبعد زلزال عام ٤٢٤ هـ/١٠٣٣ م ، الشهير ، أعاد **الخليفة الظاهر الفاطمي** بناءه ، وكان ذلك في عام ٤٢٦ هـ/١٠٣٥ م ، والمسجد الأقصى عمل معماري رائع ، يجمع بين البساطة والجلال على صورة تندر في غيره من المساجد .



بني عبد الواد ، (مساجد) :

ظهرت في تاريخ **المغرب** دولة جديدة هي **دولة بني عبد الواد** أو **بني زيان** عام ١٢٣٦ م ، وظل **أبو يحيى بغمراسن** يحكم إلى عام ١٢٨٢ م ، إلى أن خلفه ابنه **أبو سعيد عثمان بن بغمراسن** . وقد استطاع مؤسس الدولة أن يرمم **المسجد المرابطي الكبير في تلمسان** ويبني له مئذنة تعتبر من أجمل المآذن الأندلسية الطراز في المغرب . وفي عام ١٢٩٦ م ، أنشأ أبو عثمان سعيد بن بغمراسن **مسجد سيدي أبي الحسن** في تلمسان ، وكان من أجمل مساجد ذلك البلد الجميل . كما أنشأ بنو عبد الدار قلعة ضخمة عرفت بالمنصورة غرب تلمسان ، وفي وسطها **مسجد المنصورة الجامع** ، وله مئذنة أندلسية الطراز على غرار مئذنة **جامع حسان في الرباط** .



تلمسان ، (جامع) :

جامع تلمسان أو **الجامع المرابطي في تلمسان** ، من أجمل آثار عصر المرابطين ، وقد بناه **يوسف بن تاشفين** عقب استيلائه على **تلمسان** عام ٤٧٥ هـ/١٠٨٢ م ، ثم تناوله **علي بن يوسف بن تاشفين** بالزيادة والزخرفة عام ٥٣٠ هـ/١١٣٦ م ، ثم أعاد ترميمه وإصلاحه **بغمراسن بن زيان** من أمراء بني عبد الواد ، وهو يجمع بين الفخامة والجمال ، ويمتاز بقبتين صغيرتين ، واحدة منها فوق بلاطة المحراب ، وهي شبيهة بقبة مسجد قرطبة الجامع . وتقوم القبتان على مناور ذوات نوافذ صغيرة ، وكلها مزينة بالزخارف الجميلة .



ثعلب ، (مسجد) :

أثر مساجدي فريد في الطريق إلى مسجد الإمام الشافعي

بالقاهرة ، بناه القائد الأيوبي في عام ١٢١٦ م ، في عصر بقيت لنا منه آثار معمارية قليلة ، وذلك تمجيداً لذكرى **الإمام أبو منصور إسماعيل ابن ثعلب** ، رضي الله عنه وأرضاه ، هذا ومحراب المصلى مزين بكتابة على الخشب عليها اسم صاحب المسجد وتاريخ إنشائه ، نصف هذه القطعة الخشبية في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، ونصفها الآخر في **متحف فكتوريا وآلبرت بلندن** .



الجامع الأزهر :

بناه **جوهر الصقلي** قائد المعز لدين الله الفاطمي عام ٩٧٠م ، وأقيمت فيه أول صلاة جمعة سنة ٩٧٢م ، وكان وقت إنشائه نصف حجمه في الوقت الحاضر ، إذ تبلغ مساحته ١٢٠٠٠ م٢ ، ويعتبر الجامع الأزهر أكبر جامعة إسلامية ، وكانت حلقات الدرس التي عقدت فيه بعد تأسيسه مقتصرة على الدعاية للحكم الفاطمي ، وكان الوزير **ابن كلس** في طليعة الذين جلسوا للتدريس ، وهو الذي عين ٣٧ فقيهاً للقراءة والتدريس ورتب لهم جرايات شهرية ومساكن ، وأصبح الأزهر مدرسة إسلامية يقصدها الطلاب من مشارق الأرض ومغاربها . وقد ظل الأزهر ملاذاً لعلوم الدين ومعقلاً للغة العربية . **وللأزهر خمس مآذن** مختلفة الطرز ، وكان له ثلاثة عشر محراباً بقي منها ستة ، وثلاث قباب أجملها وأكبرها تلك التي تقوم فوق **المدرسة الجوهرية** الملحقة بالأزهر .



الحرام ، (المسجد) :

أول بيت وضع للناس ، فعلى بعد سبعة كيلومترات جنوب غربي **غار حراء** تقوم **مكة المكرمة** في المملكة العربية السعودية ، وفي قلبها يقوم المسجد الحرام ، هذا والمسجد والكعبة في وسطه وشعائر الله الأخرى التي يلم بها الناس في الحج والعمرة ، إنما هي قلب الحرم المكي ، أرض الله الحرام ، وهي كلها أرض مقدسة بمثابة المسجد ، إذا دخلها المسلم على نيّة الحج أو العمرة ، دخل محرماً ، وحدود هذا المسجد الأكبر تعينها أعلام الحرم المنصوبة على الطرق المؤدية إلى مكة من كل ناحية ، وهذه الأعلام تكون في مجموعها نطاقاً واسعاً محرماً مطهراً لا يجوز فيه سفك دم ولا عدوان .

ويعتبر المسجد الحرام أقدم مساجد الإسلام ، إذا ذكرنا أن **إبراهيم عليه السلام** كان حنيفاً مسلماً ، وهو أوسع مساجد الدنيا ، إن لم يكن أوسع معبد ديني على الإطلاق . والقبلة هنا هي الكعبة المكرمة ، ذلك المبنى المكعب الجليل الذي يقوم خالداً تحت ستاره المخملي الأسود ، توشيه أزر من الآيات القرآنية الكريمة . أما ثاني المساجد الكبرى **فهو الحرم النبوي الشريف في المدينة المنورة ، وهو مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم** .



الخضر ، (مسجد) :

هو مسجد الخضر عليه السلام ، **وهو من أشهر مساجد سمرقند** ، عامر بالعلماء ، زاهر بالطلبة ، اشتهر بستره وفرشه ومصابيحه الأثرية ، فضلاً عن **مكتبته الإسلامية** التي كانت تحوي مجموعة كبرى من الموسوعات والكتب النادرة ، وهو المسجد الذي زاره الرحالة العربي **ابن بطوطة** ، وقال عند زيارته لربوع هذه الديار : « وفي كل مسجد طعام للصادر والوارد » .



الدسوقي ، (مسجد) :

هو مسجد **إبراهيم الدسوقي** نسبة إلى **دسوق بمصر** ، وهو إمام من أئمة الإسلام (١٢٣٥ ــ ١٢٧٧ م) ، وتنسب إليه الطريقة الدسوقية أو البرهامية ، وهو أحد الأقطاب الأربعة ، والثلاثة الآخرون هم **عبد القادر الجيلاني ، وأحمد البدوي ، والرفاعي** ، درس الفقه الشافعي ، ثم أسس الدسوقية ، وألف كثيراً من الكتب ، وذاعت شهرته في جميع أرجاء البلاد ، ويعد مسجده معلماً بارزاً من معالم العمارة الإسلامية .



ذو النون المصري ، (مسجد) :

مسجد مقام **بالجيزة في مصر** ، نسبة إلى **ذي النون المصري** ، (٧٧١ ــ ٨٥٩) الزاهد والعارف بالله ، الذي ولد بإخميم من صعيد مصر ، **ودفن بالقرافة الصغرى بالجيزة** وقضى حياته متنقلاً بين أماكن كثيرة كجبل المقطم ، وشاطئ النيل ومدينة **الفسطاط** بمصر ، ثم **مكة المكرمة وبيت المقدس وبغداد والشام** وجبل **لبنان** ووادي كنعان . كان عالماً بعلوم الشريعة وعلوم الحقيقة ، وعالماً بعلوم الصنعة (**الكيمياء**) وله فيها مصنفات منها . . كتاب **الركن الأكبر** . وكتاب « **الثقة في الصنعة** » وكتاب **العجائب** ، ويعده **القفطي** من طبقة

جابر بن حيان في انتحال صناعة الكيمياء ، وله مذهب في المعرفة والمحبة جعله من أشهر العارفين بالله في تاريخ الحياة الروحية الإسلامية ، ومسجده معلم إسلامي من معالم الجيزة .



الرفاعي ، (مسجد) :

هو المسجد المقابل لمسجد **السلطان حسن** في مصر ، وهو من أشهر مساجد القاهرة وأكثرها جمالا وجلالا ، وهو من أكثر المساجد المصرية دلالة على فن المعمار في العصر المملوكي ، وقد أنشئ في أيام أسرة **محمد علي** ليكون مسجداً وضريحاً لأفراد الأسرة ، وقد روعي في تصميم واجهته وأوضاع مآذنه ، أن يضاهي في الشكل والهيئة واجهة جامع السلطان حسن المقابلة له ، والمسجد في ذاته جميل مشرق وخاصة صحنه الواسع ، وله مكانته في تاريخ العمارة الإسلامية في مصر إلى نهاية **العصر المملوكي** ، ونسبة الجامع إلى عالم الإسلام **أحمد بن علي الرفاعي** ، ١٤٨٣ ــ ١٥٢٠ م ، الذي نشأ في **البصرة** . وأسس الطريقة الرفاعية في العراق ، ومنه تفرعت إلى تركيا وسورية ومصر .



الزيتونة ، (جامع) :

بناه الوالي **عبد الله بن الحجاب** في **تونس** عام ٧٣٢ م ، وأعاد بناءه **محمد بن الأغلب** عام ٨٤٠م ، ولكنه لم يصبح جامعة إلا في **عهد الحفصيين** في القرن الثالث عشر ، إذ جلب إليه **أبو زكريا الأول** الأساتذة من الأندلس وصقلية لتدريس الفقه واللغة والأدب والتاريخ والفلسفة والرياضيات والطب . وظل الجامع ينشر الثقافة العربية الإسلامية ، ويقوم بإعداد المدرسين والأئمة والوعاظ والقضاة وكتّاب الرسائل ويتمتع علماؤه بمكانة سامية في المجتمع . وفي سنة ١٩٣٣ م ، صدر مرسوم باعتبار جامع الزيتونة جامعة وسمي شيخه الأعظم مديراً ، وجعلت الدراسة على ثلاث درجات ، إعدادية ومتوسطة وعالية ، مع التخصص في القراءات أو علوم الشريعة أو الآداب . ولجامع الزيتونة مكتبة أنشأها أبو زكريا الحفصي وكان بها (٤٠,٠٠٠) مخطوطة ، ثم أضيفت إليها مخطوطات نفيسة أخرى .



سامراء ، (مسجد) :

هو مسجد سامراء الجامع ، الذي **بناه المتوكل** (٨٤٧ ــ ٨٦١ م) ، ليكون أثراً من آثار مباني **سر من رأى** ، وهو أوسع ما بنى المسلمون من مساجد ، وقد بقيت لنا أجزاء من جدرانه التي تشبه أسوار الحصون ، وبقيت لنا مئذنته ذات المصعد اللولبي الخارجي التي تذكرنا بفكرة **برج بابل** ، والمسجد كله مبني بالآجر ، ويبلغ سمك الجدار أكثر من مترين ونصف المتر ، والمسجد مستطيل ، تبلغ مساحته ما يزيد على الأربعين فداناً ، وهي مساحة مدينة صغيرة لا مجرد مسجد جامع .



شاه ، (مسجد) :

هو مسجد شاه في **أصفهان** الذي يعتبر أعظم منشآت **الشاه عباس الأكبر** ، وهو مسجد فسيح يقوم جنوب ميدان نخشي جهان ، ويعتبر مجموعة مبان في مبنى واحد . وإن بوابته وحدها ، التي تقوم على جانبيها مئذنتان ، تعتبر أثراً فنياً كاملاً قائماً بذاته ، وصحنه الفسيح تطل عليه البوائك ذوات العقود المدببة المزدوجة التي تبعث في النفس إحساساً عميقاً بالإيمان . أما بيت صلاته فروعة من روائع الفن ، وأما قبته الزرقاء السامقة فقمة من قمم فن الزخرفة الإسلامية .



الصالح ، (مسجد) :

هو مسجد **الصالح طلائع بن رزيك** ، الذي يقوم في مواجهة **باب زويلة في القاهرة** ، وقد أنشأه الوزير الفاطمي ليوضع فيه **رأس الحسين بن علي** ريحانة أهل الجنة ، وكان الفاطميون قد نقلوه من دمشق إلى عسقلان ، ثم نقله **الأفضل الجمالي** قبل ذلك بحوالي ستين سنة إلى القاهرة ، ويمتاز المسجد بواجهته التي تطل على الطريق بشرفة من خمسة عقود تقوم على أعمدة رخامية رفيعة ، وشكل المسجد بوجه عام مقتبس من زخارف **الجامع الأقمر** الذي يعتبر درة العمارة الفاطمية في مصر .



طولون ، (جامع) :

هو جامع **أحمد بن طولون** الذي شيد بالقاهرة عام ٨٧٨ م ، ويعتبر

من أكبر الجوامع مساحة ، إذ تبلغ مساحته ستة فدادين ونصف الفدان ، ويتكون من صحن مربع مكشوف تحيط به أروقة من جوانبه الأربعة ، وتقع القبلة في أكبر هذه الأروقة ، وتوجد ثلاثة أروقة خارجية تسمى **الزيادات** . وقد شيد الجامع بالآجر الأحمر ، وله منارة فريدة في نوعها على شكل مدرج حلزوني ، والسلالم من الخارج على غرار منارة مسجد سامراء . هذا ويعتبر الجامع الطولوني من المعالم الفاصلة في تاريخ العمارة الإسلامية .



الظاهر بيبرس ، (مسجد) :

هو مسجد **الملك الظاهر بيبرس البندقداري** ، من أقدر سلاطين المماليك البحرية في مصر ، ومن أشهر قواد **الملك الصالح نجم الدين الأيوبي** ، وقد برز في **معركة المنصورة** ١٢٥٨م ، التي مني فيها **الصليبيون** بهزيمة منكرة ، وفي **معركة عين جالوت** ١٢٦٠م ، ومعارك أخرى ضد **المغول** . وقد أعاد إلى الخلافة العباسية مقامها الروحي في القاهرة بعد سقوط بغداد في قبضة المغول ، خلف عدة آثار رائعة أهمها مسجده في القاهرة ، وهو المسجد الفسيح الجميل الذي تقوم إلى جواره مدرسة لحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف .



عمرو بن العاص ، (جامع) :

أول جامع أنشئ بمصر بعد فتحها عام ٦٤٢م ، كانت مساحته ٥٠ × ٣٠ ذراعاً ، ثم توالت عليه الزيادات إلى أن أمر **الخليفة المأمون** واليه **عبد الله بن طاهر** بتوسيعه عام ٨٢٧م ، فأصبحت مساحته ١١٢ × ١٢٠م تقريباً ، أي قدر مساحته الأولى ١٦ مرة ، وكان مدرسة كبرى للعلوم الدينية ، كما استعمل بيتاً للمال ومحكمة دينية ومدنية ، وكان **الإمام الشافعي** أحد الأساتذة الذين درّسوا فيه . هذا ويعتبر جامع عمرو بن العاص رابع مسجد جامع أقيم في الإسلام ، بعد مساجد المدينة والكوفة والبصرة .



غار حراء :

مسجد قبل الإسلام ، وهو عند جمهرة من علماء المسلمين مسجد الإسلام الأول ، حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي غار حراء نزلت الآيات الخمس الأولى من سورة العلق ، وهي أول ما نزل من القرآن الكريم . وعلى ذلك فهذا الغار جدير بأن يعد في المساجد وإن سبق عصر المساجد .



الفتح ، (مسجد) :

هو **مسجد حسان في رباط الفتح** بالمغرب الأقصى ، ويقال له مسجد الفتح ، وقد بني في أيام **أبي يوسف يعقوب المنصور** ثالث خلفاء الموحدين ، في مناسبة انتصاره على **الفونسو الثامن ملك قشتالة في معركة الأرك المشهورة** ٥٩١م . وقد خلد المنصور الموحدي انتصاره بإنشاء مسجده الشاسع المعروف بمسجد حسان في الرباط ، أو مسجد الفتح ، وقد ظل العمل جارياً فيه حتى وفاته فوقف دون إكمال . ويمتاز هذا المسجد بمساحته الشاسعة ٢٥٢٠٠ متر ، ومئذنته التي بلغ طولها ٤٤ متراً ، وقاعدتها المبنية بالحجر المصقول ، وهذه المئذنة هي أخت مئذنة جامع المنصور في إشبيلية وهي المعروفة بالخيرالدا .



قرطبة ، (جامع) :

بدأ تشييده **عبد الرحمن الداخل** في عام ٧٨٥م ، وكان في أول أمره عبارة عن قسمين : حرم المسجد ويتكون من ١١ رواقاً عمودياً على القبلة ، يقطعها مجاز مرتفع والسقف على شكل جمالون ، والقسم الثاني صحن سماوي لا تحيط به أروقة . وتبلغ مساحة هذا المسجد بعد الزيادات التي أضافها **عبد الرحمن الثاني** عام ٨٣٣م ، **والحكم الثاني** عام ٩٦٦م ، ثم **المنصور حاجب هشام الثاني** في أواخر القرن العاشر نحو ٢١٨٧٥ متراً مربعاً ، ويمتاز هذا المسجد بزخارف الفسيفساء المذهبة ذات الرسوم الجميلة ، وشبابيكه الرخامية المفرغة ، وعقوده المزدوجة التي يعلو بعضها البعض الآخر .



الكتبية ، (جامع) :

أنشأه **عبد المؤمن بن علي** أول خلفاء الموحدين ، سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م ، وهو ثالث الآثار المعمارية الموحدية الكبرى ، وهو **درة**

مراكش الكبرى رغم امتياز هذه المدينة بمساجدها ومدارسها وروضاتها الأثرية ، ثم القطع الباقية من أسوارها القديمة . ويكاد هذا الجامع أن يكون مدرسة للفن أو متحفاً للابتكار المعماري ، وعقوده نموذج للعقود الموحدية التي لا نزال نراها في كل بلد من بلاد المغرب العربي . أما أجمل ما يمتاز به فهو المئذنة التي هي من مآذن المساجد الإسلامية الرائعة .



لطف الله ، (مسجد) :

يعد **مسجد الشيخ لطف الله في أصفهان** ، تحفة من تحف **المعمار الصفوي** ، وقد أمر بإنشائه **الشاه عباس** قبالة قصره الكبير المسمى عالي قَبو ، واستمر بناؤه من عام ١٦٠٢ ــ ١٦١٨ م ، ويسمى أحياناً **بالمسجد الشاهاني** ، لأنه ليس مسجداً جامعاً فحسب ، ولكنه كذلك مسجد للمناسبات الرسمية ، وكان **الشيخ لطف الله** من كبار أئمة الإسلام في عصر **الشاه عباس** ، وأصله من جبل عامل في لبنان ، ثم استقدمه الشاه وأحاطه بالتقدير والإجلال وأنشأ له هذا المسجد ، وأجمل ما فيه الخزف ذو البريق المعدني الذي يزين كل جدرانه ، وكل جزء من أجزائه ، ويحيط بالمسجد روض بديع تزينه زهور وردية تزيد من جمال المسجد كله .



المرابطين ، (مسجد) :

هو مسجد المرابطين في **مدينة الجزائر** ، الذي أمر ببنائه **يوسف ابن تاشفين** أول أمراء المرابطين ، وهو من أعظم الفاتحين والمجاهدين في تاريخ الإسلام . ويرجح أن الشروع في إنشاء هذا المسجد كان سنة **٤٧٥ هـ/١٠٧٢ م** ، وهي السنة التي أنشئ فيها **جامع تلمسان** ، أما الفراغ منه فكان في سنة ٤٩٠ هـ/١٠٩٧ م ، وهو التاريخ المسجل على منبره . وقد أعيد ترميم هذا الجامع مراراً عديدة على طول تاريخه ، وإذا كان بعض زخارفه يرجع إلى عصور متأخرة ، فإن هيكله العام وأجزاءه الرئيسية ترجع إلى العصر المرابطي ، وهو من أجمل عمائر هذا العصر .



النبوي ، (المسجد) :

هو المسجد النبوي الشريف في المدينة المنورة بالمملكة العربية السعودية ، وهو ثاني المساجد الكبرى ، **وقد بناه النبي عليه الصلاة والسلام** وسط المدينة المنورة ، ووسع عدة مرات آخرها منذ سنوات ، **فيه قبر الرسول ، ومنبره ، ومحرابه ، والروضة الشريفة** حيث كان يصلي ، وفيه **قبر أبي بكر وعمر** ، وله عدة أبواب ، وفيه أربع منائر ، يقصده المسلمون قاطبة للزيارة ، ويسمى الحرم المدني . وتقدر مساحة المسجد بعد الزيادات الكثيرة التي لحقت به على توالي العصور ، بحوالي (١٦٠,٠٠٠) متر مربع تتسع لما يزيد على ٣٠٠,٠٠٠ من المصلين .



هشام ، (مسجد) :

هو **مسجد هشام بن عبد الملك** (٦٩٠ ــ ٧٤٣ م) من ملوك الدولة الأموية ، وكان قد ولد بدمشق وبويع فيها بعد وفاة أخيه يزيد عام ٧٢٣ م ، وقد انتصر على زيد بن علي بن الحسين وجماعته عام ٧٣٨ م ، وبنى الرصافة غربي الرقة وتوفي بها ، بعد أن شيد له جامع جميل بزخارفه وأبوابه ومآذنه ، يعد نموذجاً من نماذج العمارة الإسلامية في عهد الدولة الأموية .



الوكيل ، (مسجد) :

هو **مسجد الوكيل في شيراز** ، وهو من أجمل عمائر شيراز وقد **أنشأه كريم خان زند** منشئ أسرة زند ١٧٥٨ ــ ١٧٧٩ م ، **فهو بذلك** من عصر الدولة القاجارية التي أنشأها **نادر شاه** ، ويسمى هذا المسجد أيضاً بالمسجد السلطاني ، ويمتاز هذا المسجد بروضته البديعة ذات الواجهة الرائعة الملبسة بالخزف الزخرفي ، تزينها الآيات القرآنية ، وتطل عليها قبة لا نظير لزخارفها الخزفية البديعة .



يحيى ، (مسجد) :

هو **مسجد أحمد يحيى في الإسكندرية** ، القريب من قصر الأمير محمد علي الذي كان ولياً لعهد فاروق لسنوات طويلة ، وهو من أجمل مساجد الإسكندرية ، يمتاز بواجهته المزينة بزخارف جصّية ذات ألوان هادئة قريبة من ألوان الباستل ، وداخل المسجد فسيح مشرق تقوم فوقه قبة ، تقوم على أعمدة من الرخام المصري ، منحوتة على غرار الحمراء في **غرناطة** ، ومن أجمل ما في هذا المسجد ثريتان من البلّور والخزف تحفان بالمحراب من الجانبين . ويعتبر طراز هذا المسجد من الطرز الحديثة في المعمار المصري .

مناقشات و تعليقات

الحج والهجرة بين المنظور الديمغرافي والمنظور التراثي

قرأت مقالا للدكتور السيد **خالد المطري** عن **الحج والهجرة السكانية** في **مجلة « الفيصل »** الغراء العدد (٣٠) ص (١٥) ٣٠ ذو الحجة ١٣٩٩ هـ/نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩ م، وقد استوقفني هذا المقال بعض الوقت، وأثار انتباهي لما يعرض من آراء طريفة قد يكون لها بعض التبرير. وقد رجعت إلى بعض المراجع التي اعتمد عليها عسى أن ألتمس له بعض الدواعي والأسباب. وقد انصب اهتمامي فقط على طرحه الجديد الذي يعتبر فيه الحج ضرباً من ضروب الهجرة ونوعاً من أنواعها. فإذا كانت التعريفات والمقاييس العلمية، والكتابات المنشورة في **كتب الأدب الديمغرافي وطبائع الأشياء** هي الأساس الذي نرجع إليه، والقاعدة التي نحمل عليها القضايا حتى نحصل على استنتاج منطقي سليم يوافق طبائع الأشياء ولا يخرج عن منطوق القاعدة أو روحها، فعلينا أن نحكم ذلك حتى نصل إلى تقييم مرضي غير منقوض ولا منقوص.

وقد يسعفنا في ذلك الشرع أيما إسعاف. ولعلنا نجد في **كتابات ابن خلدون** ما ينير أمامنا الطريق وخصوصاً ما يتعلق **بالهجرة من وجهة نظر الشرع** أو من وجهة نظرته الخاصة ما أتيح له من نصوص إسلامية اعتمد عليها في بناء آرائه ووجهات نظره.

ولنبدأ بما قاله الدكتور المطري في مقاله، ثم نرجعه إلى الأصول والقواعد الناظمة لطبيعة القضية حتى نتبين صحة قياسه وحمله هذا المفهوم الجديد على مفهوم مقعد علمي له خصائصه وقواعده.

قال الدكتور المطري في مقاله: « الواقع أن الحج صورة من صور هجرة السكان وتحركهم وانتقالهم من مكان إلى آخر. ولا يقتصر الحج على صورة واحدة من صور الهجرة بل يشملها جميعاً. فهو هجرة دولية تنقل أفواج الحجاج من محل إقامتهم المعتاد عبر الحدود السياسية لدولهم إلى داخل حدود **المملكة العربية السعودية** وهو هجرة داخلية أيضاً تنقل السكان من أبناء المملكة العربية السعودية والمقيمين فيها من رعايا الدول الأخرى من محل إقامتهم المعتاد في قرى المملكة إلى **البقاع المقدسة** لأداء فريضة الحج استكمالا للركن الخامس من أركان الإسلام ».

ويقول أيضاً في معرض حديثه عن الهجرة: « تعتبر الهجرة عنصراً من عناصر السكان وانتقالهم، فالسكان ليسوا كتلة جامدة ثابتة غير متحركة، وإنما هم في حركة دائبة تتم بطريقتين: **الأولى** طبيعية عن طريق **المواليد والوفيات** تعمل على توزيع السكان فإن الهجرة تؤدي إلى إعادة هذا التوزيع » ووضع إشارة (١) على عبارة هذا التوزيع راداً ذلك إلى مرجع (الأسس الديمغرافية لجغرافية السكان لدولت صادق وعبد الرحمن الشرنوبي) وبعد أن تكلم الدكتور المطري عن طبيعة الهجرة وبعد أن وصف الحج « بأنه صورة من صور هجرة السكان وانتقالهم وتحركهم من مكان إلى آخر » يعود ليقول إنه يختلف عن الهجرة السكانية العادية في دوافعه وتركيبه النوعي والعمري، بحيث يمكن القول بأنه هجرة من نوع خاص لم تتناولها الدراسات السكانية من قبل. ذلك أن دوافع الحج ومسبباته تختلف اختلافاً جذرياً عن دوافع الهجرة السكانية المعروفة فهي ليست دوافع سياسية، كما أنها ليست دوافع اقتصادية بل هي دوافع دينية بحتة لا مادية.

تلك هي الأفكار الرئيسية الهامة التي أوردها الدكتور المطري في هذا الصدد. وإزاء ذلك فقد يكون من الأصوب أن نناقش هذا الموضوع من خلال طبيعة الهجرة ومقاييسها ومن خلال مدلولاتها التي خلعت عليها في تراثنا الأصيل مفرقين في ذلك بين الهجرة والحركة السكانية والحج، محتكمين في ذلك إلى أصول الحمل والقياس.

الهجرة والحركة السكانية والحج

وصف الديمغرافيون الحركة السكانية بأنها ظاهرة ذات أوجه نشاط متعددة[1]، فقد تكون هذه الحركة لمسافة أمتار قليلة، كما قد تكون لأميال كثيرة، وقد تقع الإقامة في بلد الجذب لمدة ساعات قليلة، وقد تطول إلى أكثر من ذلك بكثير حيث تتجاوز الأيام والسنين، ولكن الأمر المعتبر في هذه الحركة هو وقائع تحقيق النشاطات اليومية للقائم بهذه الحركة والقصد من هذه الحركة، فقد تكون الحركة بقصد الانتقال اليومي إلى مكان العمل ثم العودة إلى مكان إقامة المتنقل، أو قد تكون هذه الحركة عبر الحدود الإدارية أو السياسية بقصد الشراء أو الرحلة والاستمتاع أو الاستجمام أو قضاء بعض الأعمال ثم الرجوع إلى مكان الانطلاق بعد مدة من الزمن، كما تكون هذه الحركة بقصد الهجرة التي تترافق بتغير الإقامة أو المسكن والمكوث لمدة تتجاوز السنة على الأغلب (على خلاف بتحديد المدة) لأسباب اقتصادية أو سياسية أو غيرها.

وعلى هذا فإن المسافر عبر الحدود الإدارية أو عبر الحدود السياسية بقصد التسويق أو المعالجة أو المصيف أو الاستجمام وما في حكمها لا يعتبر مهاجراً بل متحركاً، والحركة تقابل لفظة mobility في اللغة الإنكليزية.

وقد اعتبر بعض الديمغرافيين أن التغير في مكان الإقامة ضمن الوحدة الإدارية عبارة عن حركة سكانية. ولكن الشخص الذي يعبر الحدود الإدارية أو السياسية بقصد تغيير الإقامة والسكن يعتبر مهاجراً، والهجرة تقابل باللغة الإنكليزية migration.

وقد أورد **باركلي** في كتابه **تحليل البيانات السكانية**[2] أن الهجرة مفهوم إحصائي غامض ليس له سوى القليل من المعايير للتمييز بين المهاجر وغيره. فالمهاجر هو بالطبع الشخص الذي يرحل. وهذا هو العنصر الوحيد غير الغامض في كل الموضوع. ومن الواضح أن المهاجرين فئة قليلة من

مناقشات و تعليقات

الراحلين ، وتجابهنا صعوبات عند تعرف حدود تلك الفئة . وقد اقترحت عدة معايير ، فمثلاً ، اقترح شمول الراحلين الذين **ليسوا زائرين أو عابرين فقط** أو قصر الفئة على هؤلاء الذين يرتبط رحيلهم بتغير المهنة ، أو ضرورة أن تكون الرحلة لها حد أدنى على الأقل سنة مثلاً .

ونعرف الهجرة حسب ما ورد في **قاموس ويستر** بأنها الانتقال من مكان إلى آخر وبخاصة من دولة أو إقليم أو محل سكن أو إقامة إلى مكان آخر بغرض الإقامة فيه[3] وإذا بحثنا في طبيعة الحج يبين لنا أنه ركن من أركان الإسلام الخمسة فرض على المستطيع وهو انتقال للسكان أو حركة سكانية تتم في وقت محدد بقصد الحج وليس بقصد التغير في السكن أو الإقامة حتى أنه يترافق بالانتقال من مكان إلى آخر خلال فترته حسب مقتضيات المناسك إذن هو تحرك لا يهدف إلى الإقامة بل هو زيارة تقتضيها الفروض الدينية متميزة بأفعال معينة وعليه فإنه يخرج عن كونه هجرة .

القرآن والهجرة والرحلة والحج

ميّز القرآن الكريم بين الهجرة والرحلة والحج . فقد اعتبر سفر القرشيين في طلب التجارة رحلة على الرغم من غيابهم في سبيل ذلك الفترة الطويلة ومكابدتهم وعثاء السفر وعناء الطريق وقد أشار **القرآن الكريم** إلى ذلك في **سورة قريش ﴿ لإيلاف قريش . إيلافهم رحلة الشتاء والصيف . فليعبدوا رب هذا البيت . الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾** كما قال **الزمخشري** في (الكشاف) عند تفسيره لهذه السورة : « كانت لقريش رحلتان : يرحلون في الشتاء إلى **اليمن** وفي الصيف إلى **الشام** فيمتارون ويتجرون »[4] .

أما الهجرة فقد وردت في آيات عديدة من القرآن الكريم نذكر على سبيل المثال سور : **البقرة** (الآية ٢١٨) **آل عمران** (١٩٥) **الأنفال** (الآيات ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٥) **النساء** (الآية ١٠٠) **التوبة** (الآيتان ١٠٠ ، ١١٧) **الحشر** (١٢٨) وفي معظمها ينصب معنى الهجرة على هجرة المسلمين من **مكة إلى المدينة المنورة** ، كما سميت المدينة المنورة بدار الهجرة **﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون . والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ﴾** (سورة الحشر ، الآيتان ٨ و٩) .

ونستطيع من الآيات القرآنية التالية من سورة الحج أن نتبين طبيعة الحج والمناسك التي فرض لأجلها .

﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق ﴾ (سورة الحج ، الآيات ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩) .

إنه أمر من الله أطلقه على لسان **إبراهيم عليه السلام** وكتب على المستطيع وتميّز بمناسك وأفعال معينة . أمر أسمى من أن يوصف بالهجرة أو بوصف آخر . إنه الحج ذو الطبيعة المغايرة للهجرة . إنه أيام معلومات ومنافع وتصدق وتطهر . إنه نداء من الله واستجابة لهذا النداء .

نعم إن القرآن الكريم هو أقدس وأفصح كتاب وقد سمى الأسماء بمسمياتها ، وأوضح ذلك بجلاء لا يعتريه شك ولا لبس حيث قال عن الهجرة هجرة وعن الرحلة رحلة وعن الحج حجاً . . متفقاً في ذلك مع ما كتب في الأدب الديمغرافي في تمييز الخطوط الرفيعة بين الزيارة والرحلة والهجرة ، أما الرحلة فقد صوحبت بالسفر بقصد التجارة أي ذهاب التجار إلى بلاد اليمن وبلاد الشام لجلب البضائع وبيعها في أسواق مكة .

الهجرة والتعرب عند ابن خلدون وفقهاء المسلمين

الهجرة والتعرب اصطلاحان متضادان كان لهما شأن كبير في صدر الإسلام ، فالهجرة في مفهومهم تعني أن يترك الفرد أهله وعشيرته ويلتحق بالدعوة الإسلامية يجاهد مع المجاهدين في سبيلها . أما التعرب فهو أن يبقى الفرد اعرابياً أي بدوياً يسكن البادية مع قبيلته يتنقل وراء المرعى ويقاتل من أجلها .

وقد جرى جمهور الفقهاء على اعتبار الهجرة واجبة على كل مسلم قبل فتح مكة حيث كان الواجب يقضي على المسلم أن يلتحق بالنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجاهد معهم الكفار . وقد سميت المدينة لهذا السبب بدار الهجرة . ولما فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً أفواجاً أصبحت الهجرة ليست بذات موضوع حسبما جاء في الحديث القائل : **« لا هجرة بعد الفتح »** . ومما يلفت النظر أن **الأمويين** ظلوا في عهد دولتهم ينظرون إلى الهجرة نظرة احترام وتحبذ ، ويعدون **التعرب** نقصاً في دين الرجل . ولكن دار الهجرة انتقلت في رأيهم من المدينة إلى الشام أو غيرها من مراكز جيوشهم . **وقد صار الأمويين يصنفون الناس إلى صنفين « مهاجر » و « أعرابي »** .

ومما يذكر أن **الحجاج** مدح نفسه ذات مرة ببيت من الشعر قال فيه إنه « مهاجر ليس بأعرابي » .

ومهما يكن الحال فقد ورد في **صحيح البخاري** حديث له أهمية كبيرة في هذا الصدد . وخلاصة الحديث أن صحابياً اسمه **سلمة بن الأكوع** أراد

مناقشات

وتعليقات

الخروج إلى سكنى البادية في أيام الحجاج فقال له الحجاج ارتددت على عقبيك تعربت فأجابه سلمة لا ولكن **رسول الله صلى الله عليه وسلم** أذن لي في البدو . وقد عد الفقهاء هذا الحديث دليلاً على أن رجوع المسلم إلى البادية بعد الهجرة هو بمثابة الارتداد على العقبين .

إن جمهور الفقهاء يرون بأن الهجرة سقط وجوبها بعد الفتح ولكنهم مع ذلك لا يرون الصلاح في رجوع المسلم إلى البادية بعد هجرته .

وهنا يأتي ابن خلدون فيعالج موضوع الهجرة والتعرب معالجة يخالف بها جمهور الفقهاء ، فهو لا يرى رأيهم في ذم البداوة وخصالها بل هو يرى العكس من ذلك . ويعتقد أن الهجرة ليست شيئاً مجرداً لذاته بغض النظر عن الغاية منه . إنها تكون محمودة حين تؤدي إلى نصرة الدين وحمايته أما إذا كانت لغرض آخر فهي قد تكون مذمومة تبعاً لذلك الغرض .

والهجرة لم يوجبها الشرع إلا لسبب مؤقت هو نصرة النبي عندما كان الإسلام ضعيفاً . وهي كانت في أول أمرها غير واجبة إلا على أهل مكة فقط « لأن أهل مكة يمسهم من عصبية النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يمس غيرهم من بادية الأعراب » .

ويتبين لنا مما سبق أن مفهوم الهجرة عند فقهاء المسلمين وعند ابن خلدون هو مفهوم ينصرف إلى حالة معيّنة ، كما عرفها الفقهاء بأنها تعني أن يترك الفرد أهله وعشيرته ويلتحق بالدعوة الإسلامية ، كما أن لها مقابلاً معاكساً هو التعرب الذي توضح مفهومه في **العصر الأموي** .

خصائص الهجرة والحج

تمكن الديمغرافيون من خلال الدراسات العديدة أن يقفوا على خصائص الهجرة ، فهي اختيارية وتتميز بتركيب عمري وجنسي معين وتكون بدوافع معينة وقد ذكر ذلك الدكتور المطري كما قال بأن الحج هو هجرة ذات تركيب مغاير .

فإذا كانت طبيعة الحج مختلفة عن طبيعة الهجرة وإذا كانت خصائصه تختلف عن خصائصها ودوافعها تختلف عن دوافعه ودواعيه فما هو الداعي الذي حداه لأن يصف الحج بالهجرة . إنه قياس غير سائغ وحمل قضيته على أخرى مغايرة تماماً وإن اشتركت بفرع ثانوي لا يعقد عليه .

المطري والمراجع

لقد أورد المطري تعريفاً للهجرة في مقدمة مقاله كما قال إن المواليد والوفيات تعمل على توزيع السكان ، وإن الهجرة تؤدي إلى إعادة هذا التوزيع ووضع إشارة إلى المرجع الذي استمد منه القول أو الأفكار ، وقد رجعت إلى هذا المرجع الذي أشار إليه والطبعة نفسها وهو (دولت صادق ــ وعبد الرحمن الشرنوبي ــ الأسس الديمغرافية لجغرافية السكان ــ القاهرة ــ ١٩٦٩ م ، ص (٣٠٤ ــ ٣٠٦) فلم أجد في هذه الصفحات التي أشار إليها من المرجع المذكور شيئاً من هذا القبيل ، حيث وجدت أن المؤلف يعرض اعتباراً من الصفحة ٣٠٣ وحتى ٣٠٦ الهجرات العالمية ، ويتحدث عن طبيعتها الدائمة والمؤقتة ، وليس للنصوص التي أوردها أو الأفكار التي قدمها في هذا الصدد أي وجود في هذه الصفحات . كما أني لا أذهب معه في أن المواليد والوفيات تعمل على توزيع السكان . إن المواليد والوفيات لا توزع السكان إنما تعمل على نموهم الطبيعي ، فالمواليد تقوم على زيادة السكان ، كما أن الوفيات تعمل على نقصهم ، وأن الفارق بين المواليد والوفيات هو ما يعبر عنه بالنمو الطبيعي ، وإذا كانت المواليد والوفيات تعمل على زيادة السكان فإن الهجرة لا تؤدي إلى الزيادة في أعدادهم سواء على مستوى القطر أو مستوى العالم وإنما تقوم بإعادة توزيعهم . ولكن إذا أخذت الهجرة على مستوى المناطق الإقليمية أو الوحدات الجغرافية ضمن القطر الواحد ، أو إذا أخذت على مستوى الدول فإنها تؤدي إلى الزيادة أو النقص حسب بلد الأصل وبلد الوصول وهي تضاف أو تنقص وفق هذه الحالة حسب الصيغة التالية : الزيادة العادية ــ مواليد ــ وفيات + هجرة ونعرف هذه الزيادة باسم الزيادة العادية بينما تعرف الزيادة الناتجة عن المواليد والوفيات باسم الزيادة الطبيعية .

وأخيراً ، أرجو أن أكون قد وفقت إلى جلاء الموضوع جلاء لا يترك لبساً ولا غموضاً ، كما أرجو أن تكون المعالجة قد وضحت حدود مفهومات الحركة والهجرة والحج من خلال الديمغرافيا والتراث ، شاكراً للدكتور المطري بحثه الرائد واهتمامه الحار بمجلة « **الفيصل** » الغراء نشرها لكل جديد وطريف من الموضوعات العلمية والأدبية وغيرها ، والله من وراء القصد .

مصطفى العلواني
ماجستير الفلسفة في الديمغرافيا

المراجع

١ ــ الأمم المتحدة : طرق قياس الهجرة الداخلية ــ الدراسات السكانية ، الرقم ٤٧ ــ ١٩٧١ م ، (اللغة الإنكليزية) .

٢ ــ باركلي جورج : أساليب تحليل البيانات السكانية ، دار الكتب الجامعية القاهرة ، ترجمة سعد زغلول أمين وعبد الخالق ذكري .

٣ ــ سميث ــ لين : أساسيات علم السكان ، دار العلم للطباعة ، ترجمة الدكتور محمد السيد غلاب وفؤاد إسكندر ١٩٧١ م .

٤ ــ الزمخشري ــ الكشاف .

٥ ــ الدكتور علي الوردي : منطق ابن خلدون في صور حضارته وشخصيته ، جامعة الدول العربية ، ١٩٦٢ م .

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

ما الاسم القديم لمنطقة الربع الخالي ؟

السؤال الثاني :

سيرة ابن هشام ــ المغازي ــ الطبقات الكبرى ــ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ــ محمد المثل الكامل .
هذه أسماء خمسة كتب تناولت سيرة الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام ، اذكر أسماء مؤلفيها .

السؤال الثالث :

ماذا تعني المصطلحات التالية :
استاطيقا ــ استراتجرافية ــ الاستراتيجية ــ التكتيك .

السؤال الرابع :

قرشية صحابية (٠٠٠ ــ ٦٧٠ م) عُرفت بالفصاحة ، أقامت وماتت بالمدينة ، عاشت إلى زمن معاوية حيث وفدت عليه في دمشق فعاتبته على خصومته لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه . لما سألها معاوية حاجتها سخرت منه . .
ما اسمها ؟

السؤال الخامس :

[illegible]
أيام . . ولماذا ؟

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل العدد (٥٤)

الاسم : ------------------------------------
المهنة : ------------------------------------
العنوان : ------------------------------------

• نتائج مسابقة العدد ٤٧ •

● فازت **بالجائزة الأولى** وقيمتها (٢٠٠٠) ألفي ريال سعودي من جدة الأخت بدرية محمود الدخاخني .

● وفاز **بالجائزة الثانية** وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ محمد سعيد فارع المدحجي ، العنوان : تعز ، ص. ب (٥٤٨٧) اليمن الشمالي .

● وفاز **بالجائزة الثالثة** وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ العطار عبد العزيز وعنوانه : طريق تطفت درب المسكيني رقم 38 ــ القصر الكبير ، المغرب .

وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● الأخ محمود محمد شحادة من دمشق ــ سورية ، جامعة دمشق كلية الآداب قسم اللغة الفرنسية .

● الأخ بلواضح محمد ، حي ــ 19 ــ جوات ، عمارة «1» رقم : 3 بو سعادة ولاية المسيلة ــ الجزائر .

● الأخ عبد القادر علي النعيم ، الخرطوم ، مصلحة الاقتصاد الزراعي ص . ب (١٢٤٦) ــ السودان .

● الأخ الهادي خلفة ، المعهد الفني بمدنين ــ تونس .

● الأخ عبد الرحمن بن بريكة ، حي باش جراح ، عمارة رقم 1 ، مدرج رقم 3 ، شقة رقم 3 حسين داي ، الجزائر العاصمة ــ الجزائر .

● الأخت إيمان عبد المعطي ، حلب ــ سورية .

● الأخ سليمان محمد العبد الله العتيق ، القصيم ، المذنب ، مدرسة المذنب المتوسطة ــ المملكة العربية السعودية .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتي ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من الأردن ــ عمان ، ص . ب (٨٧١٨) جبل الحسين ، الأخ معاذ محمد عبد العزيز غيث .

● من مصر ــ شبين الكوم ، مدرسة المساعي الثانوية العسكرية ، الأخ نجيب محمد إبراهيم رجب .

● من تونس ــ شارع الجمهورية حي الأحلام عدد 16 المرسى ، العاصمة تونس ، الأخ مهدي رماني .

● من لبنان ــ بيروت ، الأخت ميرة رباح غضبان .

● من قطر ــ الدوحة ، ص . ب (٢٣٢) الأخ بلال جمال يعقوب أبو حامدة .

● من مالي ــ باماكو ، مركز رقي اللغة العربية بوزارة التربية الوطنية الأخ محمد سالف جالو .

● من المغرب ــ فاس ، شارع الكبير بن عباب رقم 1 دكان رقم 148 الأخ عبد الرحمن ابن محمد ايت موصي .

● من سورية ــ حلب ، ص . ب (٥٠٤٩) الأخ غياث سالم .

● من مصر ــ أدفو ، وحدة ملاريا أدفو ، الأخ عبد الرازق محمد الطيب محمد .

● من موريتانيا ــ نواكشوط ، الثانوية العربية ، ص . ب (٣٦٣) الأخ عبد الله بن أحمد بن مولود .

• أجوبة مسابقة العدد ٤٧ •

ج١ زهاء ثمانية قرون قضاها المسلمون في شبه الجزيرة الإسبانية (الأندلس) ودانت منذ فتحها طارق بن زياد سنة [illegible] إلى أن فقد [illegible] آخر القواعد الإسلامية سنة ١٤٩٢م .

ج٢ هامان وزير فرعون الأول ومن أعوانه المقربين وقد كلفه فرعون أن يبني له صرحاً ينال السماء ليطلع إلى إله موسى ليحاربه ، وقد زين لفرعون سوء عمله ، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في القصص : ٦ ، ٨ ، ٣٨ ، والعنكبوت : ٣٩ ، وغافر : ٢٤ ، ٣٦ .

ج٣ ممر طيران هو مسار سفينة هوائية أو صاروخ أو قذيفة في الجو أو الفضاء ، ويتغير أحياناً ممر الطيران المرسوم بتغير الريح سرعة واتجاهاً .

ج٤ المقصود بنظام المُحتَسِب مراقبة الآداب العامة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومحاربة الفساد واللهو ، وتوقيع عقوبة التعزير والردع والجلد على اللصوص وأمثالهم .

ج٥ الإشعاع الأحمر أشعة غير مرئية للطيف الكهرمغنيطي لها طول موجي يزيد قليلاً على طول موجة اللون الأحمر المرئي ، ولكن يقل عن أطوال الموجات الراديوية ، ويُحَسُّ به إشعاعاً حرارياً .. ومن استخداماته في التصوير الفتوغرافي ليلاً التصوير بفيلم حساس للإشعاع دون الأحمر دون استخدام المصباح الومضي «الفلاش» .

ج٦ الكيلوواط : وحدة قدرة تساوي ١٠٠٠ واط ، [illegible] استهلاك طاقة بمعدل ١٠٠٠ جول في الثانية ، وتستخدم في التعبير عن القدرة الكهربائية .
الكيلوسيكل : وحدة تساوي ١٠٠٠ سيكل «دورة» وقد شاع استعمالها بمعنى ١٠٠٠ سيكل في الثانية عند بيان ترداد الموجات الإذاعية والصوتية ، والكيلوسيكل يساوي ١٠٠٠/١ من الميجاسيكل .

ج٧ التقويم الغريغوري هو المتبع حالياً والخطأ فيه لا يتجاوز ٢٦ ثانية في السنة ، بينما كان الخطأ في تقويم يوليوس قيصر الذي كان معمولاً به حتى عام ١٥٨٢م ، يتجاوز ١١ دقيقة في العام .

ج٨ نُخْبِرك مَنْ شَهِدَ الوقائعَ أنَّني ... أغْشى الوغى وأعِفُّ عند المغْنَم
الشاعر عنترة بن شداد .

ج٩ هَمَعَ هَمْعاً الدمعُ والطلُّ : سال .
هَلِعَ هَلَعاً : جزع .

ج١٠ «كدميون» عنصر فلزي رمادي ، أو أبيض يميل إلى الزرقة ، وهو ناتج جانبي في عملية تنقية الزنك ، ويستخدم طلاءً للفولاذ يقيه التآكل .

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

ALAWI TAHA ALSAFI
Editor-in-Cheif

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4653026-4653027
TELEX 202600 DRFATH SJ



مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ



EUROPE - AMERICA - ASIA

Country	Currency	Price
Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	$	5



أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٨ ريالات
الكويت	٦٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم
قطر	٦ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة
الأردن	٤٠٠ فلس
ج . ع . اليمنية	٦ ريالات
ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دنانير
العراق	٤٠٠ فلس
سورية	٥ ليرات
لبنان	٥ ليرات
ليبيا	٨٠٠ درهم

● أسعار الاشتراكات السنوية:

للأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا
لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعوديا
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 150

Others : S.R.250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE



شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة ، العمارية ، الرياض